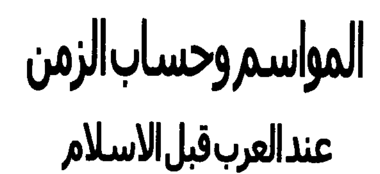
عرفان محمد حمّور

المواسم وحساب الزمن

عند العرب قبل الاسلام

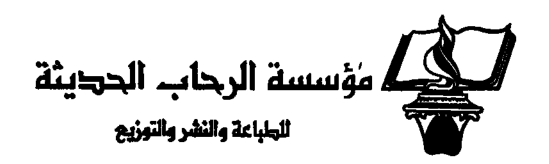
مؤسسة الرحاب الحديثة
بيروت - لبنان



كانت العربُ أكثَرَ أُمم العالم دِقَّةً في اخْتيارِ أسماء شهورها، لِمَا فيها من دلالةٍ على طبائع الأزمنة التي حُدَّثْ فيها . .

فقد حُدَّ مثلاً شهرا صَفَرٍ: المحرَّمِ والآخِر، في زمن الخريف، وهو زَمَنٌ تَصْفِرُ فيهِ منازُلهم منهم، لخروجهم عنها إلى البادية. . . وحُدَّ شهرا ربيع: الأوَّل والآخِر، في زمن الشتاء، وهو الزمنُ الذي كانوا يعودون فيه من البادية، لِيَرْتبِعُوا في منازلهم، فالارْتباعُ هنا الإقامةُ، وهما كشهريْ كانون: الأول والثاني عند أهل الشام، سُمِّيا بذلك من الكنّ، وهو جذر مشترك بين اللغات العربيَّة (الساميّة)، ومن معانيه: الإقامةُ والبيتُ والمَوْقِدُ والمُصْطَلىٰ. . .

وقد تبيَّن من اسْتِقْراء أخبار العرب، أنهم كانوا يعتدُّون في الفصول الطبيعية وعدد السنين بدورة منازل القمر، وفي حساب الشهور بدورة القمر نفسه، والمنازلُ للقمر كالبرُوج للشمس، أي أنهم كانوا يتَّبعون تقويماً شمسياً قمرياً. . ولذلك كانت شهورُهم لا تدور في كلّ الفصول، وكانت مواسمُهم تقوم في أوقاتٍ ثابتةٍ تقريباً من الفصول الطبيعيَّة، سواء في ذلك مواسمُ الحجِّ والعِبادةِ والصومِ والأسواقِ الكبَار والأعياد. . .



عنوان الكتاب

المواسم وحساب الزمن

عند العرب قبل الإسلام

المؤلِّفُ: عرفان محمد حمُّور

الناشِر والموزِّع

مؤسسة الرِحَاب الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

المدير المسؤول: أحمد فوَّاز

هاتف: ٠٣/٣٥٩٧٨٨

ص. ب: ١١/٣٨٤٧

بيروت ـ لبنان

التنضيد والإخراج

مؤسسة غَوْر پْرِس

هاتف: ٠٣/٦٣٣٥٩٨

العنوان: البربير ـ بناية كاملة ـ ط ٤

بيروت ـ لبنان

تصميم الغلاف والفهارس الفنيَّة

د. هدال عرفان حمُّور

الطبعة الأولى ٢٠٠٠

عرفان محمد حمّور

المواسم وحساب الزمن
عند العرب قبل الاسلام

مؤسسة الرحاب الحديثة
بيروت - لبنان

الفهرس التفصيلي لمحتويات الكتاب

مقدمة: المواسم والأزمنة (الفصول) الطبيعيّة ٧

الفصل الأول: الأصل في حساب الزمن عند العرب .... ١١ ـ ٣٤

المطلب الأول: علم الفلك والنجوم عند العرب ١١

ـ منازلُ القمر. عَرف العربُ أن المنازلَ للقمر كالبروج للشمس ١٩

ـ جدول منازل القمر وأيام مَطالِعها ومَسَاقِطِها ٢٢

المطلب الثاني: مذهب العرب في تقسيم الزمان ـ الساعة ـ اليوم ـ الشهر ـ السنة ٢٤

الفصل الثاني: شهور العرب ومَواقعُها من الفصول الطبيعيّة .... ٣٥ ـ ١٠٦

المطلب الأول: شهور العرب ـ أسماؤها ومعانيها ودلالاتُها على الفصول الطبيعية ٣٥

● شهرا صَفَر، صَفَر الأول (المحرّم)، وصَفَر الآخِر؛ أُضِيفا إلى الصفَر لخلُوّ ديارهم منهم في الخريف بارتحالهم عنها إلى النُجعة في البوادي والأرياف ٤٠

● شهرا ربيع، الأول والآخِر؛ زمن أربعينيّات الشتاء القاسية والعودة عن النجعة للارتباع في المنازل، أي للإقامة بها. يقابلهما في السريانية شهرا كانون، والكَنُّ: الإقامةُ، والكِنُّ: البيتُ. ٤٦

● شهرا جُمادَى، الأولى والآخِرة: من شهور الشتاء والأندية والبَرَدِ، يُقابلهما في السريانية شباط وآذار ٥٢

● رَجَب: شهر الله. سُمّي رَجباً لما كان يقع فيه من الترجيب، وهو دعْمُ النخيل لئلاّ يسّاقط ثمرُه ٥٧

● شعبان: سُمّي بذلك من التشعُّب، وهو التفرُّق إلى الديار بعد الاجتماع في البادية ٦٢

● رمضان: يقع في زمن الرَّمَض واشتداد الحرّ، والتحتُّث ٦٥

● شوّال: تبلغ فيه الحرارة غايتها، ويرتحل الناسُ إلى الحج ٦٧

● ذو القعدة: لعله كان شهر المواسم وشهود أسواق مكة ٦٩

● ذو الحجّة: شهر الحجّ إلى كعبة مكة ٧١

ـ جدول أسماء الشهور كما كانت عند الأقوام العربية القديمة ٧٦

ـ جدول مواقع شهور العرب من شهور السريانيين ٧٧

المطلب الثاني: مذاهب العرب في قسمة الفصول الطبيعيّة ٧٨

المطلب الثالث: وجوه التوافُق بين التقويمين العربي القمريّ والشمسيّ ٩٣

ـ أَمْثِلةٌ ووقائع مختلفة تُثبت التوافُق .... ٩٣ ـ ١٠٦
١ ـ التوافق في تحريم شهريْ رجَب ونَيْسان، ثم في المحرَّم وتشرين ٩٣
٢ ـ توافق وقوع أيام العجوز في الزمن نفسه ٩٧
٣ ـ توافق موسم المشقَّر وعيد الفصح ٩٨
٤ ـ توافق وقوع عاشوراء والعاشور في المحرَّم وتشرين ١٠٠
٥ ـ موسم الحجّ كان ثابتاً في ذي الحجّة ١٠٣
الفصل الثالث: النَّسِيءُ والنَّسَأَةُ.............................. ١٠٧ ـ ١٤٢
مقدمة: معنى النسيء في اللغة والمُصْطَلَح.......................... ١٠٧
المطلب الأول: النَّسَأة أو القَلامِسَةُ فقهاء العرب ومُفْتُوهم ١٠٨
● جدول أسماء النَّسَأة من بني مالك بن كنانة من القرن الثاني إلى السابع . ١١١
المطلب الثاني: النسيء عند أهل الأخبار والمفسِّرين ١١٥
المذهب الأول: القولُ بأن النسيء تأخيرٌ لشهر المحرَّم (صَفَر الأول) وحُرْمَتِه إلى
صَفَر الآخِر ١١٥
● تعقيب على أقوال أصحاب هذا المذهب.......................... ١٢١
المذهب الثاني: القولُ بأن النسيء تأخيرٌ لموسم الحجّ ١٢٤
المذهب الثالث: القولُ بأن النسيء كان كَبْساً صحيحاً لإلحاق السنة القمريّة بالسنة الشمسيّة . ١٢٧
● ● خلاصة وملاحظات وتعقيب ١٣٦
جدول مقارن لمعرفة مواقع سِنيّ حادثة الفيل والبعثة والهجرة من التاريخ
الشمسي الميلادي ١٤٢
● ثَبَتُ المراجع والمصادر ١٤٣
● فهرس المطالب الفلكيّة وأقسام الزمن.......................... ١٤٧
● فهرس الأعلام ١٥١
● مَسْرَد الأمثال الفلكيّة الطبيعيّة.......................... ١٥٥

مقدمة

المواسم والأزمنة الطبيعية

اتَّخذْتُ المواسمَ أساساً في هذا البحث، لأن تَبْسِيط الأمور يقتضي رَدَّها إلى أُصولها، وأصلُ الحاجةِ إلى العلم بالأزمنةِ والأوقاتِ ناشِيءٌ من الحاجة إلى معرفة مواسم الأمطار والرياح والبرد والعِبَادات ونحوها. . . والموسِمُ من الوسْم أي العَلامَة، فالموسمُ بذلك مَعْلَمٌ، والمَعْلَمُ هو ما يُسْتَدَلُّ به، فكأنَّ وقتاً مُعيَّناً من السنة حُدَّ بوَسْمٍ، أو أُعْلِمَ بعلامةٍ، فصار مَوْسِماً، أو مَعْلَماً، كلما رآهُ الناسُ، أو أدْرَكَهم أوَانُهُ، اجتمعوا إليه، وأَقْبَلُوا عليه، كالعِيد، ومواسم العِبَادةِ والحجّ، والأسواق الموسميَّة العامَّة.

وعلى ذلك، فالمَعْلَمُ يجبُ أن يكونَ معلوماً، مُعيَّناً وثابتاً، سواءٌ أكان زماناً أو مكاناً، إذ لا يُمكن أن يُستَدلَّ بمجهولٍ على معلومٍ، وإذا كان ما أُسْنِدَتِ الدَّلاَلَةُ إليه مجهولاً، أو مُتَقلِّباً غيرَ ثابت، فهو ليس مَعْلَماً، ولا يمكن أن يكون موسماً، لأنه فَقَدَ الأساسَ الذي جَعَلَ منه ذلك المَعْلَمَ، أو الموسمَ، وهو العلامةُ الثابتةُ المحدَّدَةُ، والوَسْمُ المميَّزُ، وصار كالأعمى الذي يَقُودُ البصِيرَ في قول بشّار[1]:

أعمى يَقُودُ بصيراً، لا أَبا لكُمُ   قد ضَلَّ من كانت العُميانُ تَهْديهِ

---

(١) بشّارُ بن بُرْد: (٩٥ ـ ١٦٧ هـ = ٧١٤ ـ ٧٨٤ م). أبو مُعَاذ، شاعر ضَرِيرٌ، نَشَأ في البصرة، وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. يُعَدُّ شعره من الطبقة الأولى، وهو كثير متفرّق، جُمع بعضُه في ديوان. إتُّهِم بالزندقة، فضُرِب بالسِّياط حتى مات.

فكيف يُستدَلُّ بمَعْلَمٍ زمنيٍّ، إذا كان مُتقلِّباً غيرَ ثابتٍ، على مَوْعِدِ اجتماعِ قومٍ، الأصلُ فيه أن يكون مُحدَّداً وثابتاً، يعرِفُه الناسُ إذا أَزِفَ، على تَباعُدِ أقطارِهم، واختلاف بلادهم وطوائفهم وتَبايُنِ طرائِقهم في تقسيم الأزمنة وحسابها، فَيَسْعَون إلى التَّلاقي فيه، والاحتفال بِمَوْسِمِهِ؟...

فالأساسُ في المواسم إذن أن تكون مواقيتُها معروفةً، ولكي تكون معروفةً لا بُدَّ أن تُحَدَّ مواقيتُها في أزمانٍ ثابتةٍ، غيرِ مُتقلِّبةٍ، إلا بالقَدْرِ الذي يتمكَّنُ معه كلُّ امرئٍ من حسابِها، ومعرفةِ حُدودها، إن كان يُريدُ قَصْدها لِشُهُودِها، قادماً إليها من مَطارِحَ بعيدةٍ...

والمعنَى في ذلك أن مواسم العرب، كالحجّ والأسواق الكبرى، وهي وجهٌ من وُجوهِ الحضارة في عصر الجاهلية، لا يكفي أن تكون مواعيدُها معروفةً، وأيامُ قيامها وانقضائها معلومةً، بل يجب أن تكون لها مَوَاقِيتُ ثابِتَةٌ، لا تدورُ في الأزمنة، دَوَرانَ الشهور في السنة القَمَريَّة، تكونُ مرةً في الشتاء، وأُخرى في الصيف، تارةً في الربيع، وأُخرى في الخريف، بينما تظلُّ الشهورُ في السنة الشمسيَّة ثابتةً في مَوَاقِعها من الأَزْمِنَة الطبيعية... والمعروفُ أن السنة القمريَّة، ومقدارُها ثلاثُ مئةٍ وأربعةٌ وخمسون يوماً وثُلُثُ يومٍ، تنقصُ أَحَدَ عَشَر يوماً عن السنة الشمسية، وعِدَّتُها ثلاثُ مئةٍ وخمسةٌ وستون يوماً ورُبْعُ يومٍ، فإن لم يَجْرِ التوفيقُ بين السنتين بكَبْسِ هذا الفَرْق[1]، صارتِ الشهورُ القمريَّةُ دائرةً في الأزمنة، دورةً تمتدُّ ثلاثاً وثلاثين سنةً قمريةً تقريباً، حتى تعودَ إلى مَواقِعها التي كانت عليها في ابتداءِ الدورة، وصارتِ المواسِمُ في الشهور القمرية، مناسَباتٍ غيرَ مُنْتظمةٍ، يُكلِّفُ الناسَ

---

(١) الكَبْسُ: تأخيرُ كُسُورِ اليوم حتى تصير يوماً، أو الأيام حتى تصير شهراً، ثم زيادتُهُ على السنة. يقال: كَبَسَ السنةَ أي زاد فيها يوماً أو أياماً أو شهراً.

شُهودُها نَصَباً، لعلَّهُ لا يلبثُ حتى يُؤدِّيَ بهم إلى إغفالها، ونسيانِ أمرها، أو إهْمالها. . . ولذلك كان العربُ في الجاهلية يقومون بفِعْل «الكَبْسِ»، تثبيتاً لمواسمهم في الأزمنة، ويُسَمُّونهُ: «النَّسِيءَ» بمعنى التأخير، ولكنّ أهلَ الأخبار وبعضَ المستشرقين أنكروا عليهم معرفةَ هذا الأمر، لأن في الإقرار به إقْراراً لهم بالعلم، وهو ما لا يُريدونه! مع أن نزول القرآن بإبطالِ النَّسِيء دليلٌ على أنه ظلّ قائماً حتى حَرَّمَه الإسلام، وهو دليلٌ تُؤكِّدهُ المعاني التي تُشِيرُ إليها أسماءُ الشهور العربية، وقد اشتُقَّت جميعُها من طبائع الأزمنة التي كانت تقعُ فيها، قبل أن أَخذتْ تدورُ في الفُصول بعدما أُبْطل النَّسِيءُ. ولذلك أيضاً كانوا في صدر الإسلام، يُسْقِطون سنةً عند رأس كل ثلاثٍ وثلاثين سنةً هجريةً، ويُسَمُّونَها سنةَ الازْدِلافِ، أي التقريب، «وإنما حَمَلهم على ذلك، الفَرارُ من اسم النسيء، الذي أخبَرَ اللّهُ تعالى أنه زيادةٌ في الكفر»[1]. . . ولا يمكن القبولُ بمذهبٍ من قال إن العرب، لمّا أطلقوا الأسماءَ المناسِبةَ على شهورهم وفاقاً لمواقعها من الأزمنة، لم يكن في حُسْبانهم أنها ستدُور في الأزمنة، وتقعُ شهورُ الشتاء في الصيف، وشهورُ الصيف في الشتاء، فالقبولُ بمذهبٍ كهذا يعني إضافة الجهلِ والغَباءِ والغَفْلة إلى العرب، وهو أمرٌ غيرُ صحيح، لأن فيه ظُلماً، وافْتِئاتاً على العقل والحقّ معاً.

وعلى ذلك كان لا بُدّ لنا في هذا الباب من البحث في مَوضُوعَيْن، أولاً في تقسيم الأزمنة عند عرب الجاهلية، ثم في أمور النَّسِيء والنَّسَأَة، حتى نقفَ على الحقيقة في هذا الشأنِ الذي كانت تتعلَّقُ به مواسمُ أسواقهم وحَجِّهم وزراعتهم وأسفارهم، وهو مَطْلبٌ دقيقٌ جدّاً، وعَسِيرٌ، أعْيَا بحثُهُ كثيرين قَبْلي، وسيَظلُّ يُعْيِي الباحثين بعدي، لكثرة ما قيل فيه من روايات

---

(١) أبو العباس القلقشندي ـ صبح الأعشى: ٢/ ٤٢٦.

وأخبار، ينقضُ بعضُه بعضاً، إلا إذا ظهر يوماً دليلٌ من التُّراثِ، يَقطعُ الشكَّ باليقين، ويضعُ الأمور في نِصَابها. وإلى أن يظهر مثلُ هذا الدليل، ليس لنا إلا أن نُقلِّبَ تلك الروايات والأخبار، ونبحث فيها على طريقة الاسْتِقراء والاسْتِدْلال، كي نخلُصَ إلى ما يمكن أن يكون أقربَ الأمور إلى الحق والعقل، وأكثَرها اتفاقاً مع منطق التاريخ، ووقائعِهِ التي كُتِب لها أن تُدَوَّنَ عند العرب... ولا أرى، في غياب النصوص، ما يمنع أن يكون استقراءُ الوقائع المأثورة، دليلاً على ما كان يجري في التاريخ القديم، ولا سيما إذا خلا ذلك التاريخُ من رواياتٍ وأخبارٍ يقينيَّةٍ أو ظَنِّيَّةٍ!. على أن تاريخنا لم يخلُ كلَّ الخُلُوِّ من تلك الروايات والأخبار، بل جاءت فيه نصوصٌ كثيرةٌ، منثورةٌ خلال موضوعاتٍ أخرى، ومُصَنَّفاتٍ مختلفة، يمكن بالرجوع إليها تحقيقُ الكثير.

* * *

الفصل الأول

الأصل في حساب الزمان عند العرب

المطلب الأول ـ علم الفلك والنجوم عند العرب:

إن مما لا خلاف فيه، أن شعوب العرب كانت، في جُمْلَتِها، من أكثر الأمم تأمُّلاً في السماء، ورَصْداً للكواكب والنجوم، اهْتِداءً بها في ظلمات البرِّ والبحر، وتَوصُّلاً إلى معرفة الأجواء والأنواء، والعلمِ بطبائع الأزمنة، ومواعيد الأمطار، لما لذلك كله من علائق وثيقةٍ بحياتهم، ومواسِمِهم الدينيَّة والزراعيَّة والتجاريَّة، وتَقَلُّبِهم في الأرض بأنعامهم وغَلَّاتهم ومَتَاجِرهم، وهو ما حَملهم على مُتابعةِ حركة الأفلاك، وتعيين منازل الشمس والقمر، ومراقبة مطالع النجوم ومَغَاربها، ومَوَاقيتِ كلٍّ أولئك، ومَوَاقِعهِ من تَقلُّبِ الأزمنة، واختلاف ظواهر الطبيعة، من حَرٍّ وبَرْدٍ، ورِيَاحٍ، وأمطارٍ، وثلوجٍ، وغير ذلك[1]. . .

ويُعَدُّ الكلدانيون، أو البابليون، «أساتذةَ العالم في علم النجوم، هم وضعوا أُسُسَهُ، ورفعوا عُمُدَهُ، ساعدهم على ذلك صفاءُ سمائهم، وجفافُ هوائهم، واستواءُ آفاقهم، فرصدوا الكواكب، وعيَّنُوا أَماكِنَها، ورسموا الأبراجَ، ومنازلَ الشمس والقمر، وحَسَبُوا الخُسوفَ والكُسوف بآلاتٍ فلكية

---

(١) د. جواد علي ـ المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٨/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥، والحوليّات الأثريّة السورية لعام ١٩٨١ ـ معاني النجوم: المجلّد ٣١/ ١٨.

منذ بضعةِ وأربعين قرناً، وعنهم أخذ اليونانُ والهنودُ والمصريون وغيرُهم من أهل التمدُّن القديم...»[١]. ولمَّا فتح الفرسُ بِلادَ بابل (٥٣٨ ق. م)، وقضوا على الإمبراطورية البابلية الحديثة «الكلدانية»[٢]، هاجر كثير من الكلدانيين إلى بلاد العرب، وكانت وقتئذٍ ملاذَ المهاجِرين من العراق ومصر والشام، لامتناعها على الغُزَاةِ بما كان فيها من البوادي والفَلَواتِ الشاسعة، ولِسُهولة السُّكْنَى بها على أهلِ بابلَ، لما كان يجمع بينهم وبين أهلها من قَرابةٍ في اللغة والأُصُول. وكان في جُملة المهاجرين طائفةٌ من الكُهَّان[٣]، وأصحابِ النجوم، اكتسب العربُ منهم علماً كثيراً بمواقع الأبراج، ومنازل الشمس والقمر، وعقائد النجوم والتنجيم، وأضافوه إلى ما سبق لهم كشْفُه، والعلمُ به، في هذا الموضوع[٤]. وكان من أشدِّ مزايا الديانة البابلية ظهوراً، فضلاً عن الأساطير الدينية، تفسيرُ الظواهرِ الطبيعيةِ «العِرَافَةُ»، والعِلمُ بالأجرام السماوية، والتنجيمُ، والتعاويذُ السِحْرِيَّة[٥]. وقد ذكر «برستيد» أن الكلدانيين حقَّقوا في علم الفلك نجاحاً كبيراً، وأنهم كانوا قبل ذلك مُولَعين بعلم التنجيم لكشف أسرار الغيب، فوضعوا خريطةً للأجرام السماوية، وقسموا الكواكب إلى إثنتيْ عشرة مجموعةً، كلُّ مجموعة منها تُسمَّى بُرْجاً، وكان من عقائدهم أن للسيَّارات الخمسِ: عُطارِدَ والزُّهرة والمرِّيخِ والمُشْتري وزُحَل، سلطاناً على الناس وأحوالهم[٦]، وأن لها ارتباطاً بالمعيشة اليومية،

---

(١) جرجي زيدان ـ تاريخ التمدن الإسلامي: ٢/ ١٢.

(٢) وليم لانجر ـ موسوعة تاريخ العالم: ١/ ٥٦ ـ ٥٧.

(٣) الكاهِنُ: هو في الأصل من يدَّعي العلم بالأسرار وأحوال الغيب، ويستوي معه في هذا المعنى العرَّافُ والمُنَجِّمُ.

(٤) تاريخ التمدن الإسلامي: ٢/ ١٣ و ١٩.

(٥) موسوعة تاريخ العالم: ١/ ٥٦.

(٦) جيمس هنري برسْتِد ـ العصور القديمة: ١٨٤.

وطوالع الأوقات، وحوادث الأيام[1]. . . وكانوا يُقدِّسون هذه الكواكبَ، ومعها الشمسُ والقمرُ[2]، ولذلك صار رقمُ السبعة مُقدَّساً[3]، وأصبح عندهم عقدةً حسابيةً، يَشْهدُ لها جعلُهم أيَّامَ الشهر أربعَ مجموعاتٍ، كلُّ مجموعةٍ سبعةُ أيام[4]. وكان حسابُ الزمن عند أهل بابل، من الأكَّادِيين والعمُّوريين والكلدانيين، يقوم على دورة القمر، وكانت سنَتُهم (٣٥٤) يوماً وبعضَ اليوم، فكانوا يستعملون الكَبْسَ، لِيَضْمنوا التوافُقَ بين دَوْرَتَيْ القمر والشمس، وهو ما أخذه عنهم العربُ والعبرانيون واليونان، وكذلك الرومانُ في بداية أمرهم[5].

وقد جاءت الكلماتُ: «يرخ» في الآرامية والفينيقيَّة، و «ورخ» في العربية الجنوبية، و «أرخ»، و«ورخ» في العربية الفصحى، لِتُؤدّيَ جميعاً المعنى نفسَهُ، أي الشهرَ، أو القمرَ، أو التأريخ بمعنى تعيين الزمن[6]، مما يعني أنهم كانوا يومئذٍ على شاكلةٍ واحدةٍ في قياس الزمن. ومن المحقَّق أن

---

(١) عباس محمود العقاد ـ أثر العرب في الحضارة الأوروبية: ١٦.

(٢) كانت دياناتُ الوثنيين تقوم في الأصل على الاعتقاد بأن القمر سيِّدُ الآلهة، وزعيمُها، فقدَّمُوهُ عليها جميعاً، بما في ذلك الشمسُ. ويُسمَّى القمرُ الإلَه «سين»، ويُرمَز إليه بالصنم «وَدّ» عند عرب اليمن والحجاز، كما يُرمَزُ إلى الشمس بالصنم «اللات»، وقد جعلوها زوجةً للقمر، أوْلَدَها الزُّهرة. ومن هنا نُدرك علَّةَ الابتداءِ بالتقويم القمريّ عند مختلف الأمم القديمة، ثم انتقالها أمّةً بعد أُخرى إلى التقويم الشمسيّ في تطوُّرٍ لاحقٍ.

(٣) قد اكتُشف بعدها كوكبُ أورانوس (١٧٨١ م)، ونبتون (١٨٤٦ م)، وبلوتون (١٩٣٠)، فصارت عشرةَ كواكب.

(٤) الحوليات الأثرية السورية: ١٨/٣١، والمفصَّل: ٨/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣.

(٥) محمد عزة دَرْوَزَة ـ تاريخ الجنس العربي: ٣/ ٢٠٣.

(٦) د. عبد الحميد زايد ـ لغات الشرق الأدنى القديم ـ مجلة عالم الفكر ـ المجلد الثاني: ٨٤٩، ١١٠٧، والمفصَّل: ٨/ ٤٤٦.

تقسيم الشهور والأيام، كما عُرِفَ في بلاد الرافدين والشام وجزيرة العرب، قد كان عليه طابعُ اللغات العربية القديمة[١]، وهو ما يُشِير إلى أصل واحدٍ له، قديمٍ، نجِدُ مِصْداقَهُ أيضاً في أسماء الكواكب، والنجوم، ومنازل الشمس والقمر، والبروج، فإنها عند العرب كما كانت عند الكلدانيين تماماً[٢]، مع بعض الفروق في النطق، والاختلاف في بعض الحروف. ويبدو من قِدَمِ أسماءِ تلك النجوم في العربية، قِدَمُ معرفةِ العرب بها، وبمواقعها، وما يتَّصلُ بها من العلوم، والمعارف، والعقَائدِ، وتقسيم الزمن. وهكذا يمكن القولُ بأن العرب كانوا مَدِينين في كثيرٍ من عِلْمهم بالنجوم والأنواء والأزمنة للبابليِّينَ، أو الكلدانيِّين، وكانوا يُسَمُّون مَن قَدِمَ إليهم منهم الصابئة[٣]. . . ولعلَّ الصابئة طائفةٌ من بقايا الأقوام العربية القديمة في بلاد الرافدين وشمال سورية[٤]، انتشرت في بلاد العرب بعدما قضى الفرسُ على إمبراطورية بابل، تحملُ معها عقائدَها وديانتَها وعلومَها وأساطيرها.

* * *

ولا نريد التوسُّعَ فيما كان يُحيط به عربُ الجاهلية من علم النجوم والأفلاك، وإنما حَسْبُنا الاجْتِزَاءُ بخُلاصةِ ما كانوا يعرفونه عن الشمس والقمر، وبعض النجوم الثابتة، التي تنتقلُ فيها الشمسُ في فصول السنة، وينتقلُ فيها القمرُ من أول الشهر إلى الثامن والعشرين منه[٥]، والتي اتخذوها

---

(١) أثر العرب في الحضارة الأوربية: ١٤.

(٢) تاريخ التمدن الإسلامي: ٢/ ١٤ ـ ١٥.

(٣) المرجع نفسه: ٢/ ١٣.

(٤) الصابئة: قوم يُقال إنهم على دين نوح، ويزعم بعضُ الباحثين أنهم طائفة من النصارى، وهو غير صحيح، لأن القرآن الكريم جعلهم طائفةً مُستقلَّةً عنهم.

(٥) صبح الأعشى: ٢/١٦٨، ١٧٣.

أعلاماً على تعاقُبِ الأزمنة، وتَقلُّبِ الأنواء، واختلافِ الفُصول، مما يتعلق به انتظامُ مواعيد المواسم الزراعية والدينية والتجارية.

والفَلَكُ عند العرب مدارُ النجوم[١]، سُمِّي فَلَكاً لاستدارته[٢]، وسُمِّيَتِ الدائرةُ التي ترسمها الشمسُ، بحركتها الخاصَّة في دورةٍ لها، تامَّةٍ، فلَكَ البُروج[٣]، وهي إثنا عَشَر بُرْجاً من النجوم الثابتة[٤]، تقطعُها الشمسُ في دورةٍ تامَّةٍ، مُدَّتُها ثلاثُ مئةٍ وخمسةٌ وسِتُّونَ يوماً ورُبْعُ يومٍ، سُمِّيَتْ سنةَ الشمس. ولمَّا كان القمرُ، كما قال المرزوقي[٥]: «يجتمعُ مع الشمس في مُدَّة هذه الأيام، اثنتَيْ عشرةَ مرَّةً، فقد جُعِلت سنةُ الشمس اثنَيْ عشَرَ شهراً، وسُمِّيت الشهورَ القمريَّةَ، كما جُعل الفلكُ اثنَيْ عَشَرَ بُرْجاً، لكلِّ شهرٍ برجٌ»[٦].

فكأنَّ المرزوقيَّ أراد بهذا القول، أنهم كانوا يَعْتَدُّون في الفُصول الطبيعية، وعَدَدِ السنين بدورة الشمس، ويَعْتَدُّون في حساب الشهور والآجال والمواعيد بدورة القمر. ذلك أن الفصول الطبيعية تنفصِلُ بمسير الشمس، لا

---

(١) ابن منظور ـ لسان العرب: ١٠/ ٤٧٨ (فلك).

(٢) صبح الأعشى: ٢/ ١٦٣.

(٣) أبو علي المرزوقي ـ الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٧٠.

(٤) النجوم الثابتة: هي الكواكب التي تظلُّ ثابتةً في مكانها من الفلك، لا تتحرَّكُ من المغرب إلى المشرق، كما تتحرَّك الكواكبُ السيَّارة، وإنما تتحرَّكُ بحركة الفَلَك كلِّه من المشرق إلى المغرب، في اليوم والليلة. وأشْهَرُها الكواكب التي تُعرف بها الأزمنةُ والأنواء، وهي نجومُ البروج التي تنتقلُ فيها الشمس، ونجومُ المنازل التي ينتقل فيها القمرُ كل ليلة في منزل، ونجومٌ أخرى مثلُها، كانوا يستدلُّون بها على شؤونٍ مختلفةٍ من شؤون حياتهم، منها: سُهَيْلٌ، والسُّهَا، والفَرْقَدان، والشِّعْرَيَان: الشِّعْرىَ العَبُور والشِّعْرىَ الغُمَيْصَاء..

(٥) المرزوقي: أبو علي، أحمد بن محمد، عالم بالأدب والفلك وأخبار العرب. توفي سنة ٤٢١ هـ.

(٦) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٧١، و ١/ ٢٠٥.

بمسير القمر[١]، والشهورُ إنما تُشْهَرُ وتَظْهَرُ بظهور القمر[٢]، لا بمسير الشمس وظهورها. وعلى هذا المذهب كان اعتمادُ العرب واليونانيين والعبرانيين، وهو مذهب البابليين في الأصل، كما ذكر بعضُ المؤرخين[٣]. ولعلَّهم كانوا يتَّخِذُون في تقويمهم السنة الشمسيَّة في الفصول الطبيعية وتَقَلُّبِها، والشُهورَ القمريَّةَ في المواعيد والآجال... ويبدو واضحاً في الإنكليزية أن كلمتَيْ: قمر «MOON»، وشهر «MONTH» من أصل واحد، وهو دليل على أن شهورهم قديماً كانت قمريَّةً، مع أن سنتهم شمسيَّة، وهو شأن الناس جميعاً...

ومن ذلك أن العرب، كما ذكر ابنُ منظور، كانت إذا نظرتْ إلى الهلال، قالت: لا مَرْحباً بمُحِلِّ الدَّيْن، مُقَرِّبِ الأَجَل[٤]... ومنه أيضاً، أن مواعيدهم كانت تُبْنَى على رؤية الأَهِلَّة، كقول الأزرقي، مثلاً، في خروج العرب إلى مواسمهم: «فيُصْبِحُونَ بعُكاظ يومَ هلال ذي القعدة، فيقيمون به عشرين ليلةً، تقومُ فيها أسواقُهم بعُكاظ... فإذا مضَتِ العشرون، انصرفوا إلى مَجَنَّةٍ، فأقاموا بها عَشْراً، أسواقُهم قائمةٌ، فإذا رأوا هلالَ ذي الحجَّة، انصرفوا إلى ذي المجاز، فأقاموا به ثمانَ ليالٍ، أسواقُهم قائمةٌ...»[٥].

ومنه كذلك، أن اليونان كانوا يجعلون موسمَ الألعابِ الأُلِمْبِيَّةِ الدينيةِ عندهم، «عقب ظهور البَدْرِ التالي للانقلاب الصيفيّ»[٦]، أي في أوَّلِ يومِ

---

(١) الأزمنة والأمكنة: ١/١٦٧.
(٢) لسان العرب: ٤/٤٣١ (شهر)، ود. أنيس فريحة ـ أسماء الأشهر في العربيّة: ١٠.
(٣) ابن الأجدابي ـ الأزمنة والأنواء: ٢٩، وتاريخ الجنس العربي: ٣/٢٠٣.
(٤) لسان العرب: ١١/١٦٧ (حلل).
(٥) أبو الوليد الأزرقي ـ أخبار مكة: ١/١٨٧ ـ ١٨٨.
(٦) قصة الألعاب الأُلِمْبِيَّة ـ مجلة العربي (تموز ـ يوليه ١٩٨٠): ٢٨.

يأتي مباشرةً، بعد اكتمال أوَّلِ بَدْرٍ في فصل الصيف، الذي يبدءُ في الثاني والعشرين من شهر حزيران، حينما تَحلُّ الشمسُ في برج السَّرَطان[1]. وبذلك يكون موعدُ قيام موسم أَلِمْپُسْ مَبْنياً على تقويم شمسيٍّ قمريٍّ في آنٍ معاً، غيرَ ثابتٍ في يومٍ مُعيَّن، بل في فصلٍ مُعيَّن.

ومثلُهُ أيضاً موسمُ الصوم الكبير عند النصارى، فقد كان وما يزال يقومُ على ميقاتٍ شمسيٍّ قمريٍّ معاً، غيرَ ثابتٍ في يومٍ مُعيَّن، بل في زمنٍ أو فصلٍ مُعيَّن من السنة. فأوَّلُه عند نصارى الشرق يُلْتَمسُ ابتداءً من ثاني شباط ـ فبراير حتى الثاني من آذار ـ مارس، ويجب أن يقع أبداً في يومِ الإثنين، الأَقْربِ إلى اجتماعِ الشمسِ والقمر في آخر الشهرِ القمريّ، إمَّا قبلَ الاجتماع، وإمَّا بَعْدَهُ. وفِطْرُهم أبداً يكون يومَ الأحد، وهو التاسعُ والأربعون من ابتداء الصَّوْم[2]... كما أن مَجْمَعَ كنيسة نِيقْيَةَ بالأناضول، قرَّر سنة (٣٢٥ م)، أن الاحتفال بعيد الفِصْح[3]، وهو ما يأخُذُ به الغربيُّون، ويجب أن يكون في أوَّل يوم أحَدٍ، يأتي بعد البَدْرِ الأول في فصل الربيع[4] يُحْيُون فيه ذكرى قيامة المسيح من القبر، وهو ما يجعلُ موعدَ قيامه مُعيَّناً في شهر قمريّ وفَصْلٍ شمسيّ، فيكون موسمُ الفصح بذلك مُتنقِّلاً بين

---

(١) الأزمنة والأنواء: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٢) مختصر تاريخ البشر: ١/٩١. واقتضاء الصراط المستقيم: ٢١٠.

(٣) عيد الفصح: يحتفل فيه اليهودُ بذكرى خَلاصِهم من فرعون، وخُروجهم من مصر بقيادة موسى، واتفق لهم ذلك ليلة الخامس عشر من نيسان (القمري)، والقمرُ تامُّ الضوء، والزمانُ زمانُ ربيع، فظلُّوا يحفظون ذلك اليوم. ثم صار عند نصارى الشرق عيدَ قيامةِ المسيح من القبر، بعد الصَّلَبُوت والموت، ويُسَمُّونَهُ أَحَدَ القيامة، وهو بالتقويم الشمسيّ غير ثابت في يوم مُعيَّن، بل يدور من ثاني عشر آذار إلى خامس عشر نيسان.

(٤) موسوعة كومپتون: ٤/٢٤٣ ـ Compton's Ency. D, E, 4/243، والمنجد في الأدب والعلوم: ٣٩٠.

(٢٢) آذار ـ مارس، و (٢٥) نيسان ـ أبريل، وموسمُ الصوم الكبير مُتَنقِّلاً أيضاً بين (٢) شباط ـ فبراير ومطلع آذار ـ مارس من كل عام... ويُلاحظ كذلك أن «عيدَ النصارى ليس يوماً محدوداً من السنة الشمسيَّة، وإنما هو يتقدَّمُ فيها، ويتأخَّر في نحو ثلاثة وثلاثين يوماً»[1].

ومن شأن ذلك كله، أن يؤكد لنا اعتمادَ مُعْظم الأُمم وقتئذٍ تقويماً شمسيّاً قمريّاً لِمَواسمها، وأن العرب لا يمكن أن يَشذُّوا وحدهم عن هذا التدبير، لأنهم لم يكونوا في عُزْلةٍ عن الناس، وكيف يكونون كذلك وهم زعماءُ التجارة، وأصحابُ المواسم الكبرى؟... على أن هنالك نصّاً في حديث الأسواق الموسمية، يؤكد أن مواعيد مواسمهم كانت ثابتةً، باعتمادها حركةَ منازل القمر، فقد نقل المرزوقيُّ أن أهل الشام كانوا، كلما أَفَلَتِ الثريّا، أي غابت في العَشِيَّةِ مع غروب الشمس، اعْتَدُّوا خمسةً وعشرين يوماً، ثم أقاموا في اليوم التالي موسمَ سوق «دير أيوب»[2]، وهذا الموعدُ مُقدَّرٌ عندهم نحو الثالث والعشرين من نيسان ـ أبريل[3]، لكنه يعني أن العرب في الجزيرة كانوا إذا أرادوا شهودَ ذلك الموسم في موعده، كان عليهم أن يَلْحَظُوا موعدَ أُفُولِ الثريّا، أو أن يُقدِّرُوهُ على حساب أهل الشام، ليعلموا ميقاتَ قيامه، الذي يكون ثابتاً غالباً، ضمن حدود الفرق في حساب النجوم بين أهل الحجاز مثلاً وأهل الشام.

* * *

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢١٥.

(٢) الأزمنة والأمكنة: ٢/١٦٩.

(٣) زكريا القزويني ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ١١٨.

وتَقْتضِينا النزاهةُ أن نشير إلى أن ابن تيميَّة[1]، عَدَّ مُراعاةَ التوقيتِ الشمسيّ الهلاليّ بِدْعةً، «أحْدَثها اليهودُ والنصارىٰ، باتّفاقٍ منهم، خالَفُوا بها الشريعةَ التي جاءتْ بها الأنبياءُ، فإن الأنبياء ما وَقَّتوا العبادات إلا بالهلال»[2]. . . فكيف ذلك والصلواتُ الخمسُ مَنُوطةٌ بالشمس؟ والزكاةُ لا يستقيمُ أمرُها إلا بالتوقيت الشمسيّ، عَنَيْتُ الفصولَ الطبيعيةَ لسَنَة الشمس؟ والوقوفُ بعرَفَة والنَّفْرُ والإفاضةُ كلُّها مَنُوطةٌ بالشمس؟ والصيامُ إنما هو، في الشرع، إمْسَاكٌ عن شَهْوَتيْ البطن والفَرْج من الفجر إلى غروب الشمس مع تَبْييتِ النيَّة. أمَّا شُهودُ هلال رمضان، وإن كان مُوجِباً للدخول في شهر الصوم، فإن عدمَ شُهوده لا يرفعُ عن المسلم فريضةَ الصوم، فهو مُجْبَرٌ على الصوم إن رأى الهلالَ أو غُمَّتْ عليه رؤيتُه.

* حسابُ منازل القمر:

ويبدو أن العرب في الشمال والجنوب، لم يعتمدوا صُوَرَ البروج فقط كما رصدها القدماءُ، بل رَصَدوا نجوماً أخرى ثابتةً، يدخلُ في صُوَرِها معظمُ كواكب البُروج[3]، فكانوا يَسْتعينون بها على العلم بفصول السنة وأزْمنتِها، بطريقةٍ أشدَّ وضوحاً، وأكثر سهولةً. فقد وجدوا أن ما تَقْطعهُ الشمسُ في جميع السنة من الفَلَك، يقطعه القمرُ في ثمانيةٍ وعشرين يوماً، فقسموا نجومَ هذا الفَلَك على مِقْدار الأيام التي يقطعها القمرُ فيها، وطلبوا في كلِّ قسم

---

(١) ابنُ تَيميَّة: أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، الحرَّانيُّ، الدمشقيُّ، الحنبليّ، شيخ الإسلام. كان آيةً في العلم والتفسير والأصول، فصيح اللسان، أفتى ودرَّس وناظَر العلماء، وهو دون العشرين. مات مُعْتَقَلاً بقلعة دمشق سنة (٧٢٨ هـ = ١٣٢٨ م).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢١٠.

(٣) صبح الأعشى: ٢/١٦٨، ١٧٣، ١٨١ ـ ١٨٢، والأزمنة والأنواء: ٦٣.

علامةً تكون أبْعادُ ما بينها وبين العلامة التي تليها مِقْدارَ مَسِير القمر في يوم، وسَمَّوْا ما بين كلِّ علامَتَيْن منزلةً، فتَحقَّق لهم بذلك ثمانٍ وعشرون منزلةً، سَمَّوْها منازلَ القمر[1]. وجعلوها قسمين: أحدهما شماليٌّ، والآخَرُ جنوبيٌّ، في كلٍّ منها أربع عشرةَ منزلةً، فالشماليُّ ما كان طلوعه من ناحية الشام، والجنوبيُّ ما كان طلوعه من ناحية اليمن. وهي جميعاً مَقْسومةٌ كذلك على البروج الإثْنَيْ عَشَر،، مُوزَّعةٌ عليها بمقدار منزلتين وثُلُث منزلةٍ لكل بُرْجٍ منها[2]. والمنازِلُ للقمر كالبُروج للشمس، ومثلما جعل الله «في مسير الشمس وانتقالها في البُروج عَلَماً على انتقال الزمان، واختلاف أحواله في الطُّول والقِصَر، والحَرِّ والبَرْدِ»[3]، فإنه جعل في حركة منازل القمر أيضاً أعلاماً أُخرى ثابِتَةً، دقيقةً، استدلَّ العربُ بها على توالي فصول السنة، ومواسم المطر والرياح والحَرِّ والبرد، ومواعيد الأعياد والأسْفَارِ والدُّيون وغيرها. فقد وجدوا أن منزلاً من تلك المنازل يسقطُ في أُفق المغرب مع الفجر، كلَّ ثلاثة عشر يوماً، ويطلعُ آخَرُ يُقابِلُهُ في أُفُق المشرق، من ساعته، سوى واحدٍ، فإنَّ له أربعةَ عشَر يوماً، وهو منزلُ «الجبهة»، فتنقضي جميعُها بانقضاء ثلاثِ مئةٍ وخمسةٍ وستين يوماً تقريباً، وهي عِدَّةُ أيام سنة الشمس[4]. . . وعَرَفُوا أن لكل منزلةٍ في السنة طُلوعاً وسُقوطاً، بينهما مئةٌ واثنانِ وثمانون يوماً تقريباً، وكلاهما معلومٌ مُسَمًّى، وعليه مُعَوَّلُ العرب في حساب الأزمنة والأنواء[5]. . . ومن ذلك مثلاً: تَنْجِيمُ الدَّيْن، وهو أن يُقَدِّرَ

---

(١) صبح الأعشى: ٣٩٨/٢.

(٢) المرجع نفسه: ٣٩٩/٢، ولسان العرب: ١٧٦/١ (نوأ).

(٣) الأزمنة والأنواء: ٨٢.

(٤) لسان العرب: ١٧٦/١ (نوأ)، والأزمنة والأمكنة: ١٨٦/١، وصبح الأعشى: ٣٧٧/٢، ٣٨٢.

(٥) الأزمنة والأنواء: ١٠٧ ـ ١٠٨، ولسان العرب: ١٧٦/١.

عَطاؤُه، في أوقاتٍ معلومةٍ مُتتابعةٍ، تعتمدُ مطالعَ النجوم ومسَاقِطها، والأصلُ في ذلك كما قال ابنُ منظور: «أن العرب كانت تجعلُ مَطالعَ منازلِ القمر، ومسَاقِطَها، مَواقيتَ حُلولِ دُيُونها وغيرها»[1]، وكانوا، كما يُفهم مما نقله المرزوقي، يعلمون أن «بين طُلوع الثريَّا مع الفجر، وعَوْدِهِ إلى طُلوع مِثْلِهِ» سنةً شمسيةً تامّةً، وقد كانوا يُسَمُّونها حَوْلَ الثُّريَّا[2]. . . ومنه أيضاً، أن النجوم التي تنسب العربُ إليها الأنْواءَ هي منازلُ القمر، ذلك أنهم نظروا فوجدوا للأمطار والرياح زماناً تكثُر فيه، وزماناً تَقِلُّ فيه، فرتَّبُوا معرفتهم بها على أنواءِ تلك الكواكب[3]. ومذهبُهم في ذلك «أن تُجعل الأنْواءُ أعلاماً للأمطار، وأوقاتاً لها. . .»[4]، ومعنى النَّوْء في الأصل النهوضُ، ولكنه هنا سقوطُ نجمٍ في المغرب وطلوعُ آخَرَ في المشرق[5]، فإذا ناءَ النجمُ من هذه المنازل، وكان في مُدَّة نَوْئهِ مطرٌ أو ريحٌ أو بردٌ، فهو منسوبٌ إليه عند سقوطه، أمّا ما كان من حَرٍّ وسَمُومٍ فإنما هو عند طلوعه[6]. ولا أرى هذا التعريفَ دقيقاً، فمنزلُ «سعد الذابح» مثلاً يطلعُ في أشدّ الأيام برداً، ويسقط في أشدِّها حَرّاً.

صفوة القول في معرفة عربِ الجاهلية شؤونَ الأفلاك والنجوم، أنهم كانوا على علمٍ غير قليل بها، لحاجتهم إلى الاهتداء بها في ظلمات البرِّ والبحر، وفي تقلُّبِ الطبيعة وفُصولها، وفي أقسام الوقت وتَتابُعِها.

---

(١) لسان العرب: ١٢/ ٥٧٠ (نجم).

(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٠٢.

(٣) صبح الأعشى: ٢/ ١٨٨.

(٤) الأزمنة والأنواء: ١٣٦.

(٥) لسان العرب: ١/ ١٧٧ (نوأ).

(٦) الأزمنة والأنواء: ١٣٥، ولسان العرب: ١/ ١٧٧، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٧٦ ـ ٧٧.

مَنازلُ القمر الثمانيةُ والعشرونَ وأيامُ مَطالِعها ومَسَاقِطها ابتداء من أول السنة

الرقم	اسم المنزل	يوم الطلوع وابتداءُ نَوْئه	يوم السقوط وابتداءُ نَوْئه	ملاحظات
١	الفَرْغ الثاني أو المؤخّر	٢١آذار	٢٠ أيلول	وهو فَرْغُ الربيع، ويقع في برج الدّلو مع الفَرْغ الأول. يُؤذِنُ طلوعُه بابتداء الربيع، وسقوطُه بابتداء الخريف، وهو أول الأزمنة عند العرب.
٢	بطن الحوت أو الرشاء	٣ نيسان	٣ تشرين الأول	
٣	الشَّرَطان	١٦ نيسان	١٦ تشرين الأول	
٤	البُطَين	٢٩ نيسان	٢٩ تشرين الأول	
٥	الثُّرَيَّا	١٢ أيّار	١١ تشرين الثاني	طلوعُ الثريّا مؤذِنٌ بإقبال الحرّ وشِدَّته، وسقوطُها مُؤذِنٌ بانتهاءِ الوَسْميّ.
٦	الدَّبَران	٢٥ أيار	٢٤ تشرين الثاني	
٧	الهَقْعَةُ	٧ حزيران	٧ كانون الأول	إذا طلعت الهَقْعَةُ رجع الناسُ عن النُّجْعَة، وعند طلوعها تطلع الجوزاء، وحينئذ يكون التهابُ الحرّ.
٨	الهَنْعَة	٢٠ حزيران	٢٠ كانون الأول	
٩	الذِّراع	٣ تموز	٢ كانون الثاني	
١٠	النثرة	١٦ تموز	١٥ كانون الثاني	
١١	الطَّرْفُ أو الطرْفَةُ	٢٩ تموز	٢٨ كانون الثاني	
١٢	الجَبْهَة	١١ آب	١٠ شباط	
١٣	الزُّبْرَة أو الخُرْتان	٢٥ آب	٢٤ شباط	إذا طلع الخُرْتان جُنِيَ البُسْرُ بكل مكان، وطاب الزمان.
١٤	الصَّرفَةُ	٧ أيلول	٩ آذار	وفي ١٩ أيلول ينتهي نَوْءُ طلوعها يؤذناً بانصراف الحرّ. وفي ٢١ آذار ينتهي نوءُ

الرقم	اسم المنزل	يوم الطلوع وابتداءُ نَوْئه	يوم السقوط وابتداءُ نَوْئه	ملاحظات
				سُقوطها مُؤْذِناً بانصراف البرد، وفي كليهما علامةٌ على انصرام نصف السنة.
١٥	العوّاء	٢٠ أيلول	٢٢ آذار	إذا طلع العوّاء طاب الهواء
١٦	السّماك	٣ تشرين الأول	٤ نيسان	
١٧	الغَفْرُ	١٦ تشرين الأول	١٧ نيسان	إذا طلع الغَفْرُ ذهبت النضارةُ عن الأرض والشجر
١٨	الزُّبانَى	٢٩ تشرين الأول	٣٠ نيسان	إذا طلعت الزُّبانَى فاجمعْ للشتاء ولا تَتَوانَ
١٩	الإكليل	١١ تشرين الثاني	١٣ أيّار	
٢٠	القلب	٢٤ تشرين الثاني	٢٦ أيّار	
٢١	الشَّوْلَة	٧ كانون الأول	٨ حزيران	
٢٢	النعائم	٢٠ كانون الأول	٢١ حزيران	
٢٣	البلدة	٢ كانون الثاني	٤ تموز	يشتدُّ في نَوْءِ طلوعها بردُ الشتاء، ويجمد الماء.
٢٤	سعد الذابح	١٥ كانون الثاني	١٧ تموز	يشتدُّ في طلوعه الصقيع
٢٥	سعد بلع	٢٨ كانون الثاني	٣٠ تموز	تأخذ الأرضُ في طلوعه بالاخضرار
٢٦	سعد السعود	١٠ شباط	١٢ آب	في طلوعه ينكسر الشتاء
٢٧	سعد الأخْبِيَة	٢٣ شباط	٢٥ آب	يُؤْذن طلوعُه باقتراب موسم الربيع، والانتقال من الأبنية في المحاضِر إلى الأخْوِيَة في المبادي
٢٨	الفَرْغُ الأول	٨ آذار	٧ أيلول	طلوعُه إرهاصٌ بموسم الربيع، وسقوطُه إرهاصٌ بموسم الخريف

المطلب الثاني ـ مذهب العرب في قسمة الزمان:

من المتفق عليه أن الزمان ينقسم عند جميع الأمم بأربعة أقسام: القسمُ الأول منها يُسمَّى ساعةً، والثاني يُسمَّى يوماً، والثالث يُسمَّى شهراً، والرابعُ يُسمَّى سنةً[1]. وقد ذهب العربُ في تقسيم الزمان مذهبَ سائر الأمم، مع بعض الاختلاف في التفاصيل.

١ ـ الساعة:

جزءٌ من أجزاء الليل والنهار، والليلُ والنهارُ معاً أربعٌ وعشرون ساعةً[2]، زمانُ كلٍّ منهما اثنتا عشرة ساعةً طالَ أو قَصُر[3]، ولكل ساعةٍ من ساعات الليل والنهار عند العرب إسمٌ يُميِّزُها[4]، فأولُ ساعاتِ الليل الشَّفَقُ وآخرها الفجرُ، وأولُ ساعات النهار الشُّروقُ وآخِرُها الغروبُ[5].

* * *

٢ ـ اليوم:

اسم للزَّمانَيْنِ معاً، الليلِ والنهارِ، وابتداؤه عند العرب بالليل[6]، من

---

(١) الأنواء: ٢٨.

(٢) لسان العرب: ٨/ ١٦٩ (سوع).

(٣) لا يتساوىٰ الليلُ والنهارُ في الحقيقة إلا مرتين في السنة، في الاعتدال الربيعي والاعتدال الخريفي، ويكون النهار أطولَ في الانقلاب الصيفي، وأَقْصَرَ في الانقلاب الشتوي.

(٤) صبح الأعشى: ٢/ ٣٨٤.

(٥) الثعالبيّ ـ فقه اللغة: ٣٢٨ ـ ٣٢٩، ولسان العرب: ٥/ ٤٥ (فجر).

(٦) وابتداؤه عند أهل الكتاب كذلك، ولكن اليونان والفرس يفتتحونه بطلوع الشمس ويختمونه بطلوعها في اليوم التالي، أما الرومان فيَعُدُّون منتصف الليل مبدأ اليوم، ومنتهاهُ عند منتصف الليل التالي.

غروب الشمس، وانقضاؤه حين غُروبها من اليوم القابل[1]، ولذلك صار التأريخُ عندهم بالليل من دون النهار[2]، لأن شهورهم مُقدَّرةٌ بمسير القمر، وأوائلَها مقدَّرةٌ برؤية الأَهِلَّة[3]، والهِلالُ أَوَّلُ ما يُرَىٰ عند مغيب الشمس[4]. ومُدَّةُ الليل من لَدُنْ غروب الشمس إلى طلوعها وظُهورِها من الأُفُق[5]، ومدَّةُ النهار أوَّلُها طلوعُ الشمس، وآخرها غُروبُها[6]. وقد جاء ذِكرُ «اليوم، والليل، والصبح» في نصوص المُسْنَدِ، دليلاً على أن عرب الجنوب عرفوا هذا التقسيم، على نحوِ ما عرفه عربُ الشمال، إنما لم يردْ فيها أسماءٌ خاصَّةٌ للأيام[7]، كما جاءت كلمةُ «اليوم» باللفظ نفسه في جميع اللغات السامية القديمة[8].

* * *

وكانت العربُ، في الجاهلية الأخيرة، تستعملُ لأيام الأسبوع أسماءً، قيل إن معانيها تُشير إلى أنها مَبْنيَّةٌ على قصة الخَلْقِ، كما ذُكرت في التوراة[9]. . . فالأَحَدُ بمعنى الأول، والإثنين بمعنى الثاني، والثلاثاء بمعنى الثالث، والأربعاء بمعنى الرابع، والخميس بمعنى الخامس[10]، والجُمُعَةُ

---

(١) الأزمنة والأنواء: ٢٨، وصبح الأعشى: ٢/ ٣٦٦، والمفصَّل: ٨/ ٤٦٥.
(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٥.
(٣) صبح الأعشى: ٢/ ٣٦٦، والمفصَّل: ٨/ ٤٤٥.
(٤) المرجع نفسه: ٢/ ٣٩٤.
(٥) المرجع نفسه: ٢/ ٣٦٧.
(٦) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٥، وصبح الأعشى: ٢/ ٣٧٦.
(٧) المفصَّل: ٧/ ٤٦٥، ٤٦٨.
(٨) لغات الشرق الأدنى القديم ـ مجلة عالم الفكر ـ المجلد الثاني: ١١٦١.
(٩) المسعوديّ ـ مروج الذهب: ٢/ ١٩١، والمفصَّل: ٨/ ٤٦٧.
(١٠) صبح الأعشى: ٢/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩، وأبو الطيب عبد الواحد بن علي ـ شجر الدرّ: ١٨٦ ـ ١٨٧.

بمعنى الجمع، وكان اسْمُهُ من قبلُ: عَرُوبَة، وأوَّلُ من سمَّاهُ الجمعةَ: كعبُ بن لُؤَيّ[1]، زعيمُ قريش في مطلع القرن الرابع الميلادي، وكلمةُ عَرُوبَةَ تعريبُ «أَرُبَا» النبطيَّة، أو «عَرُوبْتَا» السريانية[2]، أو «عريب» العبرانية، ومعناها جميعاً: «الغُروبُ»[3]، أو العَشِيَّةُ. وقد انتبه علماءُ العربية إلى هذا الإسم، فقالوا هو إسْمٌ قديمٌ ليوم الجمعة، وكأنه ليس بعربيّ[4]. . . أما اليوم السابع فهو السبت، وإنما سُمِّيَ بذلك لأن الخَلْق انقطع فيه[5].

ولم يكن العبرانيون يُسَمُّونَ أيام الأسبوع بأسماءٍ خاصَّةٍ، وإنما كانوا يعدُّونها حسب ترتيبها، فيقولون اليوم الأول، فالثاني، فالثالث. . . كما هي معانيها عند العرب، إلا يومَيْ الجمعة والسبت، فكانوا يسمُّون الجمعة: عريب شَبات، أي عَشِيَّة السبت، ويُسَمُّون السبت: يوم ـ ها ـ شبات، ومعناه يومُ الراحة، لاعتقادهم أن الله خلق العالم في ستة أيام، واستراح في السابع[6].

وإذا لاحظنا أن السُّبَاتَ في العربية معناهُ: الراحةُ، والنومُ، والانقطاعُ عن الحركة[7]، وأن اللغات العربية، والسريانية، والنبطية الإرَمِيَّة، والعبرية تنتمي كلُّها إلى أسرة اللغات السامِيَّة، ذات الأصول المشتركة، رَجحَ لدينا أن أسماء الأيام عند العرب بُنِيَتْ معانيها على عقيدةٍ دينيةٍ، لعلها أصلُ قصة

---

(١) خير الدين الزركلي ـ الأعلام: ٥/ ٢٢٨، وصبح الأعشى: ٢/ ٣٨٩.
(٢) المعلم بطرس البستاني ـ محيط المحيط: ٥٨٦ (عرب)، والمنجد في اللغة: ٤٩٥.
(٣) المفصَّل: ٨/ ٤٦٩.
(٤) لسان العرب: ١/ ٥٩٣ (عرب).
(٥) مروج الذهب: ٢/ ١٩١.
(٦) المفصَّل: ٨/ ٤٦٧ ـ ٤٦٨.
(٧) لسان العرب: ٢/ ٣٧ (سبت).

الخَلق، وربما كانت تعود إلى زمن إبراهيمَ عليه السلام، أو إلى مَن كان قبله[1]، ثم تَلقَّتْ عنها تلك الشعوبُ جميعاً عقائدها، ولا محلَّ للزَّعم إذن بأن العرب في الجاهليَّةِ نقلوا عِلْمهم بتقسيم الأيام، وتسمية كلٍّ منها، عن العبرانيين، لأن هؤلاء كالعرب، أخذوا جُلَّ عِلْمِهم عن البابليين والسريانيين[2].

* * *

٣ ـ الشهـرُ:

الشَهْرُ في الأصل من الشُّهْرة، وهي وضوحُ الأمر، سُمِّيَ بذلك لأنه يُشْهَرُ بالقمر، وفيه علامةُ ابتدائه، وعلامةُ انتهائه، وكانت العربُ إذا أَهَلَّ القمرُ قالت: رأيتُ الشهرَ، أي رأيتُ هِلالَه[3]. وتعني كلمة «سَهْرا» بالسريانية: القمر، والشهرَ القمريَّ[4].

وعددُ أيام الشهر العربي، كما رسمه أهلُ الحساب، تسعةٌ وعشرون يوماً ونصفُ يومٍ على التقريب. ولمّا كان إثباتُ هذا الكسْرِ غيرَ مُمكنٍ، جعلوا ستة أشهُرٍ من السنة تامَّةً، أي ثلاثين يوماً، وستةً ناقصةً، أي تسعةً وعشرين، وكلَّ شهرٍ تامٍّ يتلوه ناقص، وابتدؤوا بالمحرَّم فجعلوه

(١) تشهد الكتاباتُ المحفورة على الألواح المكتشَفة في مملكة إيبلا بسورية، والتي يعود زمنها إلى (٢٤٠٠ ـ ٢٢٥٠ ق. م»، أن الكنعانيين إخوانَ العرب، دوَّنوا قصة الخلق والطوفان مفصَّلةً في تلك الألواح، أي قبل نحوِ ألف سنة من ورودها في التوراة، وقبل أكثر من ثلاثة قرون على ظهور إبراهيم في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

«إيبلا منعطف التاريخ: ٣٨، ٧٢، ٧٧».

(٢) أسماء الأشهُر في العربية: ٣، ١٣، والمفصَّل: ٨/ ٤٣١، ٤٦٧.

(٣) لسان العرب: ٤/ ٤٣١ ـ ٤٣٢ (شهر).

(٤) لغات الشرق الأدنى ـ مجلة عالم الفكر ـ المجلد الثاني: ١١٠٣، ١١١٦، ١١٥٤.

تامّاً[١]، وفي كل ثالثةٍ من سِني العرب يومٌ زائدٌ يُكبَسُ على ذي الحجَّة، فيصير ثلاثين يوماً[٢] وتُسمَّى تلك السنةُ كبيسةً. . . «فهذا الذي رسمه أهلُ الحساب في الشهور العربية، وهو مبنيٌّ على حساب المُفَارقة[٣]، ولم تكن العربُ تعملُ به، وإنما كان اعتمادُهم على الأَهِلَّةِ، فكانوا يفتحون الشهر إذا رأوا الهلالَ. . . ثم لا ينقضي الشهرُ عندهم حتى يروا الهلالَ كَرَّةً أُخرى، فيبتدئون حينئذٍ شهراً ثانياً. . . ثم جاء الإسلامُ، فثبَّتَ ذلك، وأَلْزَمَ به في الصَّوْم والفِطْر والحجِّ»[٤]. . . وحسابُ المفارقة ربما وافق الرؤيةَ، وربما خالفَها، وخِلافُه لها هو الأكثر[٥].

فمُدَّةُ الشهر عند العرب في الجاهلية كانت إذن «من رؤية الهلال إلى رؤية الهلال، وذلك أسهلُ الطرُقِ وأقربُها»[٦]، والقمرُ يقطعُ الفلكَ في هذه المدَّة مرَّةً، فيأخذ كلَّ ليلةٍ في منزلٍ من منازله، ويقطعُها جميعاً في ثمانيةٍ وعشرين يوماً، فإن كان الشهرُ تسعةً وعشرين يوماً، اسْتَسَرَّ ليلةً، تُسمَّى ليلةَ السِّرَار، أي يختفي فيها عن الأبصار فلا يُرَى، فإن كان الشهرُ ثلاثين اسْتَسَرَّ ليلتين، قبل أن يَظهر هلالاً كَرَّةً أخرى. وهو يُسمَّى هِلالاً إلى ثلاث ليالٍ، ثم هو قمرٌ إلى آخر الشهر، ويُسمَّى بَدْراً في ليلة أربع عشرة لتمامه[٧].

---

(١) الأزمنة والأنواء: ٢٩، وصبح الأعشى: ٢/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥، وعجائب المخلوقات: ١٠٩.
(٢) الأزمنة والأنواء: ٣٤.
(٣) أي مُفَارقة كلّ شهر ما قبلَهُ بزيادة يوم أو نقصانه.
(٤) الأزمنة والأنواء: ٣٥ ـ ٣٦.
(٥) المرجع نفسه: ٣٨.
(٦) صبح الأعشى: ٢/ ٣٩٤.
(٧) الأزمنة والأنواء: ٨٤ ـ ٨٥، ٨٩، والأزمنة والأمكنة: ٦/ ٢٠٢، وصبح الأعشى: ٢/ ١٦٦، وعجائب المخلوقات وغرائب الموجودات: ٧٦.

وكانوا يُميِّزون لياليَ الشهرِ، بالأسماء التي أطلقوها عليها، فكلُّ ثلاثِ ليالٍ منها لها اسمٌ خاصٌّ بها، على حسب حالة القمر فيها... **فالثلاثُ الأولى: غُرَرٌ**، لأن بياضَها قليلٌ كالغُرَّة. **والثانيةُ: نُفَلٌ**، لأن الغُرَرَ كانت أصلاً وهذه زيادةٌ عليها، **والثالثة: بُهْرٌ**، يغلبُ فيها ضوءُ القمر ضوءَ النجومِ، **والرابعةُ: زُهْرٌ**، لبياضِها، **والخامسةُ: بِيضٌ**، لأن القمر يطلعُ فيها من أولها إلى آخرها، **والسادسةُ: دُرَعٌ**، لسواد أوائلها وبياضِ سائرها، **والسابعةُ: ظُلَمٌ**، لغَلَبةِ السَّوادِ عليها، **والثامنةُ: حَنَادِسُ**، لشِدَّة سَوادِهِنَّ، **والتاسعة: مِحَاقٌ**، يَمَّحِقُ فيها الهلالُ، **والعاشرةُ: الدَّآدِءُ**، والدَّأْدَأَةُ شِدَّةُ الظلمة، وفيها يَسْتَسِرُّ القمرُ ليلةً أو ليلتين، فلا يُرَى غدوةً ولا عشيةً، وتُسمَّى ليلةُ الثامن والعشرين الدَّعْجاءَ، والتاسعِ والعشرينِ الدَّهْماءَ، والثلاثينَ الليلاءَ، وهي الثلاثُ الدَّآدِءُ[1].

وعِدَّةُ الشهور عند العرب إثنا عشر شهراً، أوَّلُها: المحرَّمُ[2]، وكان أهلُ الجاهلية يُسَمُّونَ المحرَّمَ صَفَراً، فيقولون: صَفَرٌ الأولُ، وصَفَرٌ الآخِرُ، وربيعٌ الأولُ، وربيعٌ الآخِرُ، وجُمادَىٰ الأُولى، وجُمَادَى الآخِرةُ، ورَجَبٌ، وشَعْبانُ، ورَمَضانُ، وشَوَّالٌ، وذو القَعْدَةِ، وذو الحجة[3].

---

(١) الأزمنة والأنواء: ٨٥، ٨٧، وصبح الأعشى: ٢/ ٣٩٦، ولسان العرب: ١/ ٧٠ (دأدأ)، و ٤/ ٨١ (بهـر)، و ٤/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ (زهـر)، و ٦/ ٥٨ (حنـدس)، و ٧/ ١٢٤ (بيـض)، و ٨/ ٨٣ (درع)، و ١٠/ ٣٣٩ (محـق)، و ١١/ ٦٧٣ (نفـل)، و ١٢/ ٢١٠ (دهـم)، و ١٢/ ٣٧٨ (ظلم)، ومروج الذهب: ٢/ ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) مروج الذهب: ٢/ ١٨٨، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٠١.

(٣) أخبار مكة: ١/ ١٨٣، والأزمنة والأنواء: ٣٤ ـ ٣٥، والسيرة لابن هشام: ١/ ٤٤، والمرتضَى الزبيدي ـ تاج العروس: ١٢/ ٣٣٠ (صفر).

٤ ـ السَّنَــةُ:

كلمةٌ من المُفْرَداتِ العربية القديمة، جاءت بلَفْظها ومَعْناها في كل لهجات العرب، وجاءت كذلك في اللغات الساميَّةِ كافة[١]، مثلما جاءت كلمةُ الشَّهْرِ أيضاً واحدةً فيها جميعاً. وهو ما يَقْطعُ بأن دلاَلتها في الأصل كانت واحدةً، في جزيرة العرب كما في بلاد الشام والعراق. أي أن السنة عندهم مُدَّةٌ معلومةٌ ثابتةٌ من الزمن، وهي مِقْدارُ دورةٍ تامَّةٍ للشمس، عند مَن يتَّخِذون الشمسَ وبُروجَها مِعْياراً لقياسِ الزمن، ومعرفةِ الفصول واختلافِها. وهي كذلك المِقْدارُ نَفْسُه لِدَوْرةٍ تامَّةٍ يَقْطعُها منزلٌ من منازلِ القمر الثمانيةِ والعشرين، عند مَنْ يتَّخِذُونَ القمرَ ومَنازِلَه أعلاماً على انتقال الزمان، وتَقَلُّب الفُصول، ومن هؤلاءِ كان العربُ، وهذا ما أكَّدهُ قولُه تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ** ﴾[٢]، فالعلمُ بعدَدِ السنين يقومُ على دورة منازل القمر، وليس على دوْرة القمر نفسِه، ومَسِيرُ القمر إنما هو للعلم بعَددِ الشهورِ، لا للعِلْم بعَددِ السنين، أو بالمقدار الصحيح الثابت لأيام السنة.

ويأتي في العربية بمعنى السنةِ: العامُ والحَوْلُ. وربما وقع استعمالُ السنةِ على زَمن الجَدْبِ، والعامِ على زمن الخِصْب، والحَوْلِ على الخِصْب والجَدْبِ جميعاً[٣]. وحال عليه الحَوْلُ، أي أتَتْ عليه سنةٌ تامَّةٌ[٤]، فالحَوْلُ سنةٌ بأَسْرِها، يأتي على شَتْوةٍ وصَيْفَةٍ[٥]، وكانت العربُ تجعلُ السنةَ نصفين:

---

(١) المفصَّل: ٨/ ٤٣٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٥.

(٣) صبح الأعشى: ٢/ ٤٢٣ ـ ٤٢٤.

(٤) لسان العرب: ١١/ ١٨٤ (حول).

(٥) المرجع نفسه: ١٣/ ٥٠١ (سنه)، و ١٢/ ٤٣١ (عوم).

شتاءً وصيفاً[١]، فسُقوطُ منزلة «الصَّرْفة» في أُفُق المغْربِ علامةٌ على انصرام نصفِ السنة الشَّتوي، وطلوعُها علامةٌ على انصرام نصفِ السنة الصيفي[٢]، وقد سُمِّيَتْ صَرْفَةً لانْصرافِ البرد عند سُقوطها، وانصرافِ الحَرِّ عند طلوعها[٣]. . . وهذا يُثْبِتُ أن تقدير العرب للسنة التامّة، قائمٌ على النظر في طلوع منازل القمر وسُقُوطِها، وحسابُ هذه النجوم كحساب سنة الشمس تماماً، في الفُصول، وفي عَددِ الأيام.

وتأتي كلمة الخريف أيضاً بمعنى السنة، أو العام والحَوْلِ، في لغات العرب الشمالية والجنوبية على السواء[٤]. ولعلَّ العِلَّةَ في هذه التسْمية أن فصل الخريف كان أوّلَ الأزمنة عند العرب، وأوّل السنة، كما عند كثيرٍ من الأمم، وهو الفصلُ الذي تُخْتَرفُ فيه الثِّمارُ، أي تُصْرَمُ وتُجْتَنَى[٥]، وهو إلى ذلك من أكثر الأوقات وضوحاً في جزيرة العرب، ولا سيما في جنوبها. . .

والسنةُ عُموماً هي المدَّةُ الجامعةُ للفُصول الأربعة، ومقْدارُها عند السريانيين والروم إثنا عشر شهراً شمسيةً، فيكون عَدَدُ أيامها ثلاثَ مئة وخمسةً وستين يوماً ورُبْع اليوم، ومقدارُها عند العرب واليونانيين والعبرانيين إثنا عشَرَ شهراً قمريّةً، فيكون عددُ أيامها ثلاثَ مئةٍ وأربعةً وخمسين يوماً وثلث اليوم، أي أنْقَصَ من عِدَّة السنة الطبيعية بأحَدَ عشَر يوماً تقريباً، فكان هؤلاء يزيدون شهراً كلَّ ثلاثِ سنين، وربما كلَّ سنتين، فتكون الثالثةُ، أو

---

(١) الأزمنة والأمكنة: ١/١٦٣، والأزمنة والأنواء: ٩٧.

(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/١٧٠.

(٣) عجائب المخلوقات: ٨٠، والأزمنة والأنواء: ١٥٠، والأزمنة والأمكنة: ١/١٩١، ولسان العرب: ٩/١٨٩ (صرف).

(٤) المفصَّل: ٨/٤٣٨.

(٥) لسان العرب: ٩/٦٤ (خرف).

الثانيَةُ من سِنِيهم ثلاثَةَ عشر شَهْراً قمرياً، وكانوا يُسَمُّونَها الكبيسَة، يفعلون ذلك في كلِّ تسع عشرة سنةً، سبعَ مرّاتٍ، فيستوي لهم بذلك حسابُ شهور القمر مع حساب الشمسِ ومنازِلِ القمر على السواء، فتكون شهورُهم ثابتةً في الأزمنة، غيرَ منتقلةٍ عن أوقاتها التي حُدِّثْ فيها من الفصول الأربعة، فإن لم يفعلوا ذلك، صارت شهورُهم دائرةً في الأزمنة، غيرَ مُسْتَقِرَّةٍ فيها، يكونُ الشهرُ منها في زَمَنِ شِدَّةِ البرد، فلا يلبث حتى يُرَى بعد ذلك في زَمَن شدَّة الحرّ[1]. وهو ما سنبحثه مُفصَّلاً في الفصل الذي عَقَدْناهُ للكلام على النَّسِيء والنَّسَأة.

* * *

وقد كانت العربُ في الجاهلية تكْبِسُ سِنِيها على هذا النَّحْوِ، وتُسَمِّيهِ النَّسِيءَ، أي التأخير، لأن كلَّ سنةٍ كبيسةٍ، إذا زيد عليها شهرٌ، تقتضي تأخيرَ مطلعِ السنة التي تليها شهراً، فكانت شهورُهم بذلك ثابتةً في الفصول، ومواسمُهم مُستقرَّةً في الأزمنة، لكلٍّ منها زمنٌ معلومٌ لا يَعْدوهُ، لما يتعلّق به من الحقوق والواجبات... ومن مُصْطَلَحاتِهم في الجاهلية كَلِمتا: «الأَوْزُ والأَرْزُ، وكانت دَلالتُهما على حسابٍ من مجاري القمر، وهو فُضُولُ ما يدخلُ بين الشهور والسنين»[2]... أي الشهور القمرية والسنة الشمسية. ولكنَّ المستشرق «نِلِّينو»[3]، نَفَى أن يكون العربُ في الجاهلية عرفوا

(١) الأزمنة والأنواء: ٣٠ ـ ٣٢، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٨، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٧٤.

(٢) لسان العرب: ٥/ ٣٠٨ (أزز)، و ٥/ ٣٠٩ (أوز).

(٣) كارلو ألفونسو نِلِّينو: (١٨٧٢ ـ ١٩٣٨ م)، مستشرق إيطالي، عالم بالجغرافية والفلك عند العرب، عارف بالإسلام ومذاهبه، مُطَّلِع على تاريخ اليمن القديم وخطوطه ولهجاته. درس العربية والسريانية والعبرية، وألقى محاضراتٍ في مصر بالعربية، جُمِعت خلاصتُها في كتاب سُمِّي «علم الفلك ـ تاريخه عند العرب في القرون الوسطى».

النَّسيءَ، أو وَقَفُوا عليه[١]، وعَدَّ أخباره في كُتُب العرب من قبيل الظنِّ والتخمين[٢]. ولعلَّ خير ما يَدْحَضُ ما ذهب إليه هذا الرجُل، أن القرآن الكريم نزل بإبطال النَّسيء، وذَمَّ فِعْلَه، ولولا وجودُه لم يَنْهَ عنه، ولا أكَّد أن عِدَّةَ الشهور عند اللّهِ إثنا عشر شهراً لا غير. . .

ولا أَسْتبعِدُ، في غياب النصوص الواضحة، ومع التشَابُهِ في أسماء بعض الشهور والفصول، أن يكون عربُ الجنوب قد اتَّخَذُوا، على شاكلة عرب الحجاز، تقويماً شمسيّاً في حسابِ السنين ومعرفةِ الفُصول، وقمريّاً في حسابِ الشهور ومعرفةِ الآجَال المتعلِّقَة بأعمالهم اليوميَّة، وأن يكونوا اعتمدوا الكَبْسَ، على نحوٍ ما، لإلْحَاق حساب القمر بحساب الشمس.

ويقال إن المصريين كانوا أَقْدمَ مَنِ اعْتَمَدَ حسابَ السنة الشمسيَّة في تقويمهم، وكان ابتداءُ السنة عندهم في اليوم الذي يطلع فيه كوكبُ الشِّعْرىٰ اليمانيَّة أو العَبُور، وقتَ شروق الشمس أو قبله بقليل. وكانت عِدَّةُ السنةِ هذه ثلاثَ مئةٍ وخمسةً وستين يوماً ورُبْعَ اليوم. وكانت الشِّعْرىٰ تطلع في التاسع عشر من شهر تموز، ثم لاحَظَ الفلكيون بعد ذلك أن طلوع الشِّعْرى لم يعد مُتَّفِقاً وشروق الشمس في الوقت نفسه، فكان لا بُدَّ من استعمال الكبْس أو النسيء لإلْحاق سنة الشِّعْرى بسنة الشمس[٣]. وقد ذكر القلقشندي فيما بعد أن المصريين اصطلحوا على أن جعلوا شَهْرَهم ثلاثين يوما، فإذا انقضَتِ الإثنا عشر شهراً، أضافوا إليها خمسة أيام يُسَمُّونها أيام النسيء، يفعلون ذلك ثلاثَ سنين متوالية، وفي الرابعة يضيفون ستة أيام، أي بزيادة

---

(١) المفصَّل: ٨/٤٢٧.

(٢) الأزمنة والأنواء: ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) أسماء الأشهُر في العربية: ٨ ـ ٩.

يومٍ تكوَّن من رُبْع اليوم في السنين الأربع. وكانوا من قبلُ يتركون هذا الرُّبْعَ إلى أن تجتمعِ منه أيامُ سنةٍ كاملة، في مُدَّةَ ألفِ وأربع مئةٍ وإحدىٰ وستّينَ سنةً[1]... ذكرتُ هذا لأؤكِّدَ أن العرب كانوا قطعاً مُطَّلِعين كذلك على تقويم المصريين، ولا سيما أن طائفةً منهم كانت تعبُدُ الشِّعْرَى، وأن التجارة كانت قائمةً بين الأُمَّتَيْن، يتردَّدُ فيها العربُ إلى مصر، والمصريُّون إلى بلاد العرب.

* * *

(١) صبح الأعشى: ٢/٤٢٦.

الفصل الثاني

شهور العرب ومواقعها من الفصول

المطلب الأول ـ شهور العرب، أسماؤها ومعانيها ودلالتها:

إن الشهور التي نبتغي الحديثَ عنها في هذا الموضع، هي شهورُ العرب في مناطق نَجْدٍ والحجازِ وتهامة والعَروض وما اتصل بها، وهي التي أجمع أهلُ الأخبار على أنها كانت مُتَّبعَةً عند العرب في الجاهلية الأخيرة، ثم ثَبَّتَها الإسلامُ على ما كانت عليه، من حيثُ الترتيبُ والتعاقُبُ، ولكنه أبْطَلَ النسيءَ، فصارتْ دائرةً في الفُصول، وخَلَتْ أسماؤها من معانيها، وباتَتْ لا تعني شيئاً مما وُضِعَتْ في الأصل للدلالة عليه... ولا بُدَّ لنا من الإشارة إلى صعوبة الحديث عن الشهور التي كانت مُتَّبَعَةً عند عرب الجنوب، لأن أسماءها وُجِدت، في النصوص السَّبَئِيَّةِ والحِمْيَرِيَّة، مُتفرِّقةً، مُنْفَلِتةً من المواقع الزمنيَّةِ التي حُدِّثْ فيها، وما يزالُ عَسِيراً حتى الآن، تثبيتُ هذه المواقع في ترتيبٍ زَمَنيٍّ يُعِيدُها إلى مثل ما كانت عليه. غير أن البحث في معاني بعض أسمائها، دَلَّ على أن منها ما كان له علاقةٌ بالمواسم الدينية، ومنها ما له علاقةٌ بالمواسم الطبيعية، فإنَّ «وَرْخُنْ ذو الألت»[1] مثلاً، معناهُ

(١) ورخن: إضافةُ النون أو الميم إلى آخِرِ الأسماءِ، في اللغات السبئيَّة والحِمْيَريَّة والبابليَّة، كالتنوين في العربية، والواو في آخر الكلمات البابلية كالضمَّة في العربية. فقولهم: وَرْخُن، قَيْظن مثلاً، كقولنا: وَرْخٌ، قَيْظٌ... وربما كان شهر ذو الألت يقابل شهر رجب أو المحرَّم.

شهرُ الإلَه، و «ذو حجتن» معناه شهرُ الحجّ، وهو يُقابِلُ شهرَ ذي الحجة عند عرب الحجاز، و «ذو عَثْتَر» معناهُ شهرُ عشتار، أو عشتروت، وهي كوكبُ الزُّهرة، وربما كان يُقابل شهرَ أيلول عند البابليين والسِّريان... ومن الواضح أن هذه الشهور تُشِير إلى بعض المواسم الدينية، وهنالك شهورٌ أخرى تُشِير معانيها إلى المواسم الطبيعية، مثل «وَرْخُنْ ذو دَثَأ» وهو من شهور الربيع، و «ذو خَرفن» وهو من شهور المطر والشتاء، و «ذو قَيْظُنْ» وهو من شهور الحرِّ، ولعله يُقابل شهرَ «رمضانَ» عند عربِ الحجاز، وشهرَ «حَزيران» عند أهل الشام والعراق. ويُلاحَظُ أنهم كانوا يُضِيفُون لفظتَيْ: «قدمنْ وأخرُنْ» إلى بعض الشهور، وهما بمعنى: المُقَدَّم أو الأول، والآخِر أو الثاني، مثل: «وَرْخُنْ ذو نسور قدمُنْ، ووَرْخُنْ ذو نسور أخرُنْ»، وذلك على غِرَارِ شُهورِ العرب الأُخرى، مثل: ربيع الأول وربيع الآخِر، وشُهورِ السريان، مثل: تشري قِدْمُ وتشري أحري[1]، أي تشرين المقدَّم أو الأول، وتشرين الآخِر أو الثاني[2]. وهذا كلُّه دليلٌ على وحدة الأُصول في التقسيم الزَّمَنيِّ عند شعوب العرب جميعاً.

أمّا الشهورُ السريانيَّةُ، فمنذ عَمَدَ السريانيُّون حتى لا يلحقَهم النسيءُ إلى جَعْل سنتهم إثنيْ عشَرَ شهراً اسْتَوفوا فيها أيامَ السنةِ الشمسيَّةِ كلَّها، فكانت وما تزالُ مُتَّبعةً عند أهل الشام والعراق، وهي ثابتةٌ في الأزمنة التي حُدِّتْ فيها لم تتحوَّلْ عنها، لأن حسابها قائمٌ على مَسير الشمس، بمقدار

(١) إن الحروف: «ث خ ذ ض ظ غ» غير موجودة في السريانيَّة والعبريَّة والكلدانيَّة، فالحاءُ في كلمة «أَحْرَيْ» هي خاء، فيكون معناها: الآخر. وقد جاءت كلمة «قِدْمُو» في البابلية بمعنى المقدَّم.

(٢) أسماء الأشهر في العربية: ٢٦ ـ ٣٠، والمفصَّل: ٨/٤٤٨ ـ ٤٥١.

بُرْجٍ من بروج الفلك، وهو ثلاثون يوماً ونصفُ يوم على التقريب، وقد أُكمل الكَسْرُ في بعضها فصار واحداً وثلاثين يوماً، وأُسْقِطَ من بعضها فصار ثلاثين يوماً لا غير[1]، وجُعل شهر شباط ثمانيةً وعشرين يوماً، وفي كل رابعة من سنيهم يكبسون به يوماً فيصير تسعةً وعشرين يوماً ويُسَمُّون تلك السنةَ كبيسةً، لأن في كل سنة فضْلَ رُبْعِ يومٍ يَصيرُ يوماً كل أربع سنين[2]... بينما حسابُ شهور العرب قائمٌ على مَسير القمر، من حينِ يُفارقُ الشمسَ، إلى أن يُفارقَها المرةَ التاليةَ، فيكونُ بين الحِسَابَيْن فرقُ أحَدَ عَشَرَ يوماً[3]، إنْ لم يَجْرِ كَبْسُها صارت شهورُ العرب دائرةً في الفُصول الأربعة.

وقد لاحظ أهلُ الأخبار أن شُهورَ العرب، لم تَعُدْ معانيها، كما في الجاهلية وصَدْر الإسلام، تَصِحُّ للدَّلالة على الزمن الذي حُدِّدَتْ فيه أصلاً، فرمَضَانُ مثلاً إنما هو من الرَّمَضِ، أي شدَّة الحرِّ، وهذا يعني أنه من شهور الصيف، بينما هو اليوم مُتَنَقِّلٌ في كل المواسم الطبيعية، فعَمَدُوا إلى تَكلُّفِ التفاسير، والتَّزَيُّد في المعاني، من أجل تبرير ذلك الدَّوَران، كعادتهم عندما يُواجِهون أسماءَ لا يعرفون عن أصلها شيئاً[4]، أو لا يُريدون أن يعرفَ الناسُ عنها شيئاً. ومن الممكن رَدُّ أقوالهم في هذا الأمر إلى وَجْهين، أحَدُهما: أن العربَ، حينما سمَّوْا شهورَهم، كانوا من الغَفْلةِ بحيث لم يلحظوا أنها ستدور في المواسم والفصول... والآخَرُ: اصطناعُ مَعَانٍ غريبةٍ لأسماء الشهور، تَخرجُ بها عمَّا وُضِعتْ للدلالة عليه من أقسام الزمن.

---

(١) الأزمنة والأنواء: ٢٩ ـ ٣٠، ٤٩، ٥١.

(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٧٢، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٢٧.

(٣) صبح الأعشى: ٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥.

(٤) المفصَّل: ٨/ ٤٥٩.

والأمثلة على ذلك كثيرة، فقد أكَّدَ الشيخُ السَّخَاويُّ[1]: «أن جُمَادَىٰ سُمِّيَ بذلك لجمود الماء فيه، وكانت الشهورُ في حسابهم لا تَدُورُ»، أي أن الشهور في الجاهلية كانت ثابتةً لا تدورُ في الفصول، فعلَّق عليه ابنُ كثير بقوله: «إن شهورهم كانت مَنُوطةً بالأَهِلَّة، فلا بُدَّ من دَوَرانها، فلعلَّهم سمَّوْهُ بذلك أوَّلَ ما سُمِّي، عند جُمود الماء في البرد...»[2]. ومثلهُ قولُ المسعوديّ، في شَهْرَيْ جُمَادَى إنهما سُمِّيا بذلك «لجمود الماء فيهما، في الزمان الذي سُمِّيت به هذه الشهور، لأنهم لم يعلموا أن الحرَّ والبردَ يدوران، فتنتقلُ أوقاتُ ذلك...»[3]، والمعلوم أن الحرَّ والبرْدَ مَوْسمانِ ثابتان في زَمَنَيْهما لا يدوران، وهذا دليلٌ على جهله هو لا جهلَ العرب! ومِثلُه قولُه في شَهرَيْ ربيع إنهما إنما سُمِّيا بذلك لارْتباع الناس فيهما، في وقتِ تَسْمِيَتِهما بذلك، وقد لَزِمَهُما الإسمُ مع انتقال الزمان واختلافه[4]... مع أنه ذكر في مطلع كلامه أن العرب في الجاهلية كانت تكبسُ، في كل ثلاث سنين، شهراً[5]... ومن المؤكد أنها كانت تفعلُ ذلك لتثبيت شهورها في الأزمنة، ولكنه لم يَفْطُنْ للأمر، لأنه رأى الشهور العربية كما صارت إليه في أيامه، ولم يعلم بأن إبْطَالَ النَّسِيء، أو الكبسِ، هو الذي أطْلَقَها من حُدود الأزمنة التي رُسِمتْ لها، ورُتِّبَتْ فيها[6]، فقال: إن «شهور الروم

---

(١) **السَّخاوي**: (٥٥٨ ـ ٦٤٣ هـ = ١١٦٣ ـ ١٢٤٥ م)، عليُّ بنُ محمد الهمدانيُّ المصريُّ، أبو الحسن، علمُ الدين. عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير. أصله من سَخَا بمصر، وسكن بدمشق، وتوفي فيها، ودُفن بقاسيون. له مُصنَّفاتٌ فقهيةٌ ودينيةٌ.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥.

(٣) مروج الذهب: ٢/ ١٨٩.

(٤) المرجع نفسه: ٢/ ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٥) المرجع نفسه: ٢/ ١٨٨.

(٦) المفصَّل: ٨/ ٤٦٢.

مرسومةٌ على فصول السنة، دون شُهورِ العرب، وشهورُ العرب ليست مُرَتَّبةً على فصولِ السنة، ولا حسابِ سنةِ الشمس، بل المحرَّمُ، وغيرُه من الشهور العربية، قد يقع تارةً في الربيع، وتارةً في غيره من فصول السنة»[1]. وهذا نفسُه ما ذهب إليه القلقشندي، بقوله في شهريْ جُمادَى: إنهما سُمِّيا بذلك لجمود الماء فيهما، ثم تذكَّر أنهما في زَمَنِهِ لا يَثْبُتانِ على هذه الحال، فاستدرك قائلاً: «. . . لأن الوقت الذي سُمِّيا فيه بذلك، كان الماءُ فيه جامداً لشِدَّة البرد»[2].

وهكذا، إذا استثنينا السَّخَاويَّ، الذي أدرك أن شهورَ العرب كان يجري تثبيتُها لئَلاّ تدورَ في الفصول، فإن الآخَرينَ جميعاً أضافوا الغَفْلَةَ إلى العرب، وزعموا أنهم لم يَفْطُنوا لِدَورانِ الشهور القمرية، فما لبثت حتى فقدت أسماؤها معانيها. وأشدُّ غرابةً من هذا المذهب، أن بعضهم جَعل القتالَ، والكَفَّ عنه، عِلَّةً في تسمية بعض الشهور بأسمائها! من ذلك زَعْمُهم أن شهر شعبانَ سُمِّيَ بذلك لتَشَعُّبِ القبائل فيه من أجل الغارات والقتال، أو لكثرة غاراتهم فيه، بعد امتناعهم عنها في شهر رجب المحرَّم، وأن شهر صفَرٍ سُمِّيَ بذلك لخُلُوِّ ديارهم منهم حين يخرجون إلى القتال، أو لأنهم كانوا يُغِيرون فيه على بلادٍ يُقال لها الصَّفَرِيَّةُ، وأن شهر ذي القعدة سُمِّي بذلك لِقُعودهم فيه عن القتال[3]. . . وكأن القتالَ أمرٌ محتومٌ، أو قَدَرٌ مَقْدورٌ على هذه الأُمَّة، فكان لا بُدَّ لها من تنظيم أوقاته، فجعلتْ له مواسمَ ثابتةً في

---

(١) مروج الذهب: ٢/ ١٩٢.

(٢) صبح الأعشى: ٢/ ٤٠١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٠١ ـ ٤٠٢، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٨، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٨، ٢٧٧.

شهورٍ مُعيَّنةٍ، تخرجُ فيها من ديارها، ليُغِيرَ بعضُها على بعض، فما يزالون على قتالهم وغاراتهم، حتى يَرَوْا هلالَ الشهر الجديد، فيمتنعون من القتال، ويعودون إلى ديارهم!... ثم إننا نفهمُ الصَّفَرِيَّة أنها مَنْسُوبةٌ إلى الصَّفَر، والنِّسْبَةُ، كما نَعلمُ، إلحاقُ آخرِ الإسم ياءً مُشَدَّدَةً للدلالة على نِسْبَةِ شيءٍ إليه، فإن كان صدقاً زَعْمُ أهل الأخبار، فالصَّفَرِيَّةُ مَنْسُوبةٌ إلى الصَّفَر، مُسَمَّاةٌ به، وليس العكس، ويكون كلامُهم في ذلك باطلاً إذن، وتكون الصَّفَرِيَّةُ إسماً لزمنٍ مُعيَّن، أو فصلٍ ثابتٍ من فصول السنة، يقع في شهريْ صَفَر، وليست قطعاً إسماً للتفاهات التي زعموها.

لا شك في أن كلَّ هذه المذاهبِ لَغْوٌ، وتَزَيُّدٌ في التأويل، وتكلُّفٌ للمعاني، ولا أساس لها من الصِحَّة أو الحقيقة، وسَنتبيَّنُ ذلك بوضوحٍ وجلاءٍ في استقرائنا أسماءَ شهور العرب، ومُتَابَعتِنا أصولَ معانيها في مختلف المراجع، ولا سيما اللغويّةِ منها، لأن اللغة مستودَعُ تُراثِ الأمة، وتقاليدِها، وثقافتها. وإنَّ لفي تسمية الشهور وترتيبها، وتثبيت مواعيدها في الفصول، وجهاً جَلِيّاً واضحاً من وجوه الارتقاءِ والتقدُّم.

* * *

①- شَهْرا صَفَر:

الصَّفَرانِ شهرانِ من السنة عند العرب في الجاهلية، سُمِّيَ أوَّلُهما في الإسلام المحرَّم[1]. وكان أهلُ الجاهلية يقولون: صَفَرٌ الأوَّلُ، وصَفَرٌ الآخِرُ[2]. وكان صَفَرٌ الأولُ مُحرَّماً عندهم، ويبدو أن اسْمه كان وقتئذٍ صَفَراً

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٤٦٣، وتاج العروس: ١٢/ ٣٣١ (صفر).

(٢) أخبار مكة: ١/ ٢٨٣، وصحيح البخاري: ٥/ ٥١.

الأولَ المحرَّم، بدليل أن فقيه العرب كان، إذا أراد رَفْعَ الحُرْمَةِ عنه وجَعْلَها في شهرٍ آخَرَ، يقول: اللهم إني قد أحْلَلْتُ أحَدَ الصَّفَرَيْن، الصَّفَرَ الأوّلَ[1]. . . وقيل إنه كان يُعْرفُ أيضاً بشَهْرِ الله[2]، وذكَر ابنُ منظورٍ أن النبيَّ عليه السلامُ سُئِل: «أيُّ الصَّوْم أفضلُ بعد شهر رمضان؟ فقال: شهرُ اللَّهِ، المحرَّمُ»[3]، أضافَهُ إلى الله تأكيداً لحُرْمته. فالمحرَّمُ نَعْتٌ لهذا الشهر، لا إسْماً له، وإنما صار في الإسلام له إسماً، لا يُعرَفُ بغيره[4]، لئلاَّ يستمرَّ التقلُّبُ به تحليلاً وتحريماً[5]. وهو الشهرُ الأوَّلُ من السنة العربية، هكذا كان في الجاهلية، وعلى ذلك أبقاهُ الإسلامُ[6].

والعِلَّةُ في تسمية هذين الشهرين بإضافتهما إلى الصَّفَرِ، لا تخرج عند أهل الأخبار عن أمرين، الأولُ: زَعْمُهم أن العربَ كانت في الجاهلية تغزو مواضِعَ تمتارُ منها الطعامَ، تُسمَّىٰ الصَّفَرِيَّة. والثاني: أن ديار العرب كانت تخلو في هذا الوقت من أهلها بخُروجهم إلى الغَزْوِ أو الحرب[7]. وعَرَضَ ابنُ منظور لهذه الأقوال، وقد فَطِنَ إلى بعض ما فيها من الخَلَل، فحاول سَدَّهُ، فذكر أن بعضهم قال في عِلَّة التسمية: لأنهم كانوا يمتارون الطعامَ فيه من المواضع! ولم يُعيِّن الصفَرِيَّة، وبعضهم قال: لإصْفار مكةَ من أهلها إذا

---

(١) السيرة لابن هشام: ١/ ٤٤.

(٢) ابن جرير الطبري ـ تاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٠، ولسان العرب: ١٢/ ١٢١ (حرم)، وأسماء الأشهر في العربية: ٥٦.

(٣) لسان العرب: ٤/ ٤٣٢ (صفر).

(٤) المفصَّل: ٨/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩،

(٥) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥.

(٦) المفصَّل: ٨/ ٤٦٠، ٤٨٢ ـ ٤٨٣.

(٧) الأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٧٧، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٠١، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٨، وعجائب المخلوقات: ١١١ . . .

سافروا! وبعضهم قال: لأنهم كانوا يغزون في هذا الزمن القبائلَ، فيتركون مَن لَقوا صِفْراً من المتاع، ويقولون صَفِرَ الناسُ منا صَفَراً[1]. . . وقد ذَهبَ الزبيديُّ المذهبَ نفسَه[2]، ولم نخرج من كلامه بطائل. . . فما علاقةُ الصَّفَر بامْتِيارِهم الطعامَ من المواضع؟ وماذا لو لم يُسافِرْ أهلُ مكة؟ وإذا سافروا، وظلَّ أهلُ نَجْدٍ في ديارهم، فهل يكون اسمُ الشهر عند هولاء عِمَارَةً، وعند أولئك صَفَراً؟ وإذا تركوا مَنْ غَزَوْهُم مرةً صِفْراً من المتاع، وقالوا صَفِرَ الناسُ منا صَفَراً، فصار الصَّفَرُ إسماً للشهر، فماذا لو انهزموا ووَلُّوا مُدْبِرينَ من غير متاع، فماذا يُسَمُّون الشهرَ حينئذٍ؟ وماذا لو قَدَّمُوا موعدَ الغَزْوِ في السنين التالية، أو أَخَّرُوهُ، أو لم يخرجوا إلى الغزو، هل يُغَيَّرُ اسمُ الشهر، أم يَظلُّ على حاله؟ وأمّا الصفَريَّةُ، فليس في معاجم البلدان موضعٌ بهذا الإسم، ولقد كان ياقوتُ الحمويُّ[3]، بحَّاثـةً مُـدَقِّقاً، فنصَّ في أول هذه المادة، أن الصَّفَر هو الخُلُوُّ أو الخَلاءُ، ولم يَرِدْ على أن هنالك جبلاً بنجْدٍ إسمه صَفَر[4]. . .

ومن الواضح أن هذا الكلام كلَّه هَذَرٌ لا يُعْبَـءُ به، إلاَّ إشارةً للمرزوقي، في موضعٍ آخَر، إلى أن شهرَيْ صَفَرٍ نُسِبَا إلى الزمان الذي يُسمَّى الصَّفَرِيَّ[5]، وهي إشارةٌ جيِّدةٌ، لكنها مقلوبةٌ، فالزمنُ الصفَريُّ نُسِبَ إلى شهرَيْ صَفَر، وليس العكس، وهو دليل على ثبات هذين الشهرين وقتئذٍ في مَوْقعهما من

(١) لسان العرب: ٤/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣ (صفر).

(٢) تاج العروس: ١٢/ ٣٣٠ (صفر).

(٣) ياقوت الحموي: أبو عبد الله، شهابُ الدين ياقوتُ بن عبد الله. مؤرِّخٌ ثِقةٌ، من أئمة الجغرافيين والمؤرِّخين، عالم بالأدب واللغة. أشهر كتبه: معجم البلدان. توفي سنة (٦٢٦ هـ).

(٤) معجم البلدان: ٣/ ٤١٣.

(٥) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٨.

الزمن. . . وإلا فكرةٌ أُخرى هي خُلُوُّ الديارِ من ساكنيها، ولكنْ لغَرضٍ آخَر غير القتال والغزو. ويجب علينا إذا أردنا الْتِماسَ العِلَّةِ الصحيحة وراءَ تلك التسْمِيَة، أن نعودَ أولاً إلى فقه اللغة، ثم إلى ما جرت به عادةُ العرب في مواسمهم. فإذا رجعنا إلى معاجم اللغة وجدنا فيها ثلاثةَ معَانٍ رئيسةٍ تدلُّ عليها كلمةُ «صَفَر»: **الأولُ ـ الصُّفْرَةُ**، وهي لونُ الأصفر، **الثاني ـ الصُّفُورَةُ**، وهي الخُلُوُّ والفَراغُ، **والثالث ـ الصَّفِيرُ**[1]، وهو حِدَّةُ الصَّوْتِ، كالصوتِ الخارج عن ضَغْطِ ثُقْب[2]. وإذا رجعنا إلى ما جرت به عادةُ العرب في مواسمهم، وجدنا أن لهم مَوْسِمَيْن للظَّعْن، والظَّعْنُ هو الارتحالُ عن الديار، طلَباً للكلأ، وتَتَبُّعاً لمساقط الغيث، واجتناءً للثمار، ويُسمَّىٰ أيضاً موسمَ التَبدِّي أو التَربُّع، لأنه مُراجَعةٌ للبَداوَةِ، وانتجاعٌ للمَرَابِع في البوادي والأرياف. **فأمّا الموسم الأولُ**: فيقعُ في الخريف، بين إدْبارِ القَيْظِ وإقْبالِ الشتاء، وقد سمَّتْهُ العربُ تَبَدِّياً، لأنه خروجٌ إلى البادية. كما سَمَّتْهُ تَربُّعاً، لأن الخريفَ عندهم هو الربيعُ الأوَّلُ، بما يكون فيه من هواءٍ طيِّبٍ، ووُقوعِ لأوَّلِ الغَيْث، وإدْراكٍ للثمار، واجتناءٍ للنخل. **وأما الموسِمُ الثاني**: فيكونَ بين إدْبار البَرْدِ وإقْبالِ الصيف، وهو ربيعُ الزَّهْر والأنوار والكمأة[3]، يرتحلون فيه عن منازلهم إلى الأرياف، والبوادي، ويكونُ فيه إيراقُ الشجر ولِقَاطُ الكمأة، ورَعيُ الكلأ، وحَصَادُ الحِنطة والشعير، وكانوا يُسمُّونه: الربيعَ الثاني وهو يقعُ غالباً بين سُقوط منزل «الصَّرْفَة» في التاسع من آذار ـ مارس، موعدِ انصراف البرد، وطُلوعِ منزل «الهَقْعَة» مَوْعدِ التهاب الحرِّ في

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٤٦٢، ٤٦٤، وتاج العروس: ١٢/ ٣٣٢ (صفر)، وفقه اللغة: ٥٨.

(٢) ابن الطحّان ـ مخارج الحروف وصفاتُها: ٩٠، ٩٤.

(٣) ابن قتيبة ـ الأنواء: ٩٦ ـ ٩٨، والأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٢٥ ـ ١٢٩، و ١/ ١٧٤، ولسان العرب: ٨/ ١٠٣، وتاج العروس: ٢١/ ٣٤ ـ ٣٥ (ربع).

السابع من حزيران ـ يونيو، وانتهاءِ موسم التبدِّي الثاني[1].

وما يَعْنينا هنا هو موسمُ الظَّعْنِ الأول. . . ذلك أن العربَ جَعَلَتِ الخريفَ أوَّلَ الأزمنة، وافتَتَحتْ سنتَها به[2]، مثلما جعلت شَهْرَيْ صفَرٍ أوَّلَ الشهور، وابتدأت سنَتَها بهما، وبذلك يكون الزمنُ الذي يقعُ فيه شهرا صَفَر هو فصلَ الخريفِ، ويكون شهرا صَفرِ الزمنَ الذي يقعُ فيه موسمُ التربُّعِ الأوَّل، وارتحالِ الناس من ديارهم في المحاضر إلى مَرَابِعهم في البوادي. ومن ذلك قولُ النابغة الذبياني[3]:

لقـد نَهيْـتُ بنـي ذُبْيـانَ عـن أُقُـرٍ   وعن تَرَبُّعِهم في كلِّ أَصْفَارِ[4]

أراد أنه نَهىٰ قومَهُ عن تربُّعِ وادي أُقُرٍ[5]، في كلِّ شهور صَفَر، وهو دليلٌ على أن موسمَ التربُّعِ في الخَريف مَوعدُهُ ثابتٌ في شَهريْ صَفَرٍ من كلِّ سنة، وأن زمنَ شهريْ صَفَر ثابتٌ في فصل الخريف. . ومنه أيضاً قولُهم في صَفَرٍ: صَفَرُ الخير[6]، لما يكونُ فيه من الطلِّ والنَّدىٰ والكلأ والغَيْث. ولو لم يكن الخيرُ ثابتاً عُمومُه في هذا الشهر، لَـمَا أُضيف صفرٌ إلى الخير. .

وعلى هذا، فإني أرى أن وجه التسمية في شَهْرَيْ صَفَرٍ قائمٌ على

---

(١) الأزمنة والأنواء: ١٥١، ١٥٧ ـ ١٥٨، ١٦٥، ١٧٧، (والصَرْفَةُ والهَقْعَةُ من منازل القمر).

(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٧٤.

(٣) النابغة الذبياني: أبو أُمامة، زياد بن معاوية، من بني ذبيان، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز. كان قاضي الشعر في سوق عكاظ. توفي نحو (٦٠٥ م).

(٤) تاج العروس: ١٢/ ٣٣١ (صفر)، ومحمد زكي العشماوي ـ النابغة الذبياني: ٣٩.

(٥) وادي أُقُر: من ديار غطفان، قريب من وادي الشَّرَبَّة، مملوءٌ حمضاً ومياهاً، حَماهُ الملكُ النعمانُ بن الحارث الغساني، فتربَّعَهُ بنو ذبيان من غير إذنه، فنهاهم النابغةُ عن ذلك خوفَ بطش الملك بهم.

(٦) أسماء الأشهر في العربية: ٥٩.

المعاني الثلاثة جميعاً، فديارُ العرب كانت تَصْفِرُ منهم فيهما حقّاً، ولكنْ بارْتحالهم عنها إلى المرابع والمناجع في البوادي، وليس للغزو أو القتال. والصُّفْرَةُ هي اللونُ الذي يغلبُ على أوراق الشجر في الخريف، ثم ما تَلْبثُ حتى تَصْفِرَ فيها ريحُ الشتاء، وتَذْرُوها. ويُقال إن الشعوب السلافية كانت تُسمِّي تشرينَ الأولَ (أكتوبر): الشهر الأصْفَرَ، والأنكلوسكسون يُسَمُّون تشرينَ الثاني (نوڤمبر): شهرَ الريح[1]... وأخيراً، إذا كان ابتداءُ فصل الخريف في نحو الواحد والعشرين من أيلول (سپتمبر)، فقد كان شهرا صفَرٍ يقعان إذن بين شهري أيلول وتشرين الثاني (سپتمبر ونوڤمبر)، ثم صارا فيما بعدُ يُوافقان في ظَرْفَيْهما شهريْ تشرين الأول وتشرين الثاني (أكتوبر ونوڤمبر).

وهناك دليلٌ آخرُ على أن الصَّفَرِيَّةَ زمنٌ يكون في الخريف وأوائل البرد، ويؤكد أن موقعَ شَهريْ صَفَرِ الأوَّلِ والآخِرِ هو موقعُ شَهْرَيْ تشرين الأول والثاني (أكتوبر ونوڤمبر) أو هو بالتحديد من (٢٣) أيلول ـ سبتمبر إلى (٢٠) تشرين الثاني ـ نوڤمبر... فقد جاء في الحديث: أن قادماً قَدِمَ عليه من مكة، فقال: كيف تركت الحَزْوَرَةَ؟ قال: جادَها المطرُ، فأَغْفَرتْ بطحاؤها[2]... أي أن المطر نزل عليها حتى أَغْفَرَ رِمْثُها، ولا يُغْفرُ الرِمْثُ إلا في الصفَرِيَّة.

والحَزْوَرَةُ: الرابيةُ الصغيرة، وكانت بمكة موضعَ سوقِها ثم دخلتْ في المسجد[3]... والرِّمْثُ: من شجر الحَمْضِ، كان في بطحاء مكة. وأَغْفَرَ رِمْثُها: أي أخرج مَغَافيرَهُ. والمغَافيرُ: سائلٌ صَمْغيٌّ شبيهٌ بالناطِفِ يسيلُ من شَجَرِ الرِمْث، من أطراف عِيدانِها، مثل الدبس في لونه، وهو حلوٌ يُؤكل،

---

(١) أسماء الأشهر في العربية: ١٤.
(٢) اللسان: ٥/ ٢٨ (غفر).
(٣) ياقوت الحموي ـ معجم البلدان: ٢/ ٢٥٥.

واحِدُها مُغْفُور. ويقال: خرج الناسُ يَتَغفَّرُون أي يَجْتَنُون المغافيرَ من شجره...

والمهمُّ في هذا الخبر قولُهم من بَعْدُ: **وإنما يُغْفِرُ الرِّمْثُ في «الصَّفَرِيَّة» إذا أوْرَسَ**... وقولُهم: **كلُّ شَجر الحمض يُورِسُ عند «البَرْدِ»**، والرِّمْثُ والعُرْفُطُ والطَلْحُ من الحمض[1]... **وأوْرَسَ الرِمْث: أي اصْفَرَّ ورقُه بعد النُضْج والإدراك**، **والوَرْسُ أيضاً شيءٌ أصفرُ يخرجُ على الرِمْثِ بين آخِرِ الصيف وأوّلِ الشتاء**[2].

فانظر إلى هذه النصوص كيف حَدَّدتْ، بدقَّةٍ ووضوح، زمنَ الصَّفَرِيَّة عند العرب، بين آخِرِ الصيف وأوَّلِ الشتاء، أي كما قلنا في زمن الخريف، حينما يبدءُ البردُ، فيَصْفَرُّ الورَقُ، وينضجُ الثمر... ومن طرائف العرب أنهم سَمَّوْا منزلَ القمر الذي يطلعُ نحو منتصفِ شهرِ تشرين الأول (أكتوبر)، منزلَ «الغَفْرِ»[3]، ولعلَّ ذلك لأن أشجار الحمضِ تُغْفِرُ فيه. وهو ثلاثة أنجُم صِغار تقعُ في بُرْج الميزان، والمعروف أن برج الميزان في النظام الشمسيّ **أوَّلُ بروج الخريف**، وابتداؤهُ نحوُ الثالث والعشرين من أيلول (سبتمبر)، وأعتقد أن في هذا كفاية...

* * *

② ـ شَهْرا رَبيع:

وهما الشهرانِ الثالثُ والرابعُ في سنة العرب. والشهورُ كلُّها تُذْكر

---

(١) تاج العروس: ١٣/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، واللسان: ٥/ ٢٨ ـ ٢٩ (غفر).

(٢) اللسان: ٦/ ٢٥٤ (ورس).

(٣) اللسان: ٥/ ٢٩ (غفر).

مُجرَّدةً، إلا شهرَيْ ربيع، يجب حين ذِكْرِهما إضافةُ كلمةِ شهرٍ إليهما، فلا يُقال فيهما إلا شهرُ ربيعِ الأوَّلُ، وشهرُ ربيعِ الآخِرُ. فإذا قيل: ربيعٌ الأوَّلُ، أو ربيعٌ الثاني مُجرَّداً، انصرف القولُ إلى معنى آخَر[1]... فالربيعُ عند العرب لفظةٌ لها دلالةٌ عامّةٌ على مَعَانٍ، لا يَحدُّها زمنٌ واحدٌ مُعَيَّنٌ من أزمنة السنة، على نحو ما هو معروفٌ من دلالة فصل الربيع، الذي يأتي بعد الشتاء، وقبل الصيف. فالطَلُّ، والنَّدىٰ، والمطرُ، والسَّحَابُ، والنَّوْرُ، والعُشْبُ، والكَمْأَةُ، والثمارُ، كلُّها ربيعٌ[2]... وعلى ذلك فالخريفُ ربيعٌ، والشتاءُ كلُّه ربيعٌ، ومُقَدَّمُ الصيفِ ربيعٌ[3]... فما العِلَّةُ إذن في اخْتِصَاصِ هذين الشهرين باسْم الربيع، مع أنَّ معانيه أوْسعُ من أن تُحَدَّ فيهما دون سائر الشهور؟

لا نريدُ أن نَتوقَّف كثيراً عند مَن قال، إنهما حُدَّا في زمن الربيع حين تَسْميتهما، فلمَّا دارا في الفصول، لَزِمَهُما الإسمُ، وضاعَتْ دلالتُه[4]... فهو كلام يحملُ بُطْلانَه في أحشائه، فإن كانا حُدَّا في فصل الربيع، وهو بعد شهرَيْ جُمَادَىٰ، فكيف قَفَزا من بين الشهور، ووقَعَا بعد شهري صَفَرٍ؟ ذلك أن شهورَ السنة القمرية، وإن كانت تَدُورُ في الفُصول الأربعة جميعاً، لكنّ الشهرَ منها يظلُّ ثابتاً في مَوْضِعه من الترتيب الذي يَنتظِمُ شُهورَ السنة، ولا يمكن أن يتحوَّلَ عن موضعه إلى مَوْضعٍ آخَر، على غير ما رُسِمَ له في تَتَابُع تلك الشهور! . ونقل القلقشنديُّ قولاً آخَرَ، غريباً عجيباً، ذكر فيه أن شهرَيْ

---

(١) لسان العرب: ٨/ ١٠٣، وتاج العروس: ٢١/ ٣٤ (ربع).

(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٤، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٠١، ولسان العرب: ٨/ ١٠٣ ـ ١٠٤ (ربع)، و ٩/ ٩٣ (خرف)، و ١٤/ ٤٢١ (شتا).

(٣) تاج العروس: ٢١/ ٣٤ ـ ٣٥.

(٤) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٧، وتاج العروس: ٢١/ ٣٤، ولسان العرب: ٨/ ١٠٣ (ربع).

ربيعٍ سُمِّيَا بذلك لأن العرب كانت تُحصِّلُ فيهما ما أصابتْه في صَفَر[1]، وهو مُتَابَعَةٌ لقول من جَعلَ شهرَ صفَرٍ للغارات والغَزْوِ، وحُجَّتُه في ذلك أن الخِصْبَ من معاني الربيع... أما القولُ بأنهما سُمِّيَا ربيعاً باسْم المطر الواقع فيهما[2]، فليس فيه غَنَاءٌ، لأن المطر عند العرب ربيعٌ متى جاء[3]. ويبقى هنالك قولٌ أخير، جديرٌ بالتوقُّفِ عنده، فيه إجماعٌ على أن هذين الشهرين سُمِّيَا ربيعاً: «لارْتِبَاعِ الناسِ فيهما، أي إقامتِهم»[4]، فما الارْتِبَاعُ؟ وما الإقامَةُ؟ وكنا، في كلامنا على شهريْ صَفَرٍ، عَرفنا الارْتباعَ ارتحالاً لا إقامةً! أَترىٰ سِرَّ العِلَّة يكمُنُ هنا؟ رُبَّما!...

وعلى ذلك يجبُ، من أجل المُضِيِّ في الْتِماس الجواب، أن نُقلِّبَ معاني الربيع عند العرب مرَّةً أخرى، لعلَّنا نجدُ ما يُعِينُنا على التفريق بين عُموميَّتِها، وخُصُوصِيَّة دلالتها في المُصْطَلَح، ولا نكادُ نَعْثُر في المصطَلح إلا على قولهم: الربيعُ عند العرب ربيعان: **ربيعُ الشهور، وربيعُ الأَزْمنة**. فربيعُ الشهور شهرانِ بعد صَفَرٍ، سُمِّيا بذلك لأنهما حُدَّا في هذا الزمن. وربيعُ الأزمنة ربيعانِ: الربيعُ الأوَّلُ، وهو فصلُ الخريف، وفيه تُدْرِكُ الثمارُ، وتبدءُ السماءُ تَقْطُرُ الطَلَّ، والأَرْضُ تَنْدَىٰ. والربيع الثاني، وهو الفصلُ الذي يتلو الشتاءَ، وتُسمِّيه العربُ صيفاً، ويأتي فيه النَّوْرُ والنباتُ والكمْأَةُ. وكلُّهم مُجْمِعُون على أن الخريفَ هو الربيع[5]... فإذا قيل: **الربيعُ الأوَّلُ**، مُجرَّداً،

---

(١) صبح الأعشى: ٢/ ٤٠١.

(٢) تاج العروس: ٢١/ ٣٨ ـ ٣٩ (ربع).

(٣) لسان العرب: ٨/ ١٠٣ (ربع).

(٤) الأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٧٧، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٠١، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٨، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥، وعجائب المخلوقات: ١١١.

(٥) تاج العروس: ٢١/ ٣٣ ـ ٣٤.

فمعناهُ فصلُ الخريف، وإن قيل: **الربيعُ الثاني**، فمعناهُ الفصلُ الذي يأتي بانقضاءِ الشتاء. ولا يُمكن أن ينصرفَ معنى كلٍّ منهما إلى الشهر، إلا إذا أُضِيفَت إليه كلمةُ شهرٍ، فينصرف معناهُ إذ ذاك إلى شهر ربيعِ الأوَّل، أو شهر ربيعِ الآخِر. وهذا هو مِعْيارُ التفريق بين تلك الأَرْبِعَة، وهو مِعْيارٌ لَفْظِيٌّ لا أكثر، ليس فيه حقيقةُ الفرقِ بينها. فشهرا صَفَرٍ يقَعانِ في الخريف، وهو الربيع الأولُ عند العرب، فهُما إذن من شهور الربيع، وشهرا ربيع يقَعانِ بعدَهما، فهما استمرارٌ لهما في الزمن، وفي طبيعةِ الفَصْل، فما العِلَّةُ في تَمْييز شهريْ ربيع بهذا الإسم، دون شهريْ صَفَر، ودون شهور الصيف كذلك، وهي الربيعُ الثاني؟ وما الفرقُ بين هذا الربيع وذاك الربيع؟

ونعودُ إلى عُموميَّة معاني كلمة: رَبَعَ، وننظرُ فيها، فنَجِدُ أن بالإمكان رَدَّها إلى أربعة أُصولٍ رئيسة:

الأول: الغَيْثُ، بمعنى النَّدى والمَطَرِ والسَّحَابِ.

الثاني: الخِصْبُ، بمعنى كثرة العُشْب والنبات، والثمار، ونِتَاجِ الأنعام.

الثالث: الإقامةُ، بمعنى السَّكَنِ أو التوطّنِ والاطمئنانُ فيه.

الرابع: العَدَدُ أربعةٌ أو أَرْبَعُونَ وما في حُكمه كالأربعاء، والمُربَّع، والرُّبَاع، والرُّبْع[1]...

ثم نعودُ إلى ما ذكرناه، في كلامنا على شهريْ صَفَر، عن وُجُودِ مَوسِمَيْن كبيرين عند العرب، يرتحلون فيهما عن ديارهم، للتربُّعِ والانتجاع في البوادي، وقد عَلمنا أن الموسمَ الأولَ منهما يقعُ في فصل الخريف، أي فيما يُسَمُّونَه الربيعَ الأولَ، ثم لا يزالون في النُّجْعَةِ حتى طُلوعِ منزل «الشَّوْلَةِ»

---

(١) لسان العرب: ٨/ ٩٩ ـ ١٠٨، وتاج العروس: ٢١/ ٢٢ ـ ٥٩ (ربع).

نحو التاسع من كانون الأول[1]، فيَدخلُ الشتاءُ، وأوَّلُهُ أربعون ليلةً يشتدُّ فيها البردُ بكل مكان[2]، وحينئذٍ ينتهي الموسمُ، ويتتابعُ الناسُ في العودة إلى بيوتهم، للإقامة فيها، إتِّقاءً للبرد، وطلباً للدِّفْءِ[3]. ثم لا يكون ارتحالٌ إلى البادية أو الريف، للنُّجْعَة والتربُّع، إلا بانقضاءِ الشتاء، وابتداءِ فصل الربيع الثاني. ذلك أن العرب كانت تُسمِّي المُجَاعَةَ شتاءً، فالمُجَاعاتُ أكثرَ ما تُصِيبُهم في الشتاءِ البارد، ويُسَمُّون الشتاءَ جَدْباً، لأن الناس يلتزمون فيه البيوتَ، ولا يخرجون للانتجاع[4]. وما كان من غَيْثٍ يَرجُونه إذ ذاك، فهو «غَيْثٌ مُرْبِـعٌ، يحمِلُ الناسَ على أن يَرْبَعُوا في ديارهم، ولا يَرتادُونَ»[5] مواقعَ المطر في البادية، لأن الغَيْثَ المُرْبِـعَ، يكون عامّاً، مُغْنِياً لهم عن الارْتيادِ والنُّجْعَةِ[6]، لِعُمومهِ البلادَ إن صَدَق نَوْءُهُ، فيُقيمون في مَرابِعهم حيث كانوا وكانت[7]، ولا يلزمُ من الارتباعِ، أو التربُّع، أن يكون دائماً في البادية، ولا سيما في أيام البرد والشتاء.

وبذلك نفهمُ قولَهم: إن شهريْ ربيعٍ سُمِّيا بالربيع «لارْتباع الناس فيهما، أي إقامتهم»، فالارْتِبَاعُ فيهما يكون بالإقامة، حيث تكونُ ديارُهم أو محاضِرُهم أو مَرَابِعُهم، وليس بالارْتحال إلى البادية، كما في موسِمَيْ الربيع

---

(١) عجائب المخلوقات: ٨٢.

(٢) وتُسمَّىْ هذه الليالي في بلاد الشام: مُرْبِعَانِيَّةَ الشتاء! لاحظْ كلمةَ مُرْبِع كيف صارت في المُصْطَلَح الشاميّ.

(٣) الأزمنة والأنواء: ١٧٧، ١٤٢، وصبح الأعشى: ٢/ ٤١٢.

(٤) لسان العرب: ١٤/ ٤٢٢ (شتا).

(٥) تاج العروس: ٢١/ ٥٥.

(٦) لسان العرب: ٨/ ١٠٤.

(٧) تاج العروس: ٢١/ ٥٠.

الأول والربيع الثاني... ويَغلبُ في اعتقادي أن يكون المُتَربَّعُ، أو المُرْتَبَعُ في البادية عامّاً، ينزله الناسُ في مواسم الربيع، ويشتركون فيه، ويَتَجاوَرُون. أمّا الرَّبْعُ، أو المَرْبَعُ فيغلبُ أن يكون خاصّاً بأهله، ملكاً لهم، لا يُنازِعُهم فيه أحدٌ، وهو المنزِلُ عادةً، ودارُ الإقامة، والمحلَّةُ، ومنه قولُهم: يَرْبعُونَ، أي يُقيمون في رَبْعِهم، أو مَرابعهم، عن الارْتيادِ والنُّجْعَة، لعُموم الغَيْثِ[1]. أي لعِلَّةِ عُموم الغيث كلَّ الرِبَاع.

وهكذا بات واضحاً، أن الربيع في فَصْلَيْ الربيع الأول والربيع الثاني عند العرب، إنما هو موسمُ ارْتحالٍ عن المحاضِر إلى المناجِع، وجْهُ التسمية فيه قائمٌ على معاني الغيث والنَّدى والخِصْب. وأن الربيع في شهرَيْ: ربيع الأول وربيع الآخِر، إنما هو زمنُ إقامةٍ في المنازل، واطمئنانٍ بها، وَجْهُ التسمية فيه قائمٌ على معاني: الغَيْثِ، والإقامةِ، وأرْبَعينيّات الشتاءِ القاسية، جميعاً.

وأرى أن شهريْ ربيعٍ عند العرب كان يُقابِلُهما شهرا كانون عند إخوانهم أهل الشام (ديسمبر ويناير)، وجَذْرُ «كَنّ» ساميٌّ مُشْتَرَكٌ، من معانيه: الاستقرارُ والإقامةُ والثباتُ[2]، والكِنُّ في العربية هو البيتُ، والكانونُ: المَوْقِدُ والمُصْطَلى[3]، وهذا يعني أنَّ هذين الشهرين سُمِّيا بذلك، لأنهم كانوا يرجعون فيهما إلى أكْنَانِهم، يستترون بها من المطر والبرد، ويَصْطَلُون بنار الكانُون طلباً للدفء. وهكذا يكون الارتباعُ في شهري ربيع بمعنى الإقامة في البيوت، كالْكَنِّ في شهريْ كانون.

* * *

---

(1) لسان العرب: ٨/١٠٢، ١٠٤، وتاج العروس: ٢١/٢٣، ٢٤، ٥٠ (ربع).
(2) أسماء الأشهر: ٣٣.
(3) لسان العرب: ١٣/٣٦١ ـ ٣٦٢ (كنّ).

٣ ـ شَهْرا جُمَادَى:

وهما الشهرانِ الخامسُ والسادسُ من شهور العرب، وكانوا في الجاهليَّة يقولون: جُمَادَى خمسةٍ، وجُمَادَى سِتَّةٍ. فأمّا جُمَادَىٰ خمسةٍ فهي شهرُ جُمادَى الأولى، وهو الخامسُ من شهور السنة، وأمّا جُمَادَىٰ ستَّةٍ فهي شهرُ جُمادَى الآخِرة، وهو تَمامُ ستَّةِ أشهُرٍ من أوَّلِ السنة[1]... ومنه قولُ الشاعر لَبِيد[2]:

حتى إذا سَلَخا جُمادَىٰ ستةٍ ... جَزْءٌ فطال صِيَامُهُ وصيامها[3]

أضاف جُمادَى إلى ستةٍ، وأراد جُمَادَى الآخِرة، لأنها تَمامُ ستةِ أَشْهُرٍ[4]، ابتداءً من شهر صَفَر الأوَّل المحرَّم. ويُعَدُّ الجُمَادَيانِ من شُهور البَرْدِ والنَّدى والشتاءِ عند العرب، ومن ذلك قولُ شاعرهم يصفُ شِدَّةَ البرد، وكثرة الأنْداءِ في إحدى ليالي جُمادَى:

وليلـةٍ مـن جُمَـادَىٰ ذاتِ أنْـدِيَـةٍ ... لا يُبْصِرُ العبدُ في ظَلْمائها الطُّنُبا[5]
لا يَنْبَـحُ الكلـبُ فيهـا غيـرَ واحـدةٍ ... حتى يَلُفَّ على خرطومه الذَّنَبا[6]

---

(١) لسان العرب: ٣/ ١٢٩ ـ ١٣٠ (جمد).

(٢) لبيد بن ربيعة: أبو عقيل العامريُّ، شاعر جاهلي من الفُرسان الأشراف. من أصحاب المُعلَّقات، كان كريماً، نَذَر أن لا تَهُبَّ الصَّبا، إلا نَحَرَ وأطعم الناسَ. أدرك الإسلام، وأسلم، وهذا البيت من مُعلَّقته المعروفة. توفي نحو (٦٦١ م).

(٣) سَلَخَ: الشهرَ، أي خرج منه بعدما أمضاهُ جَزْءً، أي مُجَزَّءً، يَسْلَخُ كل ليلةٍ جُزءً من الشهر حتى تكاملت لياليه.

(٤) أبو بكر ابن الأنباري ـ شرح القصائد السبع: ٥٤٦، ولسان العرب: ٣/ ٢٥ ـ ٢٦ (سلخ)، وتاج العروس: ٧/ ٥١٩ (جمد).

(٥) الطُّنُبُ: حبلُ الخِبَاء، وما يُشَدُّ به البيتُ من الحِبَال.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٨.

ولكنَّ الأخباريين، كما أشرنا من قبل، لمّا وجدوا أن شهريْ جُمادى صارا يأتيان في شِدَّةِ الحرِّ، كما في البرد، عَزَوْا ذلك كعادتهم إلى جهل العرب بدَوَران الشهور القمريّة، مع إطْبَاقِهِم جميعاً على أنهما سُمِّيا بذلك: «لجُمود الماء فيهما من البرد والشتاء...»[1]، بل إن بعضهم ذهب إلى أن جُمادَى شِدَّةُ القُرِّ... وفيها كان يكونُ أوّلُ المطرِ»، وحُجَّتُهُ أن الشتاءَ هكذا كان في ذلك الزمان[2]. وبعضهم نَظَر فوجد كثرةَ ذِكْر العرب شهريْ جُمادَى، إمّا ببرد الزمان، أو بوَفْرة الأنْدِيَةِ والجَمَدِ، ولم يتفق أن وُصِفَا بالحَرِّ قَطُّ، فأراد أن يُبرِّرَ وقُوعَهما في زمانِ الحرِّ، بعد إبطالِ الكَبْس ودَوَرَانِهما في الأزمنة، فزعم أن «جُمادَى عند العرب الشتاءُ كلُّه، في شَهريْ جُمَادى كان الشتاءُ، أو في غيرهما...»[3]، ولكن هذا الزَّعْم لا يُوقفُ انتقالَ الشهور القمريّة في الفصول، فإن كانت جُمادى إسماً للشتاءِ، أو كانت اسماً لِشَهْرٍ منه، فستكونُ بالدَّوَران إسماً، يحملُ معنَى البرد الشديد، على زمَنٍ يقعُ في الحرِّ الشديد. وأمّا القولُ بأن «الشتاءَ عند العرب جُمَادَى، لجُمودِ الماء فيه»[4]، فمعناهُ أن فصلَ الشتاءِ كلَّه كشَهريْ جُمادَى في الجَمَد»، وأن الماء يجمدُ في الشتاء جُمودَهُ فيهما، أو أنه جعل الجَمَدَ علامةً للشتاء، فما لم يكن جَمَدٌ فلا شتاء. ويبدو أن كلمةَ الجَمَدِ، وما وُصِفَ به شهرا جُمادَى من البرد الشديد، حَملتِ البعضَ على تقديم مَوْقِعهما في زَمنِ الشتاء، وجَعْلِهِ من منتصف كانون الأول إلى منتصف

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٨، ٢٧٧، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٠١، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٩، وعجائب المخلوقات: ١١١، وتاج العروس: ٧/ ٥١٩.

(٢) شرح القصائد السبع: ٥٤٤.

(٣) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٨.

(٤) تاج العروس: ٧/ ٥٢٠، ولسان العرب: ٣/ ١٣٠ (جمد).

شباط ـ فبراير[1]، مُسْتَنداً إلى أن الجَمَد هو الثلجُ وما جَمَد من الماء،وأن العربَ أرادوا هذا المعنى دون غيره، من التَّسْمِيَة!

* * *

والواقع أنني لا أتفق مع من ذَهبَ إلى أن الجَمَدَ بمعنى الثلج وجُمودِ الماءِ، هو وحدَهُ وراءَ تسْميةِ العرب هذين الشهرين بجُمَادَى، فقد رأينا أنهم ذهبوا في تسمية الشتاء مُجَاعةً، وقَحْطاً، لأنه يُلْزِمُهم الإقامةَ في بيوتهم، لا يبرحونها من شدَّة البرد، ويَحْرمُهم من النُّجْعَة والارْتِيَاد. وغيرُ بعيدٍ أنهم سَمَّوا الشتاءَ، على المجاز أيضاً، جُمَادَى لما يقعُ فيه من جَمَدٍ، ولِعِلَّةٍ أُخرى، فوق الجَمَدِ، يُمكن أن نَتبيَّنَها من مُراجعة معاني الجَمد... ومن أقوال العرب: أَجْمَدَ القومُ، إذا قَلَّ خَيرُهم، وبَخِلُوا... وسنةٌ جامدةٌ: لا كَلأَ فيها، ولا خِصْبٌ، ولا مَطَر... وأرضٌ جَمَادٌ: لم يُصِبْها مَطَرٌ... وشاةٌ جَمَادٌ: لا لبنَ فيها... ورَجُلٌ جَمَادٌ ومُجْمِدٌ: بخيلٌ. كما قالوا في المُجْمِد: الرَّجُلُ البخيلُ المُتَشَدِّدُ، أي أنه أمينٌ مع شُحٍّ، لا يخدع... وقالوا: عَيْنٌ جُمادَى، أي جامدةٌ لا تدمع[2]... ومنه قولُهم: شَتْوةٌ جُمَادى، أي شتاءٌ فيه جَمَدٌ وبَرْدٌ، ولكنه بخيلٌ لا يُمْطر. لكن هذا يجب أن لا يصرفَنا عن الإشارة إلى أن موسم التربُّع الثاني عند العرب يبدأ في جُمادى، ولعلَّها الآخرةُ، وحينئذٍ يكون اجتناءُ الكمأة، وإيراقُ الشجر.

ويبدو من أشعار العرب أن جُمَادَى وُصِفَتْ بكثرة الأَنْدِيَةِ وشِدَّةِ البرد[3]، على قِلَّةٍ في المطر غالباً. وليس هذا غريباً في جزيرة العرب،

---

(1) أسماء الأشهُر في العربية: ٦٥.

(2) لسان العرب: ٣/١٢٩ ـ ١٣١ (جمد).

(3) الأزمنة والأمكنة: ١/١٦٨.

فبادِيَتُها تكون في ليالي الشتاء شديدةَ البرد، تهبطُ فيها درجةُ الحرارةِ حتى إلى الصِفْر، ولا سيما في أجزائها الشمالية. وتزدادُ الرطوبةُ فيها ليلاً، وتَتَقَطَّرُ نَدىً يكادُ يُغطي معظمَ الأرضِ، وما بها من النبات، ويجمدُ من شدة البرد. وتختلفُ الحرارةُ في فصل الربيع بين الليل والنهار، ويصلُ الفرقُ أحياناً ثلاثينَ درجةً، فيكون النهارُ شديدَ الحرارة، والليلُ شديدَ البرودة[1].

وكانوا إذا قالوا: ليلةٌ جُمَادِيَّةٌ، أرادوا أنها شديدةُ البرد، في جُمادَى كانت أو في غيرها. وهي إشارةٌ إلى ما كان من شدَّة البرد في شهري جُمَادى، ومنه قولُ الشاعر: ليلةٌ إذا هاجَتْ جُمادِيَّة... أي ليلةٌ باردةٌ من ليالي الشتاء[2]. وكانوا كذلك يَصِفُون جُمادَى بالقَحْطِ، واحتباسِ المطر. ومن ذلك قولُ الشاعر: همُ الأيْسَارُ إن قَحَطَتْ جُمادَى[3]... أراد أنهم يَظلُّون أغنياءَ كُرَماءَ، وإن احْتَبَست جُمادَى مطرَها. ومنه أيضاً قولُ أُحَيْحَة بن الجُلاح[4]:

إذا جُمــادَىٰ مَنَعــتْ قَطْـرَهــا زان جَنَابي عَطَنٌ مُغْضِفُ[5]

أراد أن محلَّتَهُ، وإن بَخُلتْ جُمادَى بمطرها، تَزِينُها أشجارُ نخيله، الراسخةُ في الماء، الكثيرةُ الحَمْل، المُتَدلِّيَةُ الثمار[6]... ومن المفيدِ هنا،

---

(١) د. جبرائيل جبور ـ البدو والبادية: ٤٦، ٤٨.

(٢) تاج العروس: ٧/ ٥٢٠ (جمد).

(٣) لسان العرب: ٢/ ٤٠٦ (بحح).

(٤) أُحَيْحَةُ بن الجُلاح: أبو عمرو، شاعر جاهلي، من دهاة العرب، وشجعانهم، كان سيدَ الأوس، وسيدَ يثرب في الجاهلية، وكانت سلمى بنت عمرو الخَزْرَجيَّة زوجَهُ قبل أن يخلف عليها هاشم بن عبد مناف.

(٥) لسان العرب: ٩/ ٢٦٨ (غضف).

(٦) تاج العروس: ٢٤/ ٢١٦ (غضف)، والأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٧٧.

الإشارةُ إلى أن الشاعر جمعَ في كلامه، بين ذِكْرِ جُمَادَىٰ، ولعلَّها الآخِرةُ، لِشُحِّها بالمطر وقُربِها من آخِرِ الشتاء، وذِكْرِ النخيل التي أوقِرَتْ بكثرةِ الحَمْل، فَتَدَلَّىٰ ثَمرُها مُستَرخياً. . . وهذا يجعلُ موقع جُمادى الآخرة في شهر آذار (مارس)، وليس بين كانون الأول وشباط (ديسمبر وفبراير)، كما قَدَّر «أنيس فريحة»[1]، ويجعل تقديرَهُ وقوعَ شهر رجب في مُقابل شهر نيسانَ صحيحاً، وهو ما سنعود إلى الحديث عنه في مَوْضِعه من هذا البحث إن شاء الله.

صَفْوةُ الكلام في الجُمَادَيَيْن أن الزمن فيهما كان، كما يبدو من البحث، كريماً بالبرد القاسي، وجَمَدِ النَّدىَ في الليل خاصَّةً، ولكنه شَحِيحٌ غالباً بالغَيْثِ، إذهو آخر الشتاء، إلا ما كانوا يَرْجُونَه من نَوْءِ منزل «الجبهة» في نحو الثاني عشر من شباط (فبراير) ، فهو أشرفُ الأنواءِ عند العرب، وإن صَدَقَ كانوا يقولون: ما امتَلأ وادٍ من نَوْءِ الجبهة ماءً، إلا امتَلأ عُشباً. . . وإذا أخلَفَ، ولم يكن فيه مطرٌ، كان ربيعُ العرب ناقصاً[2].

وعلى ذلك أرى أن وجه التسمية في جُمَادَى قائمٌ على اثنين من معاني الجَمَدِ:

١ ـ الجَمدُ بمعنى جمود الماء من شِدَّة البردِ، ولا سيما في الليل، وليس بمعنى هطول الثلج، وإنِ اتَّفَق وقوعُ ذلك يوماً في بعض السنين، أو في هامات الجبال، لا في الصحراء.

٢ ـ الجَمدُ بمعنى البُخْل، أي البخل بالغيث والقَطْر.

---

(١) أسماء الأشهر: ٦٥.

(٢) الأزمنة والأنواء: ١٤٧، وعجائب المخلوقات: ٧٩ ـ ٨٠.

ولا أرى هذا المعنى بعيداً من معنى «آذار ـ مارس» عند البابليين والسُّرْيَانيين والعبرانيين، وهي كلمةٌ من أصلٍ بابليّ معناها «الهَدرُ والصَّخبُ»، سُمِّي بها هذا الشهرُ لكثرة بُروقِهِ ورُعودِهِ، ولها صِيغَتا تعريب أُخريان: أذار وأدار، وكان آذار الثاني الشهر الثالث عشر من السنة الكبيسة عند اليهود، لأن سنتهم قمريّة[1]... وذلك يؤكد أن الظرف الطبيعي لشهر جُمادى الآخرة عند العرب كان يتفق وموقع شهر آذار (مارس) من السنة، ويكون شهرُ شباط (فبراير) الظرفَ الطبيعيَّ لشهر جُمادَىٰ الأولى.

* * *

٤ ـ شَهرُ رَجَب:

وهو الشهر السابع من شهور السنة العربية، هكذا كان في الجاهلية المتأخِّرة، وعلى ذلك أَقَرَّهُ الإسلام. ولكنه كان في الجاهلية المتقدِّمة الشهر الأوّلَ في السنة، حينما كانت الأُمَمُ تفتتحُ سِنِيها مع قُدوم فصل الربيع، في نحو الواحد والعشرين من شهر آذار (مارس)، بالتقويم العربي السريانيّ، وقد نُقِل بعدئذٍ إلى الأول من شهر نيسان (أبريل). وكان شهراً مُحرَّماً عندهم جميعاً، جَرْياً على عادة الشعوب وقتئذٍ في تحريم الشهر الأول من السنة، وتكريسه لعبادة الآلهة، وشُكرها على ما أنعمتْ به عليهم من تجدُّد الحياة بعودة الربيع.

وكانت العربُ تُسمِّيه رَجَباً الفَرْدَ، لأن الشهور المحرَّمة الثلاثة الأخرى، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، وصَفَرٌ الأوّلُ المحرَّمُ، جاءت سَرْداً متعاقبةً وانفرد رجبٌ لوحده في وسط السنة، كما نقل جواد علي[2]... بينما هو في

---

(١) عبد الله العلايلي ـ المعجم: ١٢٤ (آذار)، القسم الثاني من المجلد الأول.
(٢) المفصَّل: ٨/ ٤٧٧.

الحقيقة منفردٌ بنفسه سواء أكان في وسط السنة أم في أوّلها. ويقال إنهم كانوا يُسَمُّونَه أيضاً: رَجَباً المحرَّمَ[1]، ويبدو لي أن ذلك كان في الجاهلية الأولى، فلما انتقل رأسُ السنة إلى صَفَرٍ الأوَّل غلب على هذا نَعْتُ المحرَّمِ دون سائر الأشهُر المحرَّمة، تأكيداً لحُرْمَتِهِ.

ويعتقد علماءُ المسلمين، كابن كثير، أن شهر رجَبٍ حُرِّم في وسطِ السنة، لأجل زيارة البيت، والاعْتمار به، لمن يَقْدَمُ إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره، ثم يعود فيه إلى وطنه آمِناً[2]... وهذا قولٌ فيه نظر، فهو غيرُ دقيق، لأن زائر مكة من أقصى بلاد العرب، كان يحتاج يومئذٍ إلى أكثر من شهرٍ في قُدومه إليها، ومُقَامِهِ بها، وعودتِهِ منها، ولأن أَمَانَهُ في العُمرة لا يقومُ على حُرْمةِ الشهر وحَسْبُ، بل على قَصْدِهِ بيتَ الله، وعلى ما يسوقُه إليه من الهَدْي والنُّذُور، وما يتحرَّزُ به من الأحلاف والجِوار وما إلى ذلك.

وقيل كذلك إنه سُمِّيَ رَجَباً من الترجيب، أي التعظيم، لخوفهم إيَّاه[3]، فكانوا يُعظِّمون فيه آلهتَهم، ويذبحون لها القرابين، ويُعظِّمون الشهر نفسَه، ويقولون: شهرُ الله الأصَمُّ، لأنهم لا يسمعون فيه قَعْقَعةَ سلاح، ولا صوتَ مُسْتغيثٍ[4]... فيقعدون فيه عن القتال، ولا يغزو بعضُهم بعضاً... كما كانوا يَنْعتُونَه بمُنْصِلِ الألّ، والألُّ: الأسِنَّةُ. ويُقال إن قبائل مُضَر هي التي نَعتَتْهُ بهذا النعت، لأنهم «كانوا إذا دخَل رجبٌ، أَنْصَلُوا الأسِنَّةَ من الرِمَاح حتى يخرجَ الشهرُ»[5]، أي حتى ينقضي...

---

(١) شرح القصائد السبع: ٥٤٥، والمفصَّل: ٨/ ٤٨٤، وسورة البقرة: ٢١٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٦.

(٣) مروج الذهب: ٢/ ١٨٩.

(٤) الأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٧٨، ٢٨١ ـ ٢٨٢، ولسان العرب: ١٢/ ٣٤٤ (صمم).

(٥) أبو الفرج الأصفهاني ـ الأغاني: ١١/ ١٢١ ـ ١٢٢.

وذكر ابنُ منظور أن الرَّجَبَ هو التعظيمُ، والمَهَابَةُ، والاسْتِحْيَاءُ، وأن شهر رجَبٍ سُمِّيَ بذلك في الجاهلية، لتعظيمهم إيَّاهُ عن القتال فيه، وأنه، كما جاء في الحديث، رَجَبُ مُضَر الذي بين جُمَادَى وشعبان، وإنما قيل رجبُ مُضَر، إضافةً إليهم، لأنهم كانوا أشدَّ تعظيماً له من غيرهم، فكأنهم اختصُّوا به[1]. وكانت قبائل مُضَر أهل الكثرة والغَلَبَةِ في الحجاز ونجد وتهامة.

ويبدو لي أن القول بأنه الشهرُ الذي بين شَهْرَيْ جُمادَى الآخِرة وشعبان، إنما هو تثبيتٌ له في موقعه بينهما، من غير تقديم أو تأخير، ذلك أن العرب لمّا كانت تفتتحُ سنتَها قديماً بشهر رجب، كانت تؤخِّر ابتداءَها به أحياناً، مُدَّة شهرٍ، يُضاف إلى السنة المُنْقَضِية، وراءَ جُمادى الآخرة، فتصير ثلاثَةَ عشَر شهراً، أي سنةً كبيسةً، فيأتي الشهرُ المُضَافُ ليفصِلَ بين جُمادَى ورجب. وكانوا يُحرِّمون الشهر المُضَافَ، أو المكبوسَ، ويرفعون الحُرمةَ عن رجَبٍ، فجاءتِ السُّنَّةُ بتحريم ذلك، وتثبيت رَجَبٍ في موقعه وحُرْمته. ومن شأن هذه الملاحظة أن تؤكد أنَّ شهور العرب كان يجري تثبيتُها بالكبس والنسيء لئلا تدورَ في الفصول الأربعة.

وفي اعتقادي أن تحريم رجب كان كتحريم صَفَر الأوَّل، فكلاهما شهرُ ربيع، ورَجَبٌ استمرارٌ لموسم التربُّع الثاني عند العرب، وهو موسمُ نعمةٍ وخيرٍ وبركة، لا بُدَّ لهم فيه من شكرِ الآلهة، والتعبُّدِ لها، على ما أنعمتْ به عليهم من الغَيْثِ والنباتِ والثمارِ والأنعام. ولذلك كانوا في الجاهلية يَذْبَحُونَ العَتَائِرَ في شهر رجَبٍ، يتقرَّبُونَ بها إلى الآلهة. والعَتِيرَةُ شاةٌ، هي

---

(١) لسان العرب: ١/ ٤١١ (رجب).

أوَّلُ ما يُنتَجُ في الربيع، وتُسمَّى الرجَبِيَّة[1]. ومن هنا نفهمُ أن شهر رجب كان مُنصَرَفَ الشتاءِ وأوّلَ فصلِ الربيع عند العرب، وما يزالُ بعدُ في البادية بردٌ وجَمَدٌ... آيةُ ذلك قولُ بِشرِ بن أبي خازم، وهو شاعرٌ جاهليٌّ من بني أسد بن خُزَيمة، كانت ديارُ قومه ببادية نَجْدٍ[2]، يصفُ ثوراً وحشياً، صار إلى القَفْرِ:

فبـاتَـتْ عليـه ليلـةٌ رَجَبِيَّـةٌ تُكَفْكِفُـهُ ريـحٌ خَـرِيـقٌ، وتُمطِـرُ
فأضحى وصِئْبَانُ الصقيعِ كأنها جُمَانٌ بِضَـاحي مَتْنِهِ يَتَحدَّرُ[3]

يقول: إن ذلك الثَّورَ بات ليلةً من ليالي رَجب، تَضْربُه فيها فتُميلُه، ريحٌ باردةٌ، شديدةٌ تخرقُ الأجسادَ، وتُمطِرُ، فأصبح وحَبَّاتُ النَّدىٰ المتجمِّدِ، تَتحدَّرُ على جلد ظَهْرِهِ كأنها حبّاتُ اللؤلؤ. والصِئْبَانُ ما يَتَحبَّبُ من الجليد كاللؤلؤ الصِغَار[4]. وهذا وصفٌ صريحٌ لزمن يأتي عند انصراف الشتاء وإقبال الربيع، ولا أعتقد أن هنالك أكثر منه وضوحاً.

وأشار جواد علي إلى أن بعض الموارد اليونانية القديمة، ذكرت أن العرب كانوا يُحرِّمُونَ شهراً واحداً منفرداً، من شهور الربيع، وشهرين آخرين مُتَّصِلَيْنِ يقعان في القيظ، أما الشهرُ الثالثُ الذي أُلْحِقَ بهذين الشهرين، فصارتْ به ثلاثةً سَرْداً، فيبدو أنه حُرِّمَ في وقتٍ مُتأخِّرٍ[5]... ومن الواضح أن الشهرَ المنفردَ هو شهرُ رجَبٍ، والشهرين الآخَرَيْن هما ذو القعدة

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٥٣٧ (عتر).
(٢) الأعلام: ٢/ ٥٤.
(٣) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ـ تحقيق د. عزة حسن: ٨٢ ـ ٨٣ (البيتان: ٨ و ١١).
(٤) لسان العرب: ١/ ١٤٠ ـ ١٤١ (كفأ)، و ١/ ٥١٤(صأب)، وفقه اللغة: ٢٧٨.
(٥) المفصل: ٨/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥.

وذو الحجة، والشهرَ الثالثَ هو المحرَّمُ أي صَفَر الأول، وقد حُرِّم بعدما نُقِل رأسُ السنةِ من رجَبٍ إليه. ومن شأن هذا التأكيدُ على أن شهرَ رجَبٍ شهرُ ربيع، وهو ما ذكره مؤرِّخٌ يونانيٌّ آخَرُ بقوله: إن العرب يحجُّون إلى معبدهم مرتين في السنة، مرةً في وسط الربيع، عند اقتران الشمس ببُرجِ الثور، أي في نيسان (أبريل)، وذلك لمدة شهر واحد، ومرةً أُخرى في الصيف لمدَّة شهرين[1]. وهذا يعني أن شهر رجب كان يقعُ في فصل الربيع الذي يأتي بعد الشتاء، أي بين آذار ونَيْسَان (مارس وأبريل)، ذلك أن أول نَيْسان كان يقع قديماً في الواحد والعشرين من آذار، قبل تأخيره عن ذلك. . .

يُؤيِّدُ هذا المذهبَ أن مادَّةَ «رَجَب»، لم تكن في الأصل تعني التعظيم، أو التقديس أو المَهَابَةَ، وإنما صارت تعنيها لأن «الشهر كان مُقدَّساً في الجاهلية، يَذْبَحُونَ فيه العَتَائِرَ، ويُقيمونَ بعضَ مناسك الحجِّ الجاهلي القديم. . .»[2]، والأصلُ في الترجيب: أن تُدْعَمَ النخلةُ الكريمةُ بالرَّجْبَةِ، إذا خِيفَ عليها أن تقعَ وتتكسَّرَ أغصانُها حين يكثر حَمْلُها[3]. . . ومنه قولُ بعضهم مُفْتَخِراً بقبيلته: أنا عُذَيْقُها المُرَجَّبُ[4]. . . أي أنَّ لي عشيرةً تَعْضُدُني، وتَمنعُني، وتُرْفِدُني. والعُذَيْقُ: تصغيرُ العَذْقِ، وهو النخلةُ بحَمْلِها عند أهل الحجاز. والترجيبُ هنا معناهُ: إرْفادُ النخلةِ لِئَلاَّ تَسقُطَ، أو يقعَ حملُها، ويقالُ: إنه ضَمُّ أعذاقِ النخلةِ إلى سَعَفَاتِها، وشَدُّها بالخُوصِ[5]، لِئَلاَّ تَنْفُضَها الريحُ، فَتُسقِطَ ثَمَرَها. وهو أيضاً: تَسْوِيَةُ سُرُوعِ

---

(1) المرجع نفسه: ٨/٤٨٦.

(2) أسماء الأشهر في العربية: ٦٦.

(3) د. صبحي الصالح ـ دراسات في فقه اللغة: ١٩٧.

(4) هو الحُبَابُ بن المنذر الأنصاريُّ، قاله عند بيعة أبي بكر، رضي الله عنه، يومَ السقيفة.

(5) الأعذاق: مُفْرَدُها عَذْقٌ، وهو من النخل كالعنقود من العنب. والسَّعَفُ: مُفْردُهُ سَعَفَةٌ وهي أغصان النخلة. والخُوصُ: ورق النخل. ويقال أيضاً: العَذْقُ كلُّ غصنٍ له شُعَبٌ.

الكَرْمِ، أي قُضْبانِه الرطبةِ[1]. . . ذلكم هو الترجيبُ في أصل معناهُ: أعمالُ دَعْمٍ وشَدٍّ وإصْلاحٍ على النَخْلِ والزَّرْعِ، تُجْرَىٰ في مطلع الربيع. وقد جاء في دائرة معارف القرن العشرين، أن العادة استقرَّتْ منذ أقدم العصور، على رَبْطِ عَراجينِ النخيل في شهر نيسان (أبريل) من كل عام، منعاً للريح أن تُسْقِط ثمارَها[2]. . . ومن شأنِ ذلك كلِّه إثْباتُ أن شهرَ رجَبٍ هو ابتداءُ الربيع عند العرب، وأن وَجْه التسميةِ فيه قائمٌ على العناية بالثمار، والأغصان التي تحملُها وقتئذٍ، للحفاظِ عليها، وأنه يُقابِلُ شهرَ نَيْسَانَ عند أهل الشام والعراق، وإبريل عند أهل مصر وشمال أفريقية، في وقوع أوَّلِ زَمَنِهِ في بداية فصل الربيع.

* * *

⑤ ـ شَهْر شَعْبَان:

وهو الشهرُ الثامنُ من أوَّل السنة عند العرب. قيل إنه سُمِّيَ بذلك لِتَشَعُّبِهم فيه، أي تفرُّقِهم في طلب المياه، وقيل في الغارات[3]. . . وقيل لِتَشَعُّبِ العُودِ، أي لتفرُّعِ الأغصان عن الأشجار، فالشهر من شهور

---

(١) لسان العرب: ١/ ٤١١ ـ ٤١٣، وتاج العروس: ٢/ ٤٨٥ (رجب).

(٢) محمد فريد وجدي ـ دائرة معارف القرن العشرين ـ دار المعرفة ـ بيروت (١٩٧١ م): ١٠/ ١١١ (نخل). «وقد جرت العادةُ منذ عهد بعيد جداً، بالاستعانة على إخْصَابِ النخل، بأن يُؤخَذَ عُرجونٌ صغير من زهر الذَّكَر، المعروف بالطَّلْع، قبل تمام نُضْجه مباشرةً، ويُوضَع بين ثَمَرِ الأنثى لمنع الأخطار والخسائر التي تنشأ من طريقة الإخصاب بالريح، ويجب ربط عراجين الذكر لمنع الريح من إسقاط محصولها، وتجري هذه العملية في شهر نَيْسان ـ أبريل».

(٣) لسان العرب: ١/ ٥٠٢، وتاج العروس: ٣/ ١٤٢ (شعب)، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥، وعجائب المخلوقات: ١١١، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٠٢، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٩.

الربيع[١]. وزاد المرزوقيُّ على ذلك قولَهُ: لاشْتِعَابِ الظَّعْنِ إيَّاهم عن المربع إلى المحاضر[٢]، أي لأن الارْتحالَ إلى ديارهم في المحاضِر، يُفرِّقُهم بعدما كانوا مجتمعين في موسم التربُّع بالبادِيَة. ويكونُ وجهُ التَّسْميةِ إذ ذاك مأخوذاً من التَشَعُّبِ، بمعنى التفرُّقِ والتَصَدُّعِ، ومن ذلك سُمِّيَ العَدَدُ من القبائل شَعْباً[٣]، وفيه قال الشاعر:

لا أَحْسِبُ الدهرَ يُبلي جِدَّةً أبداً ولا تَقَسَّمُ شَعْباً واحداً شُعَبُ

أراد أن يصفَ أحياءً مجتمعين في موسم الربيع، فلما قصدوا العودةَ إلى المحاضر، تَقَسَّمَتْهُم مِيَاهُهم، فقال: ما كنتُ أظنُّ أن شُعَباً مُتَفرِّقةً مختلفةً، تُفَرِّقُ شَعْباً واحداً مُجتَمِعاً، وذلك أنهم كانوا في مَنَاجِعهم ومَرابِعهم مُجتمعين على نيَّةٍ واحدةٍ، فلمَّا يَبِسَ العُشْبُ، ونَشَّتِ الغُدْران، توزَّعَتْهُم أعْدادُ المياه في ديارهم بالمحاضِر، فصاروا شُعَباً، على نِيَّاتٍ كثيرةٍ[٤]، أي فِرَقاً وقبائلَ منتشرةً في أوطانٍ مُتَباعدةٍ. . .

وكان التشعُّبُ يبدءُ مع دُخول الزمن الذي حُدَّ فيه هذا الشهرُ، فاشْتُقَّ له إسمُ شَعْبانَ، في دلاَلةٍ دقيقةٍ على التفرُّق بعد الاجتماع، فالشَّعْبُ: التفريقُ والتصْدِيعُ، والتَشَعُّبُ: التفرُّقُ والتصدُّع، والشَّعْبُ: الجمعُ والإصلاح. . . ومن الواضح أن الأمر لا علاقةَ له بالغارات، وما ذاك أكثرَ من اختراعِ زَوَّرَهُ أهلُ الأخبار.

ومن عادة العرب، أنهم لا يزالون في موسم التربُّع، يَنْتجعُونَ البوادي،

---

(١) صبح الأعشى: ٢/ ٤٠٢.

(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٨، ٢٧٨.

(٣) لسان العرب: ١/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨ (شعب)، و ٣/ ١٣٠ (جمد).

(٤) الأزمنة والأنواء: ١٥٧، ولسان العرب: ١/ ٥٠٠، وتاج العروس: ٣/ ١٤٠ (شعب).

حتى يطلُعَ منزلُ «الشَرَطَيْنِ»، وطلوعُهُ في السادس عشر من نيسان (أبريل)، فذلك أوّلُ تَفرُّقِهم عن البوادي، ورُجُوعِهم إلى مَواطِنِهم، ومِيَاهِهم في مَحاضِرهم، ثم يَتْبَعُ بعضُهم بعضاً في الرجوع، حتى يَطْلُعَ منزلُ «الهَقْعَةُ» في السابع من حزيران (يونيه)، فلا يبقى أحدٌ منهم في البادية، لأن الغُدْرانَ بالبوادي قَلَّتْ وخاسَتْ[1]. وفي ذلك يقول ساجِعُ العرب: إذا طَلَعَ الشَرَطانِ، استوى الزمان، وحُضِرتِ الأوْطانُ، وتهادَتِ الجيرانُ[2]... وهو كنايةٌ عن اعتدال الزمان، وانتهاءِ موسم التبدِّي، وشُروعِ البادِينَ في هذا الوقت بالعودة إلى مَحَاضِرهم ومِيَاهِهم، التي يُقِيمونَ عليها عادةً، ثم يأخذُ الجيرانُ منهم بالتَّهادِي، لكثرة النعَم والخير في موسم الربيع. وجاء في قولٍ آخَر: وحُضِرَتِ الأعْطانُ[3]... وهي مَبَارِكُ الإبِلِ حول الحِيَاضِ التي تُسْقَى منها في غير أوقات التبدِّي والنجعة، وإنما تُعْطِنُ العربُ الإبِلَ على الماء، حين تطلعُ «الثريَّا»، ويرجعُ الناسُ من المناجع إلى المحاضِر[4]، وطلوعُ «الثريَّا» يكون في نحو الثاني عشَرَ من أيَّار (مايو)، وهو مُؤْذِنٌ بإقْبال الحرِّ وشِدَّته[5]. وإذا أخذنا بما ذكره ابنُ منظور عن طلوع الثريَّا بالحجاز، في العَشْرِ الأوْسَطِ من أيَّار[6]، فمن شأن ذلك التأكيدُ على أن شهر شَعْبانَ حُدَّ في الزمن الواقع بين طُلوع الشَّرَطَيْن وطُلوعِ الثريَّا، وأنه كان يُقَابِلُ شهرَ أيَّار، وقد كان ثابتاً في موقعه، لارتباطه بالزمن الذي ينتهي فيه موسمُ الربيع،

---

(١) الأزمنة والأنواء: ١٥٨.

(٢) المفصَّل: ٨/ ٤٢٩.

(٣) الأزمنة والأنواء: ١٥٧.

(٤) لسان العرب: ١٣/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ (عطن).

(٥) عجائب المخلوقات: ٧٧ ـ ٧٨.

(٦) لسان العرب: ١٢/ ٥٧٠ (نجم).

ويأخذُ الناس فيه بالعودة عن النُجْعَةِ في البادية إلى الإقامة في المحاضِر، ولم يكن قطعاً شهراً للغزو والغارات.

* * *

⑥ - شَهْرُ رَمَضَان:

وهو الشهرُ التاسعُ من أوَّل السنة عند العرب، وهنالك إجْماع على أن وجه التسْمِيَة فيه قائمٌ على الرَّمَضِ والرَّمْضَاءِ، أي شِدَّة الحَرّ، عندما سُمِّيَ بذلك[1]. وأضاف المسعودي وجهاً آخَرَ للتسمية، فزعم أنه إسْمٌ من أسماء الله، ولا يجوز أن يُقالَ فيه إلا شهر رمضان[2]. ولكن ابنَ كثير خَطَّأَ من قال إنه اسمٌ من أسماءِ الله، وطلب أن لا يُلْتَفَتَ إليه، ولايُعَرَّجَ عليه[3]، وكذلك فَعل الزبيديُّ[4]. وقولُهم: عندما سُمِّيَ بذلك، هَذَرٌ قُصِدَ به تَبريرُ فُقْدانِه معناهُ، بعدما صار دائراً في جميع الفصول! والأصلُ فيه أنه كان ثابتاً في موقعه من الأزمنة، لأنه كان موسماً للتحنُّثِ والعبادة في عصر الجاهلية... وقد ذكر البلاذريُّ[5]، أن قُرَيشاً كانت «إذا دخل رمضانُ، خرج من يُريدُ التَحنُّثَ منها إلى حِرَاءٍ، فيُقيمُ فيه شهراً، ويُطعِمُ من يأتيه من المساكين، حتى إذا رَأَوْا هلالَ شَوَّال، لم يَدْخُلِ الرجلُ على أهله، حتى

---

(١) صبح الأعشى: ٢/ ٤٠٢، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٩، وعجائب المخلوقات: ١١١، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٨، ٢٧٨.

(٢) مروج الذهب: ٢/ ١٨٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥.

(٤) تاج العروس: ١٨/ ٣٦٣ (رمض).

(٥) البلاذري: أحمد بن يحيى. مؤرِّخٌ، جغرافيٌّ، نسَّابة. كان يُجيد الفارسية، ونقل عنها كثيراً. بقي من مصنَّفاته التاريخية: كتابُ فتوح البلدان، وكتاب أنساب الأشراف. توفي سنة (٢٧٩ هـ = ٨٩٢ م).

يطوفَ بالبيتِ أسبوعاً»[1]، أي سبعَ مراتٍ، والتحنُّثُ: التعبُّدُ واعتزالُ الأصنامِ وعبادتِها، وهو موسمٌ لا بُدَّ أن يكون ثابتاً وقتئذٍ. يؤكدُ ذلك أن من معاني الرَّمَضِ، فضلاً عن الحَرِّ، الرُّجُوعَ من البادية إلى الحاضرة[2]، وشاهِدُهُ قولُ الشاعر:

إذا الجَـوْزاءُ أرْدَفَـتِ الثـريَّـا ظَنَنْـتُ بـآلِ فـاطمـةَ الظُّنُـونـا

ومعناه أن «الجوزاء» تَرْدُفُ «الثريَّا» في اشتداد الحرِّ، أي تأتي بعدَها، وعند ذلك تجِفُّ المياهُ، فتَتَفَرَّقُ الناسُ في العودة إلى محاضِرهم، فتَغيبُ عنه محبوبتُه، فلا يَدري أين مضَى بها أهلُها، وهو كان الْتَقاها في موسم التربُّع، أيامَ تخرجُ القبائلُ من منازلها، وتجتمع في مَنَاجِع البادية[3].

والواقعُ أن «الجوزاء» تطلعُ في التاسع من حزيران (يونيه)، بُعَيْدَ طُلوعِ «الهَقْعَة»، وحينئذٍ تبدأُ حَمارَّةُ القَيْظِ، والتهابُ الحَرِّ. وفي ذلك يقول ساجعُ العـرب: «إذا طَلَعـتِ الهَقْعَـةُ، تَقَـوَّضَ النـاس للقُلْعَـةِ، ورَجَعُـوا عـن النُجعَة...»، أي أنهم يُقَوِّضُونَ خِيَامَهم في البادية، ليَرجعوا عن النُجْعَةِ إلى أوطانهم، فذلك الميقاتُ آخِرُ عهدهم بالبادية في تلك السنة[4]. وهذا مِصْداقُ قولهم: إن الرَّمَضَ هو الرجوعُ عن المبادي إلى المحاضِر، وهو في شهر رمضانَ قطعاً، ومعناهُ أن رمضان زمنُ قَيْظٍ، وأنه كان يُقَابِلُ شهرَ حَزيرانَ، وأن إسمه مأخوذٌ من المَعْنَيَيْنِ: شدَّةِ الحرِّ، وآخِرِ العهدِ بموسم التبدِّي لذلك العام.

* * *

(١) أنساب الأشراف: ١/ ١٠٥.

(٢) لسان العرب: ٧/ ١٦٠، وتاج العروس: ١٨/ ٣٦١، ٣٦٧ (رمض).

(٣) لسان العرب: ٩/ ١١٥ (ردف).

(٤) الأزمنة والأنواء: ١٦٥ ـ ١٦٦.

⑦ ـ شهرُ شَوَّال:

وهو الشهرُ العاشرُ من شهور العرب، وأوَّلُ أَشْهُرِ الحجِّ. وقولُه تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ . . . ﴾[1]، معناهُ: شَوَّالٌ، وذو القعدة، وعَشْرٌ من ذي الحجَّة، وذلك بإطلاق الجمع على شهريْن وبعضِ الثالث للتغليب، وهذا ما أَطْبَق عليه معظمُ الأئمَّة، بينما ذهب بعضُهم إلى أن معناهُ: شوَّالٌ، وذو القعدة، وذو الحجَّة بكماله[2]. وهنالك ثلاثةُ أقوالٍ في تسمية شوَّال.

الأول: يجعلُها من الشَوْلِ، أوالشَوَلان، وهو الرَّفعُ أو الارتفاعُ. . . يَعْني أن الإبِلَ كانت تَشُولُ فيه أذنابَها، أي ترفعُها علامةً على رغبتها في اللقاح. ولذلك كانت العربُ تكرهُ عقدَ الزواج في هذا الشهر، وتَتَشَاءَمُ به، حتى أَبْطَلَ النبيُّ عليه السلامُ تَشَاؤُمَهم. وهذا دليلٌ على أن الشهر كان ما يزالُ ثابتاً في زمنه، لم ينتقلْ في الفصول، حين صَنَعَ النبيُّ ذلك.

والثاني: يجعلُها من التَشْويل، وهو النقصُ والجفاف. وذلك أن أَلْبَانَ الإبِلِ كانت تُشَوِّلُ فيه، أي تَقِلُّ، وتَجفُّ[3]، «وكذلك حالُ الإبل عند اشتدادِ الحرِّ، وانقطاع الرُّطْبِ»[4]، أي انقطاعِ العُشْبِ والكلأ لشِدَّةِ الحرِّ. وهو دليلٌ آخَرُ على ثبات الشهر في موقعه أيامَ الجاهلية.

والثالثُ: يجعلُ التسميةَ من الشَوْلِ أيضاً، بمعنى الرفع، ولكنْ ذهاباً

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤١٨/١، ولسان العرب: ٢٢٧/٢ (حجج).

(٣) الأزمنة والأمكنة: ٢٧٨/١، ومروج الذهب: ١٨٩/٢، وعجائب المخلوقات: ١١٢، وتفسير ابن كثير: ٣٩٥/٣.

(٤) لسان العرب: ٣٧٧/١١ (شول).

منه إلى أن الإبِلَ كانت تَشُولُ بأذنابها، إذا حُمِّلتْ في هذا الشهر للرحيل إلى الحجِّ[1]. . . وهو قولٌ غيرُ دقيقٍ، لأنه، إذا صحَّ، أمْكَنَ وقوعُه متى حُمِّلَتِ الإبلُ في كل الشهور. . .

وإذا صرفنا النظَرَ عن اهتمامِ أهل الأخبار والمؤرِّخين بالإبِلِ، وكأنها مَن سَمَّىٰ الشهرَ باسْمِهِ، وتَغَافُلِهم عن أصحابِها العربِ وفِكْرِهم، أمْكن أن نستخلِصَ من تلك الأقوال، ومن الرجوع إلى معاني مادَّة «شَوَلَ» في العربية، أن الزمن الذي كان يقعُ فيه شهرُ شوَّالٍ، زمنٌ تشتدُّ فيه الحرارةُ عادةً، وينقطع العشبُ والكلأُ، وتكونُ حالُ الإبل على تلك الصورة من حُبِّ اللقاح، وجفَافِ الألبان في الضُروع. . . ونحن نعلمُ أن هذا الزمنَ هو ابتداءُ ارتحال العرب إلى الحجاز، لِشُهُودِ مواسم الحجِّ الأكبر في مكة، وأسواقِ عكاظ ومجنَّةٍ وذي المجَاز، فهو زَمنٌ له آيَتَانِ إذن، إحداهما: الارتفاعُ، أي ارتفاعُ الحرارة واشتدادُها، وهذا هو المعنى الرئيسُ الأوَّلُ لمادَّة «شول»، وأمَّا ارتفاعُ الأشياءِ الأُخرى، كأذنابِ الإبل وغيرها، فهو مَعْنىً فَرْعيٌّ تَبَعيٌّ. والآيةُ الأُخرى: الارْتحالُ، وهو المعنى الرئيسُ الآخَرُ للكلمة. وكانت العربُ تقول في القوم إذا خفُّوا ومَضَوْا: شالَتْ نَعَامَتُهم، أي ارتحلتْ جماعتُهم، وخَفُّوا مُسْرِعينَ[2]، والشَوْلُ هنا معناه الارتحالُ إلى مواسم الحجِّ، وشوَّال أوَّلُ أشْهُرِ الحجِّ. وإذا فتَّشْنا في أقوال العرب عن دليلٍ آخر، وجدنا ساجِعَهم يقول: «**إذا طلعَ الذِرَاعُ، حَسَرتِ الشمسُ القِنَاع، وأشْعَلَتْ في الأُفُق الشُعَاع، وتَرقْرق السَّرَابُ بكل قَاع**»، والمعنى أن شِدَّةَ الحرِّ لم تَدَعْ غايةً في التَوَقُّدِ والذَكاءِ[3]. . . ويكون طلوعُ منزل «**الذِراع**» نحو الثالث من

---

(١) صبح الأعشى: ٢/ ٤٠٢.

(٢) لسان العرب: ١١/ ٣٧٦ (شول).

(٣) الأزمنة والأنواء: ١٦٨.

تمُوز (يوليو)[1]، ويَتْبعُهُ طلوعُ «الشِعْرى العَبُور» في التاسع عَشَر منه، وعند ذلك يبلغُ الحرُّ مُنْتَهاهُ، وتأخذُ شِدَّتُه بالتراجُع[2]... ولعلَّ أطرفَ ما يُصوِّرُ شدَّةَ الحرِّ في شوَّال، قولُ الشاعر:

أَبا دُلَيْجَةَ، مَنْ لحَيٍّ مُفْرَدٍ صَقِـعٍ من الأعْداءِ في شوَّال؟

أي مَن لإنسانٍ يكادُ يموتُ برداً، خوفاً من الأعداءِ، رغم كونه في شَوالٍ شهرِ الحرِّ! والصَّقِعُ مَنْ أصابه الصقيعُ، أي الجليد[3].

وعلى ذلك يكون وجهُ التسمية في شوَّال قائماً على مَعْنَيَيْنِ من معاني الكلمة، هما: الشَوْلُ بمعنى الارتفاع أي اشتداد الحرّ، والشَوْلُ بمعنى الارتحال في سرعة. ويكون موقعُ هذا الشهر في تقديرنا موقعَ شهر تموز (يوليو) من السنة الشمسيَّة.

* * *

٨ ـ شهرُ ذي القَعْدَة:

وهو الشهرُ الحادي عشر من أول السنة، والثاني من أشهُرِ الحجِّ. وأكثَرُ المفسِّرين والأخباريين على أنه سُمِّي بذلك لقُعودِ العرب فيه عن القتال، لأنه شهرٌ محرَّم[4]... وفي قولٍ آخر: لِقُعودِهم فيه عن الأسْفارِ والغَزْوِ وطلبِ الكلأِ والميرة[5].

---

(١) عجائب المخلوقات: ٧٩.
(٢) الأزمنة والأنواء: ١٦٩ ـ ١٧٠.
(٣) لسان العرب: ٨/ ٢٠١ (صقع).
(٤) صبح الأعشى: ٢/ ٤٠٢، وعجائب المخلوقات: ١١٢، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٩.
(٥) لسان العرب: ٣/ ٣٥٧، وتاج العروس: ٩/ ٤٦ (قعد)، والأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٧٩.

ولا يبدو لي هذا التعليلُ في القَوْلَيْن كافياً أو مُقْنِعاً، فقعودُهم عن القتال، إن كان قتالٌ، كقُعودهم في سائر الأشهُرِ المحرَّمةِ على السواء، فما بالُ هذا الشهرِ سُمِّي بذلك دون غيره منها؟. . . وقُعودُهم عن الأسْفارِ وطلبِ الكلأ والميرةِ قولٌ غيرُ صحيح، ففي هذا الشهر يقومُ موسمُ سوقِ عكاظ، أكبرِ أسواقِ العرب، وأعظم منتدياتهم الاجتماعية، فكانوا يرتحلون إليه جماعاتٍ، من مختلف بلاد العرب، للمتاجرة والامتيار، ولقضاءِ حاجاتٍ شتَّى، أو ليكون لهم منه محطةٌ في طريقهم إلى كعبةِ مكَّة للقيام بمنَاسِك الحجِّ. . . وإذا كان المرادُ بقُعودهم عن الأسفار وطلبِ الكلأ، قُعودَهم عن الارتحال إلى البوادي لانتجاع مَواضِع الكلأ، فهو غير صحيح أيضاً، لأن التبدِّي في موسم الخريف الآتي يبدءُ أواسطَ هذا الشهر!

ويُقال إن مادَّة «قَعَد» لم تَرِدْ في كلِّ اللغات الساميَّة، ولكنها جاءت في السريانيَّة بمعنى «الرُّكُوع وثَنْي الرُّكَب»[1]، وهو معنىً يجعلُ لها صبغةً دينيَّةً. . . أما في العربية فمعناها القُعودُ من قيام، والقَعْدَةُ: المَرَّةُ من القُعودِ، والقِعْدَةُ: مقدارُ ما يأخذُهُ القاعِدُ من المكان لقُعودِهِ، ويُقال: رجلٌ قاعِدٌ عن الغزوِ، إذا كان لا يمضي إلى القتال، ويقال لمَواضِع قُعودِ الناسِ في الأسواق: المقَاعِدُ[2]. . . وبالجمع ما بينَ العربية والسريانية يتبيَّنُ لنا أن شهر ذي القعدة إنما سُمِّي بذلك لأنه شهرٌ للنُسُكِ والعبادة، يقعدون فيه عن القتال، وتقعدُ طوائفُ كثيرةٌ منهم في الأسواق، تأخذُ مقاعِدها منها أثناء انعقاد مواسمها في هذا الشهر، كسوق عكاظ، وسوق مجنَّة، وسوق الرابية بحضرموت.

---

(١) أسماء الأشهُر في العربية: ٧٦.

(٢) لسان العرب: ٣/٣٥٧، وتاج العروس: ٩/٤٤ ـ ٤٦، ٦٠ (قعد).

ويغلبُ أن يكون شهرُ آبِ (أغسطس) الظرفَ الطبيعيَّ لموقع شهر ذي القعدة في الأصل، ولكنه في تطوُّرٍ لاحقٍ، وبعدما جرى تثبيتُ شهور السريانيين في سنة الشمس وأزمنتها، صار يتقدَّمُ أحياناً على شهر آب، ويأتي غالباً بين شهري تمُّوز (يوليو)، وآب (أغسطس)... ويُلاحظ هنا أمران:

الأول: ما كان لشهر آب من الصبغة الدينية عند الأقوام القديمة، وهو ما سنتحدث عنه في كلامنا على شهر ذي الحجَّة.

والثاني: أن نجم «سُهَيْلٍ» المشهور يَطْلُعُ نحو الرابع عشر من شهر آب[1]، أي في العَشْر الأخير من ذي القعدة، وحينئذٍ يبدأُ عند العرب موسمُ التربُّعِ في المناجعِ والخروجِ إلى البادية، أو قصد كعبة مكةَ لأداءِ فريضَةِ الحجِّ في شهر ذي الحجة.

* * *

⑨ ـ شهر ذي الحجَّة:

وهو الشهرُ الثاني عشر والأخير من شهور العرب، سُمِّيَ بذلك لإيقاعِهِمُ الحجَّ الأكبرَ إلى مكة فيه، وعلى هذا كلُّ المؤرِّخينَ والأخباريين[2]. وكان مرَّ بنا أن عرب الجنوب كانوا يُسَمُّونَه: ذو حجتن، أي ذو الحجَّة، وذلك لقيامهم بأداءِ فريضة الحجِّ فيه إلى مكة. أمّا قولُ جواد علي بأن مكة لم تكن مَحجَّةَ أهلِ اليمن[3]، فقولٌ فيه نظرٌ! ويمكنُ تَفْنيدُه من جانبيْن،

---

(١) الأنواء: ٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٥، ومروج الذهب: ٢/ ١٨٩، والأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٧٨، وصبحُ الأعشى: ٢/ ٤٠٢، وعجائب المخلوقات: ١١٢، والمفصَّل: ٨/ ٤٦١، وأسماء الأشهر: ٧٦ ـ ٧٧.

(٣) المفصَّل: ٨/ ٤٧٨، ٤٧٩.

أوّلُهما: إذا لم يكن عربُ الجنوب يحجُّون إلى كعبة مكة، فما الذي بدا لأبْرَهَةَ حتى بَنَىٰ معبدَ القُلَّيْسِ بصَنعاءَ، وفي نيَّتِهِ أن يصرفَ جميعَ العرب للتعبُّد فيه، والحجَّ إليه، لا إلى مكة، فلمَّا أخْفَق في ذلك، قام بحملته المعروفة يريدُ هدمَ الكعبة؟ وثانيهما: ما معنى تواتُرِ الأخبار عن كسوة مُلوك اليمن بناءَ الكعبة في كثير من السنين؟ هذا، مع علمنا بأن كعبة نجرانَ كانت محجَّةً لأهل اليمن، ومثلها بيتُ رِئَام بصنعاء، ولكن كعبة مكة كانت محجَّةً لكل العرب، وشهر ذي الحجة، أو ذو حجتن، إنما كان لأداء فريضة الحجِّ إليها.

وفي تقديرنا أن هذا الشهر كان يُوافق شهرَ أيلول (سبتمبر) في التقويم السرياني والرومي، ثم صار في تطوُّرٍ لاحقٍ يقع بعضُه في شهر آب (أغسطس)، وبقيَّتُه في شهر أيلول. ويُؤيِّدُ هذا التقديرَ أن «شهر آب كان في نطاق بعض الديانات ظرفاً لإيقاع طائفةٍ من الشعائر. ولليهود فيه، حسب محلِّهِ من سنتهم، ممارسةُ صيامٍ إحياءً لتذكارات، وللمسيحيين فيه، حسب محلِّه من السنة الشمسيَّة، ثلاثةُ أعيادٍ: عيدُ التجلِّي، وعيدُ العذراء، وعيدُ شهادة يوحنا المعمدان»[1]... وللعرب في ذي الحجة الحجُّ إلى بيت الله الحرام بمكة، ويبدو أنهم كانوا يحرصون على أن يظلَّ موعدُ حجِّهم موافقاً موعدَ نُضْج غلاَّتِهم، والمعروفُ أن «آب» جَذْرٌ بابليٌّ معناهُ الغَلَّةُ والثمرُ الناضج، ولذلك كانوا، كلما تقدَّمتْ سنةُ القمر على سنة الشمس، يطلبون من فقهائهم تأخيرها ليظلَّ موقعُ ذي الحجَّة ثابتاً بين شهريْ آب وأيلول، وليظلَّ موعدُ الحجِّ موافقاً موسمَ نضج الغَلَّات...

وهنالك نصٌّ آخَرُ يؤيِّدُ هذا المذهبَ أيضاً في التقدير، وقد نُقِل عن

---

(١) معجم العلايلي: ١٧ (القسم الأول من المجلد الأول).

مُؤرِّخ روماني[1]، عاش في القرن السادس الميلادي، ذكر فيه أن عَرَبَ العراق كانوا يجعلون في السنة شَهرَيْن حَرَماً لآلهتِهم، لا يَغْزون فيهما، ولا يُقاتِلُ بعضُهم بعضاً، يقعان في تَمُّوز وآب (يوليو وأغسطس). . . وعَدَّ جواد علي هذا النصَّ إشارةً قيِّمةً إلى وجود الأشهر الحرُم عند عرب الشمال، ودليلاً واضحاً على أنها كانت ثابتةً لا تدور، فلا يقعُ حَجُّهم مرَّةً في الشتاء، ومرَّةً في الصيف، تارةً في الربيع، وتارةً في الخريف، فحجُّهم ثابتٌ، وأشهُرهم ثابتة[2].

وإذا نظرنا في هذا النصّ كرَّةً أُخرى وجدنا أن شَهْرَيْ تمُّوزِ وآبَ ربما كانا يوافقان وقتئذٍ شهري ذي القعدة وذي الحجَّة المحرَّمَيْن أيضاً عند عرب الحجاز، وذلك حينما «كان شهرُ آب الشهرَ الثاني عشر عند السريانيين»[3]، قبل أن يُنقل رأسُ السنة الشمسيَّة إلى تشرين الأول (أكتوبر)، وكان الشهرَ السادسَ في السنة لمّا كان آذارُ (مارس) رأسَ السنة[4]. وبينما صارت شهور العرب في العراق والشام ثابتةً في سنة الشمس، ظلَّت شهورُ العرب في

(١) پروكوپيوس ـ PROCOPIUS: أمين سرِّ القائد بليزاريوس أعظمِ قادة جستنيانوس. له كتابٌ في أخبار العرب، وآخرُ في تاريخ عصره.

(٢) المفصَّل: ٨/ ٤٨٥ ـ ٤٨٦.

(٣) معجم العلايلي: ١٧ (حرف الألف).

(٤) كان شهرُ رجَبٍ في زمانٍ مُتقدّم يُقابل شهرَ آذار في التقويم السرياني، وكان كلاهما رأسَ السنة: الأولُ عند العرب، والثاني عند أهل الشام والعراق وكثيرٍ من الأمم الأخرى. ثم صار شهرُ رجَبٍ بعدئذٍ يُقابل شهر نَيْسانَ لمّا نُقل أولُ السنة إلى هذا الشهر. وكذلك كان شهرا ذي القعدة وذي الحجة يُقابلان شهريْ تموز وآب، وبانتقال أول السنة إلى نيسان، صارا بعدئذٍ يُقابلان شهريْ آب وأيلول. ومن هنا كانت ملاحظةُ المؤرِّخ الروماني عن تحريم عرب الشمال شهريْ تموز وآب، في مُقابلة ذي القعدة وذي الحجَّة عند عرب الوسط. . .

الحجاز قمريَّةً، يجري تأخِيرُها بالكبس كلَّما تقدَّمتْ، ليظلَّ موسمُ الحجِّ ثابتاً في موعده من أزمنة الشمس.

وإذا كان القيامُ بشعائر الحجِّ والتقرُّب إلى الله وجْهَ التسمية لهذا الشهر بذي الحجة، فلا شك في أنها تسميةٌ قديمة، لأن الحجَّ في العرب قديم، يعودُ العهدُ به إلى أيَّام النبيِّ إبراهيم عليه السلام. والحجُّ في الأصل كلمةٌ ساميَّةٌ مُشتَركة، كانت تفيدُ في الأصل معنى الرقص، ثم معنَى الطَّواف، ثم معنَى العيد... أمَّا الحجُّ بمعنى القَصْد، وزيارةِ الأماكن المقدَّسة، فتَطوُّرٌ ثانويٌّ في الدلالة. ومن المعلوم أن الرقص كان طَقْساً، تُمارسه الشعوبُ القديمةُ، في المواسم والأعياد الدينية، ولم يَشِذَّ العربُ عن سائر الشعوب، بل إن الأخبار القليلة التي وردت عن الجاهلية تشيرُ إلى أنهم كانوا يرقصون في أعيادهم[1].

* * *

وأخيراً، وبعد عَرْضِ أسماء شهور العرب، وتقليبِ معانيها، والاستعانةِ بالمأثورات لبيانِ حقيقةِ العِلَّةِ والدلاَلةِ في تسْميةِ كلِّ شهر منها، بات من الجَليِّ أن أهل الحجاز كانوا يتبعون تقويماً شمسيّاً قمرياً، وأن شهورهم كانت في الأصل ثابتةً، لا تدور في الأزمنة، أي في الفصول، وإلا فلم يكن هنالك معنىً لتَسْمِيتها بأسماءٍ لها كلُّ تلك الدِقَّةِ في الدلالة على حالات الطبيعة والاجتماع، والحرِّ والبردِ، والمواسم... ولا يُمكنُ لعاقلٍ أن يقبلَ بما زعمه أهلُ الأخبار عن ورود تلك الأسماءِ اتفاقاً ومُصَادفةً، من غير رَوِيَّةٍ أو علمٍ أو تحقيق. صحيحٌ أن العرب كانوا، كسائر الأمم،

(١) أسماء الأشهر في العربية: ٧٧.

يعتمدون الأهِلَّةَ لافتتاح شهورهم، ومُتَابعة شؤونهم اليوميَّة، ولكنهم كانوا أيضاً مِثْلَهم يعملون على تثبيت شُهورهم في الأزمنة، كي تظلَّ معانيها مُتَوافقةً مع مواسم زراعتهم، وتجارتهم، وعباداتهم، وحَجِّهم، وأسفارهم. وسنجدُ في القسم التالي بحثاً عن قسمة الفصول الطبيعية عند العرب، يؤيدُ ما توصلنا إليه في موضوع الشهور.

* * *

جدول أسماء الشهور

كما كانت عليه عند الأقوام القديمة

حينما نُقل رأسُ السنة من نيسانَ (أبريل) أو رجَبٍ إلى تشرين (أكتوبر) أو صَفَر

البابليّة	السريانيّة	الآرَاميّة ـ التدمريّة	العبريّة	العربية الشمالية	شهور العرب
تشرينو، تشرينُم	تشري قدم	تشري	تشري، تسري	تشرين الأول	صَفَر الأول المحرّم
شمانو[1]	تشري أَخرَيْ	كَنُون	مرحشوان[2]	تشرين الثاني	صفَر الثاني
كسْلُو	كنون قدم	كسلول	كسلو	كانون الأول	ربيع الأول
طِبتُ، تُنطِرو	كنون أَخرَيْ	طِبتُ	تبتُ	كانون الثاني	ربيع الآخِر
شَبَطُ، شباطُو	سباط، شباط	شبط	شباط، شبات	شباط[3]	جمادى الأولى
أدارو	أدر	أدر	أدر	آذار	جمادى الآخرة
نيسانو	نيسان	نيسن	نيسَن، أبيب	نَيْسَان	رجب
إيارُو[4]	إيّر	إيّر	إيّارا	أيّار	شعبان
سِيوانُو	حزيرن	سِيوَن	سِيوَن	حزيران	رمضان
تَمُّوزو	تمُّوزُ	قنين	تموز	تموز	شوّال
آبُو	آب	أبّ	أبّ	آب	ذو القعدة
أَلُولو	أيلول	أَلُول	أَلُول	أيلول	ذو الحجّة

(١) شَمَانُو: أي ثَمانٍ، وكان الشهرَ الثامنَ ابتداءً من نيسان.

(٢) مرحشوان: أصل الكلمة «وَرَح شَمن» أي شهر ثمان، ثم انقلبت في النطق إلى مرحشوان.

(٣) شباط: معناها في الأكادية «وَبَاءٌ»، وكذلك في الآشورية، وسَبّاط في العربية تعني الحمى والوباء، وبذلك سُمّي الشهر. وقد أثبتت الكشوفُ الأثرية أن اسمَ هذا الشهر كان معروفاً في القرن التاسع ق. م.

(٤) الإيرُ والإيّارُ: الريحُ الحارّةُ، من الأُوَار، وهي كذلك في اللغات السامية، وفي شعبان الذي يُقابل أيّار، تطلُعُ الثريّا ويشتدُّ الحرّ. وأيّارُ الشهرُ الثامنُ في السنة السريانية، وكذلك شعبانُ في العربية.

جدول بمواقع شهور العرب من شهور السريانيين والروم، بعدما جرى تثبيتُه في الفصول الأربعة لِسَنةِ الشمس، وذلك على أساس أن الأوَّلَ من المحرَّم والأوَّلَ من تشرين الأول كليهما كان يقع في أول فصل الخريف، وعلى فرض أن هذا ما كانت عليه هَيْأةُ الزمان سنة (١٠ هـ = ٦٣٢ م).

الشهر العربي	موقعه من شهور الشمس مُقدَّراً على التقريب	عدد أيامه
صفر الأول (المحرَّم)	من ١ تشرين الأول إلى ٣٠ تشرين الأول	٣٠
صفر الآخِر	من ٣١ تشرين الأول إلى ٢٨ تشرين الثاني	٢٩
ربيع الأول	من ٢٩ تشرين الثاني إلى ٢٨ كانون الأول	٣٠
ربيع الآخِر	من ٢٩ كانون الأول إلى ٢٦ كانون الثاني	٢٩
جُمادَى الأولى	من ٢٧ كانون الثاني إلى ٢٥ شباط	٣٠
جُمادَى الآخِرة	من ٢٦ شباط إلى ٢٦ آذار	٢٩
رجب	من ٢٧ آذار إلى ٢٥ نيسَان	٣٠
شَعْبان	من ٢٦ نيسان إلى ٢٤ أيّار	٢٩
رمضَان	من ٢٥ أيّار إلى ٢٣ حزيران	٣٠
شوَّال	من ٢٤ حزيران إلى ٢٢ تموز	٢٩
ذو القعدة	من ٢٣ تموز إلى ٢١ آب	٣٠
ذو الحجَّة	من ٢٢ آب إلى ١٩ أيلول	٢٩
الأيام التي تتقدَّم بها سنةُ القمر على سنة الشمس، وهي ما يسمى بأيام النسيء.	من ٢٠ أيلول إلى ٣٠ أيلول	١١ يوماً

المطلب الثاني ـ مذاهب العرب في قِسْمةِ الفُصول والأزمنة:

لعلَّهُ من الواضح، أن العربَ أقامتْ عِلْمها بطبائع الأَزْمَنَة، وانفصال الفُصول، على ما كان يَصْحَبُ، أو يُعْقِبُ مَطالعَ النجوم، ومسَاقِطها، من التقلُّبات الجَوِّيَّة، كالأمطار، والرياح، والحَرِّ والبرد. وجعلتْ بين ذلك كله علائقَ زَمَنِيَّةً، تعرفُ بها الأوقات وتَتابُعَها، والفُصولَ وتَواليها...

أمَّا تَعْيينُ يومٍ مَخْصوصٍ لدُخولِ كلِّ فصلٍ، فأمرٌ ربما كان من صُنْع أهلِ الرصْد والحساب، لأن العرب كانوا يعرفون مواقيتَ انفصالِ الفصول، بمراقبتهم حركةَ النجوم، ولا سيما منها منازل القمر، فكلما طلع نجمٌ، سقَطَ نجمٌ، وأعْقَبَ ذلك نَوْءٌ مُدَّتُه معلومةٌ منهم، وصِفَتُه معروفةٌ عندهم، وكان فيهم خُبَرَاءُ بالنجوم والأنواء وتَقلُّباتِ الطبيعة، ذكر ابنُ كناسة منهم: بني مارية من قبيلة كلب، وبني مرَّة بن همام من شَيْبان[1]، وغيرهم، يَتوارثُون العلمَ بينهم. وعلى ذلك، يجبُ أن نُقرِّر ابتداءً أنَّ العرب، لمَّا قَسَمَتْ سنَتَها إلى فُصولٍ، وأزمنةٍ طبيعيَّةٍ، جعلت ذلك بناءً على ما عرفتْه أوطانُها من هُطول الأمطار، وهُبوب الرياح، و «إقبالِ الحَرِّ والبرْدِ، وإدْبارِهما، وطلوع النبات واكْتِهاله[2]، وهَيْجِ الكلإِ[3]، ويُبْسِهِ»[4]. كما جعلت أوقاتَهُ محدودةً بمَطَالعِ النجوم ومسَاقِطِها[5]، على ما بين البُلْدان من تَفاوتٍ يَسيرٍ في أيام رؤيتها، فربما طلع النجمُ ببلدٍ في وقتٍ، وطلع ببلدٍ آخَر في وقتٍ آخَر، إما

---

(١) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٩٩، والمفصَّل: ٨/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦.

(٢) اكْتَهَل: النباتُ، تمَّ طولُه ونماؤه.

(٣) الهَيْجُ: معناه هنا الاصفرارُ والجفاف.

(٤) الأنواء: ١٠٤، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٧٤.

(٥) الأزمنة والأنواء: ٩٨.

قبله، وإما بعده بأيام[1].

وذهبوا كذلك في عَدد الفُصول، وترتيبها، وتحديد أوقاتها، وفي تَسْميتها، مذهباً مختلفاً عن مذاهب أهل الحساب والرَّصْدِ. . . فمِنْهم مَن جعل السنة سِتةَ أزمنة، ومنهم من جعلها أربعةَ أزمنةٍ، ولعلها في حقيقة الأمر زَمَنانِ بارِزَانِ لا أكثر: شتاءٌ وصيف، مع قِصَر الأول وطُولِ الثاني. . .

١ ـ فأما من جعلها سِتةً، فإنه قسَم السنةَ نصفين: شتاءً وصَيْفاً، وبدأ بالشتاء فجعله أوَّلَ السنة، لأن الله قدَّمهُ في الذِكْر على الصيف، ولأنه زَمَنُ الأمطار التي يخرجُ بها النباتُ، وتحملُ الأشجارُ. ثم قسَمَ الشتاء على ثلاثةٍ، والصيفَ على ثلاثةٍ، فصارت السنةُ كلُّها ستةَ أزمنةٍ، سُمِّي كلُّ زمنٍ منها باسْمٍ يتَّفقُ وطبيعةَ ما يكونُ فيه، وقُدِّرَ له من السنة شهرانِ، ومن منازل القمر أربعةٌ وثُلثانِ[2]، فأمَّا أزمنة الشتاء الثلاثةِ فهي: الوَسْميُّ، ثم الشتاءُ، ثم الربيع، وكلُّها شتاءٌ، وأمَّا أزمنة الصيف الثلاثةِ فهي: الصَّيْفُ، ثم الحميمُ، ثم الخريفُ، وكلُّها صَيْفٌ، إلا أن بعضهم يقول في أزمنة الشتاء: الوَسْميُّ، ثم الشَّتويُّ، ثم الدَّفَئيُّ، ولا يذكر الربيع[3]. . . وأظنه لم يذكرْهُ، لأن الدَّفَئيَّ نُسِبَ إلى الدَّفَأ، وهو سُخونةُ الجوِّ، تأتي بعد انصراف البرد، في إقْبال الربيع، وهو بهذا المعنى زمنٌ يَقْدمُ بين يَدَيْ الربيع، وكأنه جزءٌ منه، ويأتي بمعناه أيضاً الدَّثَئيُّ[4]. ويؤكِدُ ما ذهبنا إليه أن كلمة «دثأ» في السَّبَئيَّةِ

---

(١) الأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٠١.

(٢) صبح الأعشى: ٢/ ٤٤٣، والأزمنة والأنواء: ٩٨ ـ ٩٩، ولسان العرب: ٨/ ١٠٣ (ربع)، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٥.

(٣) الأزمنة والأنواء: ٩٦ ـ ١٠٠، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٣ ـ ١٦٥، و ١/ ١٩٨ ـ ١٩٩، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٤٣، ولسان العرب: ١٤/ ٤٢١ (شتا)، و ٩/ ٦٣ (خرف).

(٤) تاج العروس: ١/ ٢٢٧، ولسان العرب: ١/ ٧٦، ٧٧ (دفأ)، و ١/ ٧١ (دثأ).

والحِمْيرية، معناها الربيع، أو مَطَرُ الربيع، وشهرُ «ذو دَثَأ» هو شهرُ الربيع[1]. أمَّا الوسْمِيُّ فسُمِّيَ بذلك لأنه أولُ المطرِ، ينزل في أول السنة، فيَسِمُ الأرضَ بالنبات[2]. والشتويُّ نُسِب إلى الشتاء[3]، والصيِّفُ نُسبَ إلى الصيف، ويأتي عادةً بعد انصراف الربيع[4]. والحميمُ: القَيْظُ، وهو في الأصل ماءٌ شديدُ الحرارة[5]، سُمِّي به المطرُ يأتي في القيظ بعد اشتداد الحرِّ[6]. .

وإذا أردنا أن نقول شيئاً في هذه القسمة، فلا بُدَّ أن نُشير أولاً إلى أن تقديم العربِ الشتاءَ على الصيف، لا يعني تقديمَ البردِ على الحرِّ، وإنما تقديمَ المطَرِ والماءِ على الجفَافِ والقَحْطِ. وعلى ذلك كان أَحَقَّ أن يُبْتَدَءَ فيها بالخريف، لأنه، كما أكَّدَ الأصمعيُّ، أولُ ماءِ المطر في إقبال الشتاء[7]، ولأن نَوْءَ الوسميِّ، كما ذكر ابنُ كُناسة، أولُ أنواءِ الخريف[8]، والعربُ تُسمِّي الخريفَ ربيعاً لوقوعِ أوَّلِ المطر فيه[9]. وهكذا يكون أوَّلَ أزمنة الشتاء الثلاثة: الخريفُ، أو الوَسميُّ وهو ربيع الماء والعُشْبِ، وأوّلَ أزمنة الصيف الثلاثة: الربيعُ، وهو ربيعُ الكمأة والكلأ والنبات، ويُفهم مما ذكره الزَّبيديُّ أنَّ الصيفَ إن لم يكنِ القيظَ نفسَهُ، فهو زمنٌ يأتي بعد الربيع

---

(١) المفصَّل: ٨/ ٤٤٤، ٤٤٩.
(٢) الأزمنة والأنواء: ١٧٩، وصبح الأعشى: ٢/ ١٩٢.
(٣) لسان العرب: ١٤/ ٤٢١ (شتا).
(٤) تاج العروس: ٢٤/ ٤٣ (صيف).
(٥) فقه اللغة: ٢٨٦.
(٦) لسان العرب: ١٢/ ١٥٥ (حمم) ومحيط المحيط: ١٩٧.
(٧) فقه اللغة: ٢٨٣، وصبح الأعشى: ٢/ ١٩٢، ولسان العرب: ٩/ ٦٣ (خرف).
(٨) الأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٠٠.
(٩) لسان العرب: ٨/ ١٠٣ (ربع)، و ١٢/ ٦٣٦ (وسم).

وقبل القيظ[1]، أي قبل الحميم، وهذا يتفق مع كَوْنِ أوَّلِ أزمنة الشتاء، وأوَّلِ أزمنة الصيفِ، كلَيْهما ربيعاً، كان للعرب فيه موسمٌ كبيرٌ للتبدِّي، والتَّربُّعِ، وانْتِجَاعِ مَسَاقِطِ الغَيْث، ومَواضِعِ الكلأ والكمأة والنبات... على أن هذا المذهبَ في قِسْمة السنة إلى ستة فصول، لم يكن ، فيما ذكر المرزوقيُّ، مذهباً عامّاً في العرب جميعاً، وإنما كان مذهبَ أهلِ الحجَاز فقط[2]. وربما لم يكن كلُّ أهل الحجاز كذلك، فقد كان من أقوالهم: أَغْبَطُ الناسِ عَيْشاً مَن كان يَتَربَّعُ جُدَّة، ويَتَقَيَّظُ الطائفَ، ويَشْتُو بمكة[3]... ذكرَ التربُّعَ، والتقيُّظَ، والشَّتْوَ، وكأنه أراد أزمنةً ثلاثةً، وإنما أراد في الحقيقة أربعةً. فالتربُّعُ كما أوضحنا موسمٌ يقعُ في زَمَنَيْنِ: الخريف، وفيه الربيعُ الأوَّلُ، والصيف، وفيه الربيعُ الثاني، ويبدو أنهم كانوا ينتجعون فيهما جُدَّة، وكانت يومئذٍ باديةً، تمتدُّ من البحر الأحمر غرباً، إلى ذات عِرْقٍ ووادي نَخْلة شرقاً، تسكنها أحياءٌ من قُضَاعَة، وترعى فيها أنعامها[4].

* * *

٢ ـ وأما مَن جعلَ السنةَ من العرب أربعةَ أزمنةٍ، فإنه بدأ فقسَمها أيضاً نصفين: شتاءً وصَيْفاً، وقَدَّم الشتاءَ على الصيف، وجَعل الفاصِلَ بينهما نجْمَ «الصَّرْفَة»، وهو من منازل القمر، فإذا طلَعَ مع الفجر فذلك فصلُ الخريفِ وأوَّلُ الشتاء، وإذا غاب مع الفجر فذلك فصلُ الربيع وأوَّلُ الصيف، ويكون

---

(١) تاج العروس: ٢٤/ ٤٢ (صيف).
(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٥.
(٣) معجم البلدان: ٤/ ١٢. و (تَقَيَّظَ الطائفَ: أي أقام بها زَمنَ القيظ، والقيظُ: شدة الحرارة).
(٤) المرجع نفسه: ٢/ ١١٥.

بين طُلوعِهِ نحو السابع من شهر أيلول (سپتمبر)، وغُروبِهِ نحو السابع من شهر آذار (مارس) ستةُ أشهُرٍ كاملة، هي نصفُ السنة. وكانت العربُ تقولُ: الصَّرْفَةُ نابُ الدَّهر[1]، لأنها تفتَرُّ عن فَصْلِ الزَّمانَيْن: البردِ والحَرِّ، وإنما سُمِّيَ هذا النجمُ بالصَّرْفَةِ لانْصرافِ الحرِّ عند طُلوعهِ، وانْصرافِ البَرْدِ عند سُقوطه.

ثم قسَمُوا الشتاءَ نِصفَيْنِ، والصيفَ نصفَيْنِ، فصارت السنةُ كلُّها عندهم أربعةَ أزْمِنَةٍ، حِصَّةُ كلِّ زمنٍ منها ثلاثةُ شهور، وذلك عَددُ الفُصول الطبيعيَّة عند مُعْظَم الأمَم. ولكنَّ العربَ فارقَتْهم في أسمائها، وتحديد أيامِ دُخولها، وذهبت في ترتيبها، كما ذهب السِرْيانِيُّونَ، إلى الابتداءِ بفصل الخريف، وسَمَّتْهُ الربيعَ الأوَّلَ، لأنه موسمُ النَدىٰ والمطر، وجعلت دُخولَه لثلاثة أيام تمضي من أيلول (سبتمبر). ويجب أن لا نَتوقَّفَ كثيراً عند تسميتهم الخريفَ ربيعاً، لأنهم يُسَمُّون المطرَ والطلَّ والنَدىٰ والزهر والعشبَ والكلأَ والكمأةَ كلَّها ربيعاً، وفي الخريف أيضاً يَخْتَرِفُون ما نَضَج وأدرك من الثمار.

ثم يأتي بعد الخريف فصلُ الشتاء، وجعلوا دخولَهُ لثلاثة أيام تمضي من كانون الأول (ديسمبر)، ثم فصلُ الصيف، وهو الذي يُسمِّيه الناسُ فصلَ الربيع، ويُسمِّيه العربُ الربيع الثاني، وفيه يبلُغُ النباتُ مُنْتَهاهُ، وتأتي فيه الكمأةُ والكلأ والنَوْرُ، ودخولُه لخمسةِ أيام تخلو من شهر آذار (مارس). ثم فصلُ القَيْظِ، وهو صميمُ الصيف، ودخولُه لأربعة أيام تمضي من شهر

---

(1) لسان العرب: ٩/ ١٨٩ (صرف)، وصبح الأعشى: ٢/ ١٧٧، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٧، ١٧٠، ١٩١، ٢٠٢ ـ ٢٠٣، والأزمنة والأنواء: ١٥٠، ١٧٧، وعجائب المخلوقات: ٨٠، والأنواء: ملحق منازل القمر...

حزيران (يونيو)[١].

ويبدو أن هذا التقسيم كان مذهبَ العربِ في الشمال، وقد حقَّق ابنُ الأجدابيّ في هذا الأمر، وأكَّدَ على أن الأشْبه بمذهب العرب في وسط الجزيرة هو الابتداءُ في القِسْمة من لَدُن سقوط منزل «الفَرْغ الثاني أو المؤخَّر» في أفق المغرب نحو العشرين من شهر أيلول، وذلك يكون أوَّلَ السنةِ، ودُخُولَ فَصْلِ الخريف[٢].

وكان العربُ في جنوب شبه الجزيرة، كالعرب في وَسَطها وشمالها، يَقسِمُون السنةَ أيضاً إلى أربعة أزْمنةٍ، بدليل ما جاء في تُراثهم من أسماء الفُصول. وكانوا يبتدئون بفصل الخريف، وهو عندهم: «خَرفُن»، أي الخريف، ثم فصل الشتاء، ويُسَمُّونه «ضَرْبُن»، ومن معاني الضرب والضريب في العربية: المطرُ والصقيعُ والبردُ الشديدُ والريحُ[٣]... ثم فصل الربيع، ويُسمُّونه «دَثأ»، ثم فصلُ القَيْظ، ويُسمَّى «قَيْظُن»[٤].

غير أن الفصولَ الأربعةَ هناك تَتَقدَّمُ أزمانُها الأزمانَ المعهودةَ للفصول في التوقيت الشمسي، فالخريفُ هو الشتاءُ في الجنوب، والشتاءُ هو الربيع. والربيع هو الصيفُ، والصيف هو الخريف[٥].

---

(١) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٤، ١٦٧، ١٧٠، ١٧٤ ـ ١٧٥، ٢٠٢ ـ ٢٠٣، ومروج الذهب: ٢/ ١٩٢، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣، والأزمنة والأنواء: ٩٦ ـ ٩٧، ولسان العرب: ٨/ ١٠٣ (ربع)، و ٩/ ٢٠٢ (صيف)، و ٧/ ٤٥٦ (قيظ)، و ١٤/ ٤٢١ (شتا)، و ٩/ ٦٣ (خرف).

(٢) الأزمنة والأنواء: ٩٩ ـ ١٠٠.

(٣) لسان العرب: ١/ ٥٤٦ ـ ٥٤٧، وتاج العروس: ٣/ ٢٤٧، ٢٥٠ (ضرب).

(٤) المفصَّل: ٨/ ٤٤٣.

(٥) محمد بن أحمد الشاطري ـ أدوار التاريخ الحضرمي، عالم المعرفة بجدَّة (١٩٨٣): ١٩.

ونقل جواد علي عن بعض المستشرقين، أن في عرب الجنوب مَن كانوا يقسمون السنةَ أيضاً ثمانيةً وعشرين قسماً، كلُّ قسمٍ منها مُدَّتُه ثلاثةَ عَشَر يوماً، وكانوا يعتمدون هذه القسمةَ في زراعتهم ومعاملاتهم، ويبتدئون هذه السنةَ من زمن «ذُو فَرْعم»[1].

ومن الواضح أن هذا التقسيم إنما هو مَنازِلُ القمر عند عرب الوسَطِ والشمال، وأن «ذو فَرْعم» هو نفسُه منزلةُ «الفَرْغ» المقدَّمِ أو المؤخَّرِ، فإن كان المؤخَّرَ، فهو ما كان يُسمَّى عندهم فَرْغَ الربيع، وبه كان ابتداءُ سنتِهم، وهو ما أكَّدهُ ابنُ الأجدابي كما أشرنا قبل قليل، وهذا يُثْبت أن العربَ في الشمال والوسَط والجنوب كانوا يأخذون في حساب السنة بدورة منازل القمر، وهو مطابقٌ لحساب السنة الشمسيَّة. ويبدو أن أهل حضرموت ما يزالون يعتمدون منازلَ القمر في التأريخ، فقد وجدتُ نصّاً يصفُ الطقسَ هنالك جاء فيه «. . . وأشدُّ أيام السنةِ حرارةً الأربعينيَّةُ، وهي أربعون يوماً، تبدأُ من (٧) الغَفْر، أي (٤) أيار ـ مايو، وأشَدُّ من هذه الأربعينيَّة حرارةً المُثَمَّنَاتُ، وهي ثمانيةُ أيام: الأربعةُ الأيامِ الأوَاخِرُ من منزلةِ الشَّوْلة، والأربعةُ الأيام الأوائلُ من منزلة النعائم»[2]. . . وهو نصٌّ واضحٌ يُثبتُ أن القومَ ما يزالون يعتمدون منازلَ القمر إلى العصر الحاضر.

ووِفاقاً لما ذكرناه آنفاً عن مواعيدِ أنواءِ المنازل، واتخاذِها أعلاماً على انتقال الزمن، يتبيَّنُ لنا أن ابتداءَ نَوْءِ الغَفْرِ، وهو من المنازل الجنوبية، يكون في حضرموت يومَ الثامن والعشرين من نَيْسانَ (أبريل)، أي بعد رؤيته في

---

(١) المفصَّل: ٨/ ٤٤٥.

(٢) أدوار التاريخ الحضرمي: ١٨.

الشمال ساقطاً في أُفُق المغرب بأحَدَ عَشَرَ يوماً، حيث يُرَىٰ هنالك يوم السابع عشر من نيسان.

* * *

٣ ـ والواقعُ أن تقسيم السنَةِ، ستَّةَ أزْمنةٍ، أو أربعةً، ليس أكثرَ من تقسيمٍ نظريّ في جزيرة العرب، وهو لا يعني قطعاً أن الطبيعة هنالك تختلفُ اختلافاً بَـيِّناً، كلما انقضَى زَمنٌ وأقْبلَ زَمن، أو أن يومَ دُخولِ الزَّمَنِ إنما هو حَدٌّ قاطِعٌ بينه وبين الزمن الذي بعدهُ، أو أن عِدَّةَ أيام الفَصْل مُسَاوِيةٌ لعِدَّةِ أيام الفصل الآخر، مُتَميِّزَةٌ منها[1]. . . كلُّ هذا مَذهبٌ في القول بَعيدٌ من الدِقَّة والحقيقة، لأنَّ زَمَنَيْ الشتاءِ والصيفِ هما أكثرُ الأزمنة ظهوراً في جزيرة العرب، والصيفُ أطْوَلُها مُدَّةً، وأشَدُّها وضوحاً، والشتاءُ أقْصَرُها وقتاً، ويكاد الخريفُ يسْتَغرِقُ معظمَ أيامه، ويَسْلَخُها بمواسمه وأمطاره. وبينما مناطق الغَوْرِ، وسهلُ رُكْبَة، والحجازُ، والطائفُ تُمْطَر في الخريف، فإن أهلَ اليمن يُمْطَرون في القَيْظِ، ويخْصِبُون في الخريف، وتِهَامَةُ في فصول السنة كلها طيِّبةٌ غداةً، ولياليها أطيبُ الليالي، لا تُؤذي بَحرٍّ مُفْرط، ولا قُرٍّ مُؤْذٍ، وفي الحديث: تِهامَةُ كبديع العسل، حُلْوٌ أَوَّلُه، حُلْوٌ آخِره. شبَّهها بزقّ العسل، لأن هواءهَا لا يتغيَّر، فأوَّلُه طيِّب وآخِره طيِّب، وكذلك العسل[2].

ولعل هذا ما جعلهم يقسمون السنة نصفين: شتاءً وصيفاً، ويُقدِّمون الشتاءَ على الصيف[3]، ثم يجعلون أواخِرَ القَيْظِ داخلةً في أوائل الخريف،

(١) المفصَّل: ٨/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣.

(٢) لسان العرب: ٨/ ١٠٣ (ربع)، و ٩/ ٦٣ (خرف)، و ٨/ ٧ (بدع)، ومهد العرب: ٢٨، والمفصَّل: ٨/ ٤٤٣.

(٣) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٧.

قُبَيْل دُخُولِ أوَّلِ السنة، وهي «أربعون ليلةً، يختلفُ حَرُّها وبَردُها، تُسمَّىٰ المُعْتَدِلات»[١]، أوَّلُها طُلوعُ «سهيل»[٢]، وهو يطلعُ في الحجاز نحو الرابع عشر من آب (أغسطس)[٣]، وطلوعُه مُؤْذِنٌ بانتهاء الحَرِّ، وشُروعِ الناس في الخروج من ديارهم في المحاضِر، إلى النُّجْعَةِ في المبادي[٤]، وكانت العربُ تقولُ: «إذا طلع سهيلٌ بَرَدَ الليلُ، وخِيفَ السَّيْلُ. . .»[٥]. ثم يتبعُ بعضُهم بعضاً في الخروج إلى المرابع في البادية، حتى إذا سقط «الفَرْغُ الثاني» في أُفُق المغرب نحو العشرين من أيلول (سبتمبر)، أي بانقضاء الليالي الأربعين المعتدلات تقريباً، أصبحوا جميعاً وقد تَوزَّعَتْهُم المَراتِع[٦]، واقْتَسَمتْهمُ المَنَاجع[٧]، وشَرَعُوا في موسم التبدِّي الأوَّلِ مع أوَّلِ السنة وابتداءِ الخريف. . .

وإذا كان الخريفُ، في الأصل، إسماً للمطر يأتي في آخِرِ القَيْظ[٨]، أو إسماً لأوَّلِ ما يقعُ منه في إقْبال الشتاء، أو كان إسماً للوقت الذي تُدْرِكُ فيه الثمارُ، فتُخْرَفُ، أي تُجْتَنَى[٩]، لكنه في جميع الأحوال صار اسماً لِزَمنٍ تُفْتَتَحُ به السنةُ عند العرب، بل وتُسَمَّىٰ به أحياناً، ويأتي عند إقْبالِ الشتاء،

---

(١) المرجع نفسه: ١/١٩٩، وتاج العروس: ١٢/ ٣٣٤ (صفر).

(٢) سُهَيْلٌ: نجمٌ بَهِيٌّ طُلوعُه على بلاد العرب أواخِرَ فصل القيظ.

(٣) الأنواء: ٩٦، وعجائب المخلوقات: ٨٠.

(٤) الأزمنة والأمكنة: ١/١٩٩، و ٢/ ١٢٥، ولسان العرب: ٤/ ٤٦٣ (صفر)، وعجائب المخلوقات: ٨٠.

(٥) الأزمنة والأنواء: ١٧٣.

(٦) الرَّتْعُ: الأكلُ والشربُ رَغَداً في الريف، والرَّعيُ في الخصب.

(٧) الأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٢٥.

(٨) الأزمنة والأنواء: ٩٦، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٧٠.

(٩) لسان العرب: ٩/ ٦٢ ـ ٦٣ (خرف).

بعد إدْبَارِ الحَرِّ. وإذا كانت قسمةُ السنة عند العرب قامت في الأصل على ستَّةِ أزمنةٍ، أو أربعةٍ، أو اثنين فقط، فإن الخريف هو أوَّلُ ما يأتي فيها جميعاً، زَمَناً، أو فصْلاً، أو مَطراً وربيعاً، أو اخْتِرافاً للثمار. . . وأمَّا الليالي الأربعون المُعْتَدِلاتُ، فإنها تأتي والحَرُّ يمضي مُدْبِراً، والخريفُ يَقْدَمُ مُقْبِلاً، والزمانُ زمنُ نَدىً ورَوْحٍ وطَلٍّ وغَيْث، وحينئذٍ يكونُ إدْراكُ الثمارِ، وصِرامُ النخل، واجْتِناؤُهُ بُسراً كان أو رُطَباً، وشِيَارُ العسَلِ من خَلايَاهُ، ونِتَاجُ الإبِلِ والغَنَم[1]. . . وفيه يكون الوسْميُّ وانتجاعُ الكلأِ الذي تُنْبِتُه أمطارُ الخريفِ، وتَسِمُ به الأرضَ[2]، وَسْمَ الخُضْرةِ بعد الجَفاف، وهو ما جعل العربَ تَتَقلَّبُ في تسمية هذا الزمن، فتُسَمِّيه وَسْمِيّاً تارةً، وخريفاً أو ربيعاً تارةً أخرى، بينما سائرُ الناس تُسمِّيه خريفاً[3].

فالوسْميُّ إذن هو المطَرُ الواقعُ في زمن الخريف[4]، وابتداؤهُ أوَّلُ غُروبِ كوكبِ **«الفَرْغِ المؤخَّرِ»** حواليْ العشرين من أيلول (سبتمبر)، وانتهاؤه آخِرُ غُروبِ **«الثريَّا»** نحو الثالث والعشرين من تشرين الثاني (نوفمبر)، ومُدَّتُه خمسةٌ وستون يوماً على التقريب، وكانت العربُ تقول: ليس قبل «الفَرْغِ المؤخَّر» وَسْميٌّ، ولا بعد «الثريَّا» وَسْميٌّ[5]، وأن الوَسْميَّ هو الخريفُ[6]، وكانت تُسمِّي أيامَه، ما بين تَوَلِّي القَيْظ إلى إقْبالِ البرد والشتاءِ: **الصَّفَرِيَّة**،

---

(١) الأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٢٧. والشِيَارُ: اجْتناءُ العسل، وأَخْذُهُ من مواضعه، والشَّوْرُ: العَسَلُ المَشُورُ.

(٢) عجائب المخلوقات: ٨٤، ولسان العرب: ٩/ ٦٣ ـ ٦٥ (خرف).

(٣) الأزمنة والأنواء: ٩٦، ومروج الذهب: ٢/ ١٩٢.

(٤) الأزمنة والأنواء: ١٧٩.

(٥) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٨٣، ٢٠٠، وعجائب المخلوقات: ٧٧.

(٦) مروج الذهب: ٢/ ١٩٢.

وهي أوَّلُ الأزمنةِ عندهم[1]، **والصَّفَرِيَّةُ**: النباتُ ينبتُ في أول الخريف، **والصَّفَرِيُّ**: أوَّلُ السنة، وأوَّلُ الشتاءِ، والمطرُ يأتي في ذلك الوقت، ونِتَاجُ الإبِلِ والغَنَم[2]. . . كلُّ أولئك نُسِبَ إلى الصَّفَر، وهو نَفْسُه ما سُمِّيَ به شَهْرا أوَّلِ السنة عند العرب: صَفَرٌ الأوَّلُ وصَفَرٌ الآخِرُ، وهو ما سبق لنا الحديثُ عنه والبحثُ فيه، لمّا تكلمنا على الشهور عند العرب، فهل هنالك موضعٌ خيرٌ من هذا الزَّمنِ، يُمكن أن يقع فيه هذان الشهران؟ وإنما الصَّفَرُ، كما رأينا، من الصُّفْرةِ والصُّفُورَةِ، فأمّا الصُّفْرَةُ فلوْنٌ يعتري الأوراق في الخريف، قُبيل سقوطها في هجمة الشتاء، وأما الصُّفُورَةُ فهي الخُلُوُّ، وكانت ديارُهُم في المحاضِر تَخْلو منهم حينما يُغادِرونها في هذا الزمن إلى المرابع والمناجع في البادية، وهو موسمُ التربُّع الأوَّلِ عندهم، وموعدُ الخُروجِ إلى البَادية، وهو الربيع الأوَّلُ، أي ربيعُ الطلِّ والنَّدى، وإدْراكِ الثمار. وجاء في معاجم اللغة أن شجر الغَضَا يُنْبتُ ثمرةً تُسمَّى **«الحَتْرَة»**، تخرجُ فيه **«أيامَ الصَّفَرِيَّة»**. تَسْمَنُ عليها الإبِلُ وتُلْبِنُ، أي يكثر لَبَنُها. وهذا دليلٌ على أن الصفريَّةَ زمنٌ ثابتٌ من فصول السنة، يقع في شهريْ صَفَر، أيام خروج الناس إلى البوادي لانتجاع الكلأ. ومن أقوالهم: ما بالدار صافِرٌ، أي ما بها أحَدٌ[3]. . .

وعلى ذلك، فالخريفُ، والوَسْميُّ، والصَّفَرِيُّ، وموسمُ الربيعِ الأول أو التربُّعِ، كلُّها أسماءٌ لزمنٍ واحدٍ، هو أوَّلُ الأزمنة في سنة العرب، وابتداؤه

---

(١) لسان العرب: ٤/ ٤٦٤ (صفر).

(٢) تاج العروس: ١٢/ ٣٣٤، ولسان العرب: ٤/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤ (صفر)، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٤٢، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٩٨، وعجائب المخلوقات: ٨٠، والأزمنة والأنواء: ١٧٩.

(٣) تاج العروس: ١٢/ ٣٣٢، (صفر)، و ١٠/ ٥٢٩ (حتر)، ولسان العرب: ٤/ ٤٦٢، ٤٦٤ (صفر)، وفقه اللغة: ٥٨.

غالباً في العشرين من أيلول (سبتمبر)، عند سقوطِ «**الفَرْغ المؤخر**» في أُفقِ المغرب، وطُلوعِ رَقيبهِ منزل «**العَوَّاء**» في الساعة نفسِها من أفق المشرق، فكانوا يقولـون: «**إذا طَـلعَ العَوّاءُ، طاب الهواءُ، وكُرِه العَراءُ، وضُرِبَ الخِبَاءُ**»[1]، وذلك كنايةٌ عن اعتدالِ الزمان، وابتداءِ الخريف، وذهابِ الحرِّ، حتى صار النومُ في العَراءِ مكروهاً، والبَيَاتُ في الأَخْبِيَةِ مطلوباً، اتِّقاءَ لبرد الليل في البادية... وحينئذٍ يَستوي الليلُ والنهار، ويكون في كلٍّ واحدٍ منهما إثنتا عشرة ساعة[2]... وقد حُدَّ شهرا صَفَرٍ أصْلاً في هذا الزمن، أي مع ابتداء فصل الخريف، وهو في الوقت نفسه ابتداءُ سنة العرب...

ويُؤيِّدُ هذا المذهبَ في القول، فوق ما قدَّمناهُ، أن الأيام بعد انقضاءِ نَوْءِ الثريّا، وانتهاءِ زمن الوَسْميِّ، تكون قاسيةً غالباً على الناس، يشتدُّ فيها البردُ، وتعصفُ الرياحُ، ويَقلُّ الغذاءُ والمَرْعَىٰ، وتهزلُ الإبِلُ والأنعام. وسلطانُ البرد إنما يكون أواخرَ الخريفِ وأوائلَ فصل الشتاء. وهذا يكون حين يطلع منزلُ «**القلب**» نحو الرابع والعشرين من تشرين الثاني (نوڤمبر)، فكانوا يتشاءَمُون به، ويقولون: **إذا طلعَ القلبُ، جاء الشتاءُ كالكلب، وصار أهلُ البوادي في كَرْب**... ذلك أن الخريف يكون قد امتزج وقتئذٍ بالشتاء، فصار النهارُ عشرَ ساعات، والليلُ أربعَ عشرةَ ساعةً... ثم تطلعُ «**الشَّوْلَةُ**»، فيقولون: **إذا طلعتِ الشَّوْلَةُ، أعْجَلَتِ الشيخَ البَوْلَةُ، واشتدَّتْ على العِيَال العَوْلَةُ**... وهو كنايةٌ عن شِدَّة البرد، وشِدَّةِ الحاجة إلى الطعام، وفي آخر نَوْءِ الشَّوْلَة، نحو التاسع عَشَرَ من كانون الأول (ديسمبر)، دخولُ فصل الشتاء، وغايةُ قِصَرِ النهار وطُولِ الليل، حيث يأخذُ النهارُ بعد ذلك بالزيادة،

---

(١) عجائب المخلوقات: ٨٠ ـ ٨١، والأزمنة والأنواء: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) الأزمنة والأنواء: ١٧٨.

والليلُ بالنقصان[1]. . . وكانت العربُ تُسمِّي هذه الأيامَ، تأتي بعد انقضاءِ نَوءِ الثريَّا: «شهرَ المُلَيْسَاءِ»، وذكروا أنه وقتٌ تنقطعُ فيه الميرةُ عنهم، ويشتَدُّ البردُ، ويقعُ بين الصَّفَرِيَّةِ والشتاء[2]، وقالوا إن رجُلاً من العرب قال لآخَر: أكرهُ أن تزورَني في المُلَيْسَاءِ، فقال: لِمَ؟ قال: لأنه يَفُوتُ الغَدَاءُ، ولم يُهَيَّأ العَشَاءُ[3]. . . كنايةً عن قِصَرِ النهارِ وطُولِ الليل. . . فإذا كانت غايةُ قِصَرِ النهار وطُولِ الليل تقعُ، كما عَرَضْنا قبل قليل، بين أواخر تشرين الثاني وأواخر كانون الأول، وإذا كانت المُلَيْسَاءُ تقعُ بعد شَهْرَيْ صَفَرٍ، وقبل شَهْرَيْ جُمَادَى، وهما الشتاءُ عند العرب[4]، فإن شهر المُلَيْسَاءِ هو شهرُ ربيعِ الأولُ نفسُه، وهو أواخِرُ الخريفِ وأوائلُ الشتاء، وهو إذن دَليلُنا على صحة ما ذهبنا إليه في موافقة الأوَّلِ من فصلِ الخريف أو موسمِ الربيعِ الأوَّلِ أو الوسْميِّ للعشرين من أيلول، يومِ سُقوطِ منزل «الفَرْغ الثاني» في أُفُق المغرب.

وإذا لاحظنا أن العرب ابتدؤوا السنةَ بسقوط الفَرْغ الثاني، فإنهم خَتَموا نصفَ السنة بمنزل «الصَّرْفَة»، وجعلوا آخر نَوْئها الفاصِلَ بين نِصْفَيْ السنة: الشتويّ والصَّيْفيّ، وزَمَنَيْ البَرْدِ والحَرّ، فسقوطُها علامةٌ على انصرام نصف السنة الشتوي، وطلوعُها علامةٌ على انصرام نصف السنة الصيفيّ[5]. . . وهذا يُذَكِّرُنا بما جُعلت عليه أسماء شهور العرب، فجاء نصفُها أزواجاً

---

(١) الأزمنة والأنواء: ١٤٠ ـ ١٤٢، وعجائب المخلوقات: ٨٢، وصبح الأعشى: ٢/ ١٩٤، والأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٠٤.

(٢) لسان العرب: ٤/ ٤٣٢ (شهر).

(٣) المرجع نفسه: ٦/ ٢٢٢ (ملس).

(٤) الأزمنة والأمكنة: ١٦٨/١.

(٥) الأزمنة والأنواء: ٩٩ ـ ١٠٠، والأزمنة والأمكنة: ١/ ١٧٠، وصبح الأعشى: ٢/ ١٧٧.

ثلاثةً، والنصفُ الآخَرُ ستَّةً أفراداً، فأمّا الأزْواجُ فهي: الصَّفَرانِ، وشهرا ربيعٍ، والجُمَادَيانِ، وأمّا الأفرادُ فهي: رجَبٌ، وشعبانُ، ورمضانُ، وشوّالٌ، وذو القعدة، وذو الحجة[1]... وهذا يعني أن الأزواج الثلاثة كلَّها تقعُ في نصف السنة الشتويّ، وأن الأفراد الستة كلَّها تقعُ في نصف السنة الصيفيّ، ولا أعتقد أن ذلك التقسيم الدقيق جاء عَفْواً واتفاقاً، بل هو حاصِلُ فِكْرٍ وتَدَبُّر، يتَّفِقُ كثيراً وواقعَ المُنَاخ في جزيرة العرب، ولا سيما في مناطق الحجاز ونجْدٍ وتهامة وما اتَّصل بها.

ومثلما جعلوا سقوطَ «الفَرْغ الثاني» مَبْدَءَ لنصف السنة الشتوي، جعلوا طلوعَه في الواحد والعشرين من آذار مَبْدَءَ لنصف السنة الصيفيّ، وأوَّلُه الربيعُ، وقالوا في ذلك: إذا طَلَعَ الدَّلْوُ، فالربيعُ والبَدْوُ، والصَّيْفُ بعد الشَّتْوِ[2]، وكانوا يُسَمُّون منزلَيْ الفرغ الأول والثاني باسْم الدَّلْو. وكان شهرُ رجَبٍ من شهور الربيع وقتئذٍ، فكان أوَّلُه يقعُ في الواحد والعشرين من آذار (مارس)، وكان موسماً دينيّاً حُرِّمت أيامُه، وموسماً للتبدِّي والتربُّعِ، يخرجون فيه إلى البوادي، لاجتناء الكمأة ومُبَكِّر الثمار.

وفي الوقت نفسه عَدُّوا سقوط «الفرغ الأول» في نحو السابع من أيلول (سپتمبر) إرْهاصاً للوَسْميّ[3]، أي مُقَدمةً للخريف، وإيذاناً به، وبموسم التبدِّي الأول. ويُعَدُّ طلوعُ «الصَّرْفَة» في نحو السابع من شهر أيلول أيضاً،

---

(١) أخبار مكة: ١/ ١٨٣، والمفصَّل: ٨/ ٤٥٩.

(٢) عجائب المخلوقات: ٨٤، والأزمنة والأنواء: ١٥١ ـ ١٥٢، وانظرْ قولَ بشر بن أبي خازم:

جادَتْ له الدَّلْوُ والشِّعْرَىٰ ونَوْؤهما ... بكلِّ أسْحَمَ داني الوَدْقِ مُرْتَجِفِ

والأسْحَم: الأسود، والوَدْقُ: المطر، والمرتجِف: المتحرِّك والمضطرب (الديوان: ١٥٧).

(٣) لسان العرب: ٧/ ٤٤ (رهص).

إرهاصاً للموسم نفسِه، بدليل قولهم: **إذا طلَعتِ الصرفَة، احْتال كلُّ ذي حِرْفَة، وامْتِيزَ عن المياه زُلْفَة**[1]. . . ومعناهُ أن الشتاء أَزِفَ وقتُه، فطفِقَ كلُّ صاحب حرفةٍ يحتالُ فيما يُعِدُّهُ للشتاء، وابتدأ الناسُ بالابتعاد عن مياههم الثابتة، للشروع في موسم التربُّع أو التبدي، وهو ما يسمونه الربيعَ الأول.

* * *

صفوةُ القولِ، فيما قدَّمتُه عن دلالةِ شهور العرب على حقيقة مواقِعها من الأزمنة الطبيعية، وما حَقَّقْتُه بعدئذٍ في مذهبهم إلى قسمة الفصول الطبيعية مع ما يتفقُ وترتيبَ شهورهم، أنَّ سنتهم كانت شمسيةً[2]، تعتمدُ حركةَ منازل القمر في حسابها، وإن كانت شهورُهم مَنُوطةً بالأهلَّة في افتتاحها، لأن القمر أكثرُ وضوحاً في الرؤية، وهو ما جعلها محكُومةً بالدوران من أجل ذلك، ولكنهم كانوا يُثبِّتُونها بالكبْسِ، أو النَّسِيءِ، كلَّ سنتين، أو ثلاثٍ، مرةً، فتظلُّ ضمن حدود الأزمنة التي حُدِّتْ فيها، والشهورِ التي تُقَابِلُها من سنة الشمس. وإذا فَرَضْنا أن أوَّلَ شهر المحرَّم (صفر الأول)، كان يقعُ عند ابتداءِ الخريف من سنة العرب، في نحو العشرين من أيلول، فهو مُطابِقٌ لما كان عليه عند السريانيين، فالأول من تشرين الأول كان يقع يومَ الاعتدال الخريفي[3]، في الزمَنِ نَفْسِه أيضاً، ومن شأن ذلك أن يجعل الأوَّلَ من المُحرَّم يُقَابِلُ الأوَّلَ من تشرين الأول، وإذا افترقا سنةً، عاد الكبْسُ بهما بعدها إلى المقابلة من جديد، وفقاً لما يقتضيه التقديمُ والتأخيرُ، وإحكامُ

---

(١) الأزمنة والأنواء: ١٧٧.

(٢) أسماء الأشهر في العربية: ١١، ٥٥ ـ ٥٦، والمفصَّل: ٨/٥٠٦.

(٣) أسماء الأشهر: ٣٩.

افتتاح الشهور بظهور الأهِلَّة. ومع اعترافي بأن الضَبْطَ في هذا الشأنِ اليومَ مستحيلٌ، لكنني سأقدِّم في القسم التالي من البحث مزيداً من الأدِلَّة.

* * *

المطلب الثالث ـ وجُوهُ التوافُق بين التقويميْن العربيّ والشمسيّ:

هنالك إشاراتٌ وقعتُ عليها خلال البحث، فحفظتُها، لِعَرضها ودَرْسِها في هذا الموضع، مُتَوخِّياً أن تكون أدِلَّةً إضافية، على مُوَافقة شُهورِ العرب شهورَ السريان، في ترتيبها، ومَوَاقعِها من الأزمنة، ودَلَالاتها على تَقلُّب الطبيعة، فضلاً عن المواسم الثابتة في العبادة والزراعة والتجارة.

١ ـ التوافق في تحريم نيسان ورجب، ثم في تشرين الأول وصفر الأول:

لاحظتُ مثلاً أن نصفَ السنة الصيفيَّ عند العرب، يبدأُ بشهر رجَبٍ، وهو شهرٌ مُحرَّمٌ، يأتي في أول الربيع، وقد بلغ من حُرْمَتِهِ أنه كان يُسمَّى شهرَ الله الأصَمَّ. وأن نصفَ السنة الشتويَّ، يبدأُ بشهر صَفَرٍ الأول، وهو مُحرَّمٌ أيضاً، ويأتي في أول السنة، وبلَغَ من حُرْمَته كذلك أنه كان يُسَمَّى شهرَ الله المحرَّمَ، حتى غلب عليه اسمُ المحرَّم مُجرَّداً.

ثم نظرتُ فوجدتُ أن العرب لم ينفردوا في تحريم هذين الشهرين وتَقْدِيسهما، فالسوْمَرِيُّون والبابليُّونَ والسريانيُّون والعِبْرِيُّون والآرامِيُّون كان لسَنَتِهِم رَأسَان، الأوَّلُ دينيٌّ يقعُ في شهر نَيْسَان (أبريل)، والثاني دُنْيَوِيٌّ يقعُ في شهر تشرين الأول (أكتوبر) وكلاهما كان مُقدَّساً، ومُكرَّساً على نَحْوٍ ما للنُسك والتعبُّد، كما في شهريْ رجب والمحرَّم (صفر الأول).

فأمَّا نَيْسَانُ (أبريل)، فيبدو أن معظم الأمم القديمة كانت تبتدىءُ به

سنَتَها[1]، لأن الحياةَ بخُضْرَتها وأنْوارها وزَهرِها تعودُ فيه إلى الأرض من جديد. وكان السومَرِيُّون يُسَمُّونَه الشهرَ الأوَّل، وكان عندهم مُقدَّساً، فغلب عليه اسمُ شهرِ المَعْبَدِ أو المَزارِ المُقَدَّس، فلما أخذه البابليون عنهم، جعلوا إسمه: وَرْخ رَبُّوتي، أي شهرِ الربِّ العظيم، أو كبيرِ الآلهةِ، ثم سَمَّوْهُ بعد ذلك: نَيْسَانَ، أي البدءَ والتحرُّك، ونقله عنهم السريانيُّون والعِبْريُّون والآراميُّون بالإسم نفسه، وظلَّ مقدَّساً عندهم جميعاً، وكان أوَّلُه وقتئذٍ يومَ الاعتدال الربيعي، في الواحد والعشرين من آذار (مارس). غير أن اليهود لمَّا رجعوا من مَنْفَاهُم في بابل، جعلوا إسمه: أَبِيب، ويُقابله في العربية أَبٌّ، بمعنى الربيع والزهر أو السنابل[2].

وأعتقدُ أن العرب في الجاهلية الأولى كانوا على المذهب نفسه، يبتدئُون سنتَهم بشهر رجب المحرَّم، وربما كان قولُه عليه السلام في تعيين موضع رجب: بين جُمادَى وشعبان، بياناً لهذا الأمر، لأنهم كانوا إذ ذاك، لِعِلَّةِ الكَبْس، يُؤَخِّرونه، فيتحوَّلُ عن مَوْضعهِ الذي يختصُّ به[3]، وذلك قبل أن يُنْقَلَ رأسُ السنة عند تلك الأُمَم إلى فصل الخريف، ويَغْدُوَ شهرُ المحرَّم (صفر الأول) رأسَ السنة العربية، مثلما صار تشرين الأوَّلُ رأسَ السنة أيضاً عند البابليين والسريانيين والعِبْريّين والآراميّين، وغيرهم من الأمم... ولعلَّ

---

(١) صار نَيْسَانُ (أبريل) الشهرَ الرابعَ في السنة الغربية، منذ أمر شارل التاسع ملكُ فرنسا، سنة (١٥٦٤ م). بجَعْل كانون الثاني أول السنة، ولكن نيسان قبل ذلك كان أول السنة، وكان عند بعض الرومان الشهر الثاني، وآذارُ أول السنة.

(٢) أسماء الأشهر: ٢٦، ٣٧ ـ ٣٩، ٦٦، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٦٤.

(٣) لسان العرب: ١/ ٤١١ (رجب).

في تعليق أبي بكر الأنباريّ[1]، وهو عالم مُدَقِّقٌ، على مُعلَّقَةِ لبيد بن ربيعة، في شَرحهِ أحَدَ أبياتها، تأكيداً على ما ذهبتُ إليه في شأن رجب، إذ قال: الشهورُ الحرُم أربعةٌ «أوّلُها رجَبٌ، ثم ذو القعدة، ثم ذو الحجة، ثم المحرَّمُ آخِرُها»[2]، وهي إشارةٌ واضحةٌ إلى أن سنة العرب كانت تَبتدِئُ أولاً برجَبٍ، وأن الكَبْسَ كان يجري وراءَ جُمَادَى. وكان العِبْريُّون يكبسون، كلما اقْتَضَتِ الحاجةُ، شهراً وراءَ آذار، يُسَمُّونَه آذار الثاني[3]. ومن هنا نشَأَ تَوَهُّمُ من زعموا أن العرب أخذوا الكَبْسَ عن العبريين، وإنما الحقيقة أن الجميع أخذوا علمهم في ذلك عن السرياتيين أو الآراميِّين[4]، وربما اليونانيين.

وأما شهر تشرين فيبدو أنه صار في تطوُّر لاحقٍ أوَّلَ شُهور السنة عند البابليين، أو سائر من أخذ عنهم كالسريانيين والعِبْريين والآراميِّين[5]، وهو شهرُ الشُّرُوعِ بما يهمُّ الناسَ في حياتهم الدنيا، من الزراعة والتجارة والامْتِيارِ والإعداد لفصل الشتاء. وكان عند البابليين شهراً مُقَدَّساً، يكرّسُونَه لعبادة الإلّه شمش، أي الشمس، وكان عندهم نورَ السماء والأرض، وربَّ الأربابِ جميعاً[6]. ويُعَيِّدُ العبريُّون عيد رأس السنة في أول تشرين، ويصومون

---

(١) ابن الأنباري: أبو بكر محمد بن القاسم، ولد في بغداد (٢٧١ هـ)، وتلقّى العلم عن أبيه وعدد من العلماء، وصار إماماً في اللغة والنحو والأدب، ثقةً ثبتاً صدوقاً، وكان سريع الحفظ، جيّدَ القريحة. توفي سنة (٣٢٨ هـ).

(٢) شرح القصائد السبع: ٥٢١.

(٣) صبح الأعشى: ٢/٤٢٨، والمفصّل: ٨/٤٥٣.

(٤) أسماء الأشهر: ٥٣.

(٥) مروج الذهب: ٢/١٩٢، وصبح الأعشى: ٢/٤١٩، ١/٢٤٤، والأزمنة والأمكنة: ١/١٧٢، ولسان العرب: ١٣/٢٣٦ (شرن)، والأزمنة والأنواء: ٥٣.

(٦) أسماء الأشهر: ٢٩ ـ ٤١، (وجاء في رواية أخرى ذكرها العقاد في كتابه «الله»، أن البابليين كانوا يظنون أن الأرباب تجتمعُ كلَّ سنة، في يوم الاعتدال الخريفي، لِتنظرَ في السماء مقادير السنة كلها، وتسجِّلها في لوحٍ محفوظٍ لا يُمحَىٰ قبل نهاية السنة...): ٩١.

صومَ الكبور في العاشر منه، ثم يُعيِّدون في الخامس عشر منه سبعةَ أيام عيدَ المِظَلَّة، وآخِرُ يومٍ منها يُعَدُّ حجًّا لهم[1].

ومثلما سُمِّي شهرا تشرين بذلك عند السريانيين، بمعنى الشروع والابتداء، فإن شهري صَفَر كانا يُسمَّيان في الجاهلية المتقدّمة شهريْ ناجر[2]، من النَجْرِ أو النِّجَار بمعنى الأصل والابتداء، وليس من النَّجْر بمعنى الحَرّ كما ذهب البعضُ، فهُما الشهران اللذان يبتدءُ بهما العام، أي أنهما أصلُه[3]. . . ومثلما كان الأوّلُ من شهر نَيْسان (أبريل) يقع في يوم الاعتدال الربيعي، كان الأول من تشرين الأول (أكتوبر) يقع في يوم الاعتدال الخريفي، ولا بُدَّ أن الأول من رجَبٍ والأوّلَ من صَفَرالمحرَّم كانا كذلك. . .

كلُّ هذا التماثُلِ، من شأنه أن يقودَنا إلى الاعتراف بموافقة شهور العرب في الحجاز ونَجْدٍ وتهامة، شهورَ الشمس عند الشعوب الأخرى، في ترتيبها، ومواقعها من الأزمنة، فلا يُعقَلُ أن يَشِذَّ العربُ وحدَهم عن نظامٍ اعتمدتْه شعوبُ المنطقة جميعاً، بمن فيهم الرومُ قبل أن تبدأ سنتُهم بشهر (يناير) كانون الثاني.

* * *

(١) صبح الأعشى: ٢/ ٤٦٤، وأحمد بن إسحاق ـ تاريخ اليعقوبي: ١/ ٦٦.

(٢) الأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٨٠، ولسان العرب: ٥/ ١٩٤(نجر).

(٣) يُلاحظ أن معنى كلمة أكتوبر (تشرين الأول) هو الثامنُ، إذ كان الشهرَ الثامنَ في التقويم الروماني القديم ابتداءً من شهر مارس (آذار)، ومعنى سبتمبر (أيلول): السابع، ونوفمبر (تشرين الثاني): التاسع، وديسمبر (كانون الأول): العاشر. ولكن التقويم الغريغوري قدَّم رأس السنة إلى الشتاء، ففقدت هذه الشهورُ معانيها الأصلية، وذلك حينما جعل (يناير) كانون الثاني أول السنة.

٢ ـ توافُق وقوع أيام العجوز بين شباط (فبراير) وآذار (مارس)، وكذلك في جُمادى:

حقَّقْتُ فيما قَدَّمْتُه أن شهرَ جُمادَى الآخِرَة كان يُقَابِلُ شهرَ آذار، وربما كان يقعُ بين السادس والعشرين من شباط والسادس والعشرين من آذار... وبين يَدَيَّ نصٌّ أعتقدُ أن فيه بياناً لما قدَّمته، وتأكيداً على ما حقَّقْتُهُ.

يقولُ علماءُ الأنواء إن «يوم الخامس والعشرين من شباط يكون أوَّلَ الأعْجَازِ...»[1]، والأعجازُ أيامُ العجوزِ المشهورةُ بشِدَّة بردها ورِيَاحِها، ويُقال إنها سبعةٌ، منها أربعةٌ في شباط، وثلاثةٌ في آذار، ولها عند العرب أَسَامٍ، تُشير معانيها جميعاً إلى ما يكون فيها عادةً من بَرْدٍ قاسٍ، وريحٍ شديدةٍ[2]، ولا يَعْنينا هنا سوى اليوم الثاني منها، ويُسَمُّونَه: صِنَّبْراً، والصِّنَّبْرُ شِدَّةُ الريح في بَرْدٍ قاسٍ وغَيْم[3]. فَتَأَمَّلْ هذا الشِعْرَ للشاعرِ الطِرِمَّاحِ[4]، كيف رَبطَ فيه صِنَّبْراً بشهر جُمادَى، في صورةٍ واحدةٍ وصَفَ بها ليلةً شديدةَ البردِ والريح، فقال:

ليلــةٌ هــاجَــتْ جُمَــادِيَّــةٌ	ذاتُ صِــرٍّ، جِـرْبِيَـاءُ النِسَـامْ
وردةٌ أَذْلَـــجَ صِنَّبْـــرُهـــا	تحت شَفَّانٍ شَباً ذي سِجَام[5]

(١) الأزمنة والأنواء: ١٤٧، وصبح الأعشى: ٢/ ٤١٣، والأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٧٦.

(٢) الأزمنة والأنواء: ١٤٨ (ح).

(٣) لسان العرب: ٥/ ٣٧١ (عجز)، و ٤/ ٤٧٠ ـ ٤٧١ (صنبر)، وتاج العروس: ١٢/ ٣٥٦.

(٤) الطِرِمَّاحُ حَكَمُ بنُ حكيم الطائي: شاعر إسلامي فحل، وُلد ونشأ في الشام، وسكن الكوفة، وكان فيها مُعلِّماً. توفي نحو (١٢٥ هـ = ٧٤٣ م).

(٥) الصِرُّ: البردُ الشديد، الجِرْبِيَاءُ: ريح الشمال الباردة، ليلةٌ وردةٌ: شديدةٌ احْمرَّ أُفُقها، أدلج: سار أو هَبَّ ليلاً، الشفَّانُ: ريح باردة بَلِيلَةٌ كأنها تَنْضَحُ بالمَاء، الشَّبَا: البَرْدُ، السِجَامُ: الانصبابُ والسَّيَلان.

أي أنها ليلةٌ جُمَادِيَّةٌ، شديدةٌ، غائمةٌ، ريحُها شماليةٌ باردةٌ، أَدْلَجَ بَرْدُها تحت ريحٍ باردةٍ بِلَيلةٍ، تسيلُ بَرَداً من شدَّة صَقِيعها[1].

ولولا أن صِنَّبْراً كان من أيام شهر جُمَادَى، لما جعله الشاعِرُ من لوازمه في الوصف والتشبيه. . .

وفي حديث وفاة أبي بكر الصدِّيق أنه اغتسل لسبع ليالٍ خَلَوْن من شهر جُمادى الآخِرة، وكان يوماً بارداً، فحُمَّ خمسة عشر يوماً ثم تُوفي[2]، رضي الله عنه، لثمانٍ بَقِينَ من جمادى الآخرة سنة (١٣ هـ)، وهذا يؤكدُ صحَّةَ تقديرنا لموقع مُعْظم جُمادَى الآخِرة في آذار، وأوَّلِهِ في أواخر شباط. . . على أن ما ينبغي ذكرهُ هنا، هو أن مِن العرب مَن يعدُّ أيامَ العجوز خمسةً، ومنهم مَن يَعُدُّها ثلاثةً، ولكن بَرْدَها ربما استمرَّ أكثر من عشرة أيام أحياناً، وقد نُقِل عن أعرابي قولُه: «يقولون أيامُ العجوز ثلاثةٌ، وقد كانت أيامُ العجوز لنا شهراً»[3].

* * *

٣ ـ توافق قيام موسم المشقَّر في جمادى الآخرة وعيد الفصح عند النصارى:

في حديث يوم المُشَقَّر بهَجَرٍ، أن بعض بني تميم، أغاروا على قافلةٍ لكسرى، رفضتْ أن تُؤَدِّيَ إليهم أَتاوةَ المرور، فانتَهبوها، وكانت بخفارة ملك اليمامة هَوْذَة بن علي الحنفيّ، فبيَّتَ مع حُلَفاءِ الفُرس أن ينتقموا من

---

(١) ديوان الطِرِمّاح ـ تحقيق د. عزة حسن: ٤١١ ـ ٤١٢، ولسان العرب: ١٤/ ٤٢٠ (شبا)، و ٤/ ٤٥٠ (صرر)، وتاج العروس: ٢/ ١٥٢ (جرب).

(٢) تاريخ الطبري: ٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠، ومختصر تاريخ البشر: ١/ ١٥٩.

(٣) الأزمنة والأمكنة: ١/ ٢٧٦.

بني تميم، حين تقوم السوقُ بالمشقَّر[١]. وكان بنو تميم يصيرون في ذلك الوقت إلى هجر، للميرة، ولُقَاطِ الكمأة، ويأتونَ حصنَ المشقَّر لِشُهودِ السوق... ويُقال إنهم لمّا دخلوا الحِصْنَ، غُدِرَ بهم، فقُتِل بعضُهم، وأُسِرَ الباقون. ثم تكلَّم هَوْذَةُ بنُ عليّ في مئةٍ من الأسرى، فأُطْلِقُوا يومَ الفصح[٢]. وفي ذلك قال الأعشى، يمدحُ هوذة:

سائِلْ تميماً به أيامَ صَفْقَتِهِم لمّا أتَوْهُ أُسَارَىٰ كُلُّهم ضَرَعا
فَفَكَّ عن مئةٍ منهم إسَارَهُمُ فأصبحوا كلُّهم من غُلِّهِ خُلِعَا
بهم تَقَرَّبَ يوم الفِصْحِ ضاحِيَةً يرجو الإلَه بما أسْدَىٰ وما صَنَعا[٣]

وتكادُ رواياتُ أهلِ الأخبار تُطْبِقُ على أن موسمَ سوق المشقَّر كان يقومُ أولَ يومٍ من جُمادَى الآخرة، إلى آخر الشهر[٤]، وقد أشرنا في مطلع هذا الباب إلى أن يومَ الفِصْح مُتَنقِّلٌ بين أواخر آذار وأواخرِ نيسان، فإذا أضفنا إلى ذلك أن موسم لُقَاطِ الكمأة يقعُ غالباً بعدما يطلعُ منزل «سعد السعود»، في الثاني عشر من شباط[٥]، ويستمرُّ حتى أواخر نيسان[٦]، وأن إطلاقَ الأسرى، كان غالباً بُعَيْد انقضاء موسم السوق، تبيَّن لنا صوابُ ما ذهبنا إليه من وقوع جُمادى الآخرة، أو مُعْظمه في شهر آذار.

* * *

---

(١) الأغاني: ١٧/ ٢٣٩.
(٢) تاريخ الطبري: ٢/ ١٧١، وابن الأثير ـ الكامل: ١/ ٦٢١.
(٣) ديوان الأعشى: ١١١ ـ ١١٢.
(٤) محمد بن حبيب ـ المحبَّر: ٢٦٥، والأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٦٢.
(٥) الأزمنة والأنواء: ١٤٦ ـ ١٤٧، وعجائب المخلوقات: ٨٣، وصبح الأعشى: ٢/ ٣٨٠.
(٦) البدو والبادية: ٦٩.

٤ ـ توافُق وقوع عاشوراء في العاشر من المحرَّم والعاشر من تشرين الأول:

ثمَّة دليلٌ آخَرُ، لعلَّه القولُ الفصلُ في بُطلان كل الأقوال، التي زعمت بأن شهورَ العرب، لمّا سُمِّيَتْ ورُتِّبَتْ، لم يكن العربُ يَدْرُونَ أنها ستدورُ في الفصول، وتَفقِدُ بالتالي معانيها، ودَلَالَاتِها على الأزمنة التي وُضِعْت لها... فقد حقَّق ابنُ تَيميَّة من طرُق كثيرةٍ مختلفةٍ، أن أهل الجاهلية كانوا يصومون يومَ عاشُوراء، وأن النبيَّ عليه السلامُ كان يصومُه، ولمّا قَدِم المدينةَ صامَهُ، وأمَرَ بصَوْمِهِ، فلما فُرِضَ صومُ شهر رمضان، قال: إن عاشوراءَ يومٌ من أيام الله، فمن شاء صامَهُ، ومن شاء تَركه[1]. وهذا نفسُه ما جاء في مختلف مَوَارد الفقه والتاريخ[2]... وأضاف الأزرقيُّ أن النبيَّ عليه السلامُ خطب الناسَ يومَ عاشوراء فقال: هذا يومُ عاشوراء، يومٌ تنقضي فيه السنةُ، وتُسْتَرُ الكعبةُ، وتُرْفَع الأعمال، ولم يُكتَبْ عليكم صيامُه، وأنا صائمٌ، فمن أحبَّ منكم أن يصومَ فلْيَفْعَلْ[3]. وكانت الكعبةُ فيما مضى قبل الإسلام تُكْسَى يومَ عاشوراء، وقد ذهب آخِرُ الحاجّ، فكانوا يُعلِّقُون عليها حينئذٍ الأُزُرَ من الأنسجة الفاخرة[4]. ويومُ عاشوراءَ هو يومُ العاشر من شهر المحرَّم (صَفَر الأول)[5]، ذكر القزويني أنه يومٌ مُعظَّمٌ في جميع المِلَل[6]. ولمّا قَدِم المسلمون المدينة وجدوا اليهودَ يصومون اليومَ عَيْنَه، في العاشر من شهر

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧٣.

(٢) صحيح البخاري: ٣/ ٣١، و ٥/ ٥١، والأمُّ للشافعي: ٢/ ٢٦، والكامل: ٢/ ١١٥، وسيد سابق ـ فقه السنة: ١/ ٤٥١ (دار الكتاب العربي ـ بيروت).

(٣) أخبار مكة: ١/ ٢٥٢.

(٤) المرجع نفسه: ١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وتاريخ الطبري: ٢/ ٣٩٠.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧٥.

(٦) عجائب المخلوقات: ١٠٩.

تشري (تشرين الأول)[١]، اعتقاداً بأن الله نَجَّىٰ فيه موسى وقومَهُ، وأَغْرق فيه فرعونَ وقومَه، فصامه موسى شكراً لله[٢]. وكانوا يسمُّونَه يومَ عَشُور، أو العَاشُور، ويقولون: إن الله فَرض عليهم صومَهُ، ومُدَّتُه خمسٌ وعشرون ساعةً، تبدأُ من اليوم التاسع، قبل غروب الشمس بنصف ساعة، وتنتهي بعد غُروبها من اليوم العاشر بنصف ساعة[٣]، وكانوا يتخذونه عيداً، ويُعظِّمونَهُ كثيراً[٤]، وقيل إنه يُدْعَى يومَ الكفَّارة أيضاً[٥]. وكان أهلُ خَيْبَر يصومون أيضاً «يومَ عاشوراء، ويتخذونه عيداً، ويُلبِسُونَ نساءَهم فيه حُلِيَّهم وشاراتهم»[٦]، ويُقيمون فيه موسماً تجارياً واجتماعياً عامّاً، بحِصْنِ «نطاةٍ»، يظلُّ منعقداً إلى آخر الشهر. وكان لأهل اليمامة في نَجْد موسمٌ كبير ينعقدُ كلَّ سنة بمدينة «حَجْرٍ»، في العاشر من المحرَّم إلى آخر الشهر[٧]، وهو الميقاتُ نفسُه المُقَدَّر لموسم نطاة.

على أن هذا التوافُقَ في صيام اليوم نَفْسِه، بين اليهود والعرب في الجاهلية، ثم في الإسلام، يجب أن لا يُفهم أنه تأثّرٌ من العرب والمسلمين باليهود، فدعوى اليهود في صيامه شيءٌ من عقيدتهم، أما عند العرب فهو كما قال رسُول الله ﷺ: «يومٌ من أيام الله»[٨]، وربما كان من سُنَنِ الحنيفيَّة

---

(١) المفصَّل: ٨/ ٤٨٢.
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧١ ـ ١٧٢.
(٣) المختصر في أخبار البشر: ١/ ٨٩، وصبح الأعشى: ٢/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤.
(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧٢.
(٥) كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الإسلامية: ٤٧.
(٦) اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧٢.
(٧) المحبَّر: ٢٦٨.
(٨) اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧٣ ـ ١٧٤.

الباقية فيهم، أو من تقاليدهم الدينية القديمة[١]... وليس من هَمّي أن أُحَقِّق المزيدَ في هذا الجانب من الموضوع، وإنما يَعْنيني منه أن العاشر من شهر المحرَّم (صفر الأول) كان يُوافِقُ العاشرَ من شهر تشري (تشرين الأول). وكانت شهورُ اليهود مكبُوسَةً[٢]، أي كان يجري تَثْبيتُها بالكبس، لئلا تدورَ في الأزمنة، وهذا يعني أن شهور العرب كانت أيضاً مكبوسةً، وكانت ثابتةً لا تدور[٣]، وإلا ما كان ذلك التوافُقُ في يوم عاشوراء... كما يعني أن شهر المحرَّم (صفر الأول) كان يُقابلُ، على حساب الشمس، شهرَ تشرين الأول عند السريانيين والآراميِّين والروم... وهنالك دليلٌ آخرُ على التوافُق قولُ الرسول عليه السلام: لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأَصُومَنَّ التاسعَ، يعني مع يوم عاشوراء[٤]، وإنما قال ذلك كراهةً لموافقة اليهود[٥]، بعدما أَمَرهُ اللَّهُ بمخالفة أهل الكتاب[٦]، وكان يقولُ للمسلمين: صُومُوا يومَ عاشُوراءَ، وخالِفُوا فيه اليهودَ، صُومُوا يوماً قبله، أو يوماً بعدَهُ[٧]... وقد أكَّد القَلْقَشنديُّ أن شهور اليهود تُوافق شهورَ العرب في التقدير، ولا تُخالِفُ أوائِلَها إلا بيومٍ واحد في بعض الأحيان، لأسبابٍ في مِلَّتِهم[٨].

* * *

---

(١) المفصَّل: ٦/٤٤٣.

(٢) صبح الأعشى: ٢/٤٠٨.

(٣) الأزمنة والأنواء: ٣٢.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧٥، ومنصور علي ناصف ـ التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول: ٢/٨٩.

(٥) لسان العرب: ٨/٣٤ (تسع).

(٦) سورة البقرة، الآيتان: ١٢٠، ١٤٥.

(٧) اقتضاء الصراط المستقيم: ١٧٥.

(٨) صبح الأعشى: ٢/٤٠٨.

٥ ـ موسم الحج إلى مكة كان ثابتاً أبداً في ذي الحجة:

حقَّق ابنُ كثير في تفسيره آياتِ الحجّ والعُمْرة، وبعدما عَرَضَ لأقوال مختلف الرواة والأئمة، أن موسمَ العُمرة والحج كان ثابتاً، «لأنه قد ثَبت أن رسول الله ﷺ اعْتَمَر أربعَ عُمَرٍ في ذي القَعدة: عُمْرة الحُدَيْبِيَّة في ذي القعدة سنة ستٍّ للهجرة، وعُمْرة القضاء في ذي القعدة سنة سبعٍ، وعمرة الجعرَّانة في ذي القعدة سنة ثمانٍ، وعُمْرته التي مع حِجَّتهِ، أَحْرَمَ بهما معاً في ذي القعدة سنة عَشْرٍ...»[١].

وذكر ابنُ إسحاق، أيضاً، أن رسول الله خرج في ذي القعدة سنةَ ستٍّ، مُعْتمراً لا يريد حرباً، فصدَّتْه قريشٌ، ويومئذ كان صلحُ الحُدَيْبِيَّة[٢]. ثم خرج في ذي القعدة، سنة سبع، مُعْتمراً عمرةَ القضاء، مكانَ عمرته التي صَدُّوهُ عنها[٣]. ثم كانت عمرة الجعرانة في ذي القعدة سنة ثمانٍ، بعد فتح مكة في رمضان[٤]. ثم بعث الرسولُ أبا بكر، رضي الله عنه أميراً على الحجّ، من سنة تسعٍ، ليُقيم للمسلمين حجَّهم، في شهر ذي الحجة[٥]. ثم لمّا دخل ذو القعدة، تَجهَّزَ عليه السلامُ للحجِّ، فخرج لخمس ليالٍ بَقِينَ من ذي القعدة، من سنة عشر للهجرة[٦]...

وهذا ما أكَّدهُ الطبريُّ كذلك عندما أشار إلى أن عُمَرَ النبيّ عليه السلام

---

(١) تفسير ابن كثير: ١/٤٠٧ ـ ٤٠٨.

(٢) السيرة لابن هشام: ٢/٣٠٨.

(٣) المرجع نفسه: ٢/ ٣٧٠.

(٤) المرجع نفسه: ٢/ ٥٠٠.

(٥) السيرة لابن هشام: ٢/ ٥٤٥.

(٦) المرجع نفسه: ٢/ ٦٠١.

كانت كلُّها في ذي القعدة[١].

ولا أعتقد أن هنالك بياناً، أشدُّ من هذا البيانِ وضوحاً، يؤكدُ ثَبَاتَ موسم الحج في شهر ذي الحجَّة. ومع ذلك زعم أهلُ الأخبار أن العرب كانت تحجُّ في كل شهرٍ من شهور السنة، حِجَّتَيْن في عامَيْن، حتى يستديرَ الحجُّ في كل أربع وعشرين سنةً، إلى الشهر الذي ابْتَدؤوا منه[٢]! وهذه صفةٌ عجيبةٌ في دَوَران الشهور والحجّ معاً، عدَّها الأزرقي، وابنُ سعد، من مَسَاوِىء الكبْسِ أو النَّسِيء[٣]، وهو غلطٌ منهما، لأن الكَبْسَ يُثَبِّتُ الشهور، ولا ينقلها عن مَوَاضِعها. وأكثَرُ غَرابةً منها أن الأزرقيَّ عاد في موضعٍ آخَر، فقال: «فاعْتَمر رسولُ الله عُمَرَهُ كلَّها في ذي القعدة»[٤]. واعترف بأنّ الحج سنة تسعٍ وقع في ذي الحجّة[٥]. ومن شأن ذلك كله أن يقطع بأن موسم الحجّ كان ثابتاً في شهر ذي الحجَّة، وميقاتُه مَنُوطٌ أبداً بانقضاء ثمانية أيام على رؤية هِلاله، وفي اليوم التاسع يصبح الحجَّاجُ على عَرَفَة. ولكن تقدُّمَ السنة القمرية على سنة الشمس بأحَدَ عَشَر يوماً، يجعلُ الشهورَ نفسَها، بما فيها من المواسم، مُتَحوِّلَةً عن مَواضِعها من الأزمنة التي حُدِّتْ فيها، ما لم يَجْرِ تَثْبِيتُها بالكبْس. وإلى أن يجري الكبسُ فإن موسم الحجّ لا يتحرَّكُ في شهر ذي الحجة، بل في الزمن الشمسيّ المقابل له، مُتَقَدِّماً عليه ما بين (١١) إلى (٢٢) يوماً، وربما إلى (٣٣) يوماً أحياناً.

* * *

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٦٢٠، ٦٣٦، و ٣/ ٢٣، ٩٤ ـ ٩٥، ١٤٨.
(٢) أخبار مكة: ١/ ١٨٤ ـ ١٨٥.
(٣) الطبقات: ٢/ ١٨٦ ـ ١٨٧، وأخبار مكة: ١/ ١٨٣.
(٤) أخبار مكة: ١/ ١٩٢.
(٥) المرجع نفسه: ١/ ١٨٦.

وخلاصةُ هذا الحديث، أن التماثُلَ في تقسيم السنة وافتتاحها، وترتيب الشهور، ومواقِعِها، كان تامّاً، وواضحاً، بين العرب وسائر شعوب المنطقة. وقد تأيّدَ ذلك بالبراهين القاطعة. وكان منها بعد ذلك ما أثْبَتَ أن جُمادَى الآخرة شهرُ بردٍ حقاً، يُقابل شهرَ آذار، وكان ميقاتُه قريباً من موسم الصوم عند النصارى وفِصْحِهم، ومنها ما أثبت أن العاشر من شهر المحرَّم كان يُقابل العاشر من تشرين الأول، وربما تَقدَّمَهُ، أو تأخَّر عنه يوماً أو يومين، ومنها ما أثبت أن الكَبْسَ عند العرب في الجاهلية لم يكن ينتقلُ بالشهور والمواسم، بل كان يعملُ على تثبيتها في مواقعها، ومن ذلك موسمُ الحج، الذي كان ثابتاً في موعده لا يتحوَّلُ عنه من شهر ذي الحجة. وإذا أضَفْنا إلى هذا ما انتهينا إليه في حديثنا عن شهور العرب، ومعانيها، وحقائق دَلاَلاتها على المواسم والحرِّ والبرد والأمطار وما إلى ذلك، وما حقَّقْناهُ في الحديث عن قسمة السنة إلى فصول أو أزمنةٍ، تعتمدُ مطالعَ النجوم ومَسَاقِطها، تبيَّن لنا من ذلك كله أن العرب، في الحجاز ونجد وتهامة، كانوا يتّبِعُون تقويماً شمسيّاً قمرياً، وأن أشهُرَهم كانت ثابتةً في الأزمنة، ومَوَاسِمَهم كانت معروفةً مُعَيَّنةً، لما كان لذلك من علائق وثيقةٍ بحياتهم، ومواسمهم الزراعيّة والدينيّة، وتقلُّبِهم في الأرض بأنعامهم، وغلاَّتهم ومحاصيلهم، وإلا لم تكن لمواسم أسواقهم الكبرى قيمةٌ عند عرب الأقاليم الأخرى كالعراق والشام واليمن، وكذلك عند تجار الأمم التي كانت تحرصُ على شُهودِ تلك المواسم. وفي حديثه عن هذا الموضوع، انتهى جواد علي إلى أن شأن أهل الحجاز في تقويمهم كان كشأن سائر العرب في الشام والعراق واليمن، الّذين كانوا يحجُّون في وقتٍ ثابتٍ واحدٍ هو شهرُ ذي الحجة، ولا يُعقَلُ خروجُهم على هذا الإجماع، وتفرُّدُهم باتخاذِ تقويمٍ قمريّ مَحْض[1].

---

(١) المفصَّل: ٨/٥٠٦.

وقد تبيَّن لنا من مُتابعة أخبارهم، أنهم كانوا يعتدُّون في الفصول الطبيعية بدَوْرَةِ منازل القمر، ومَطالع النجوم ومَساقِطِها، وفي حساب الشهور بدورة القمر، أي أنهم كانوا يتَّبِعُون تقويماً شمسيّاً قمريّاً.

كما تبيَّن لنا من البحث العميق في أسماء شهورهم، ومعانيها، ومواقِعِها من طبائع فصولهم، أنها كانت شهوراً ثابتةً في أزمنةٍ معيَّنةٍ، وإن تحرَّكت قليلاً أحياناً بقِصَرِ دورة القمر، ذلك أن فقهاءهم، كما سنرى في كلامنا على النسيء، كانوا يعملون على إعادتها إلى مواقعها وتثبيتها بالكبْس، وهو ما أكَّدَهُ لنا ما وجدناهُ من التماثُل بين عرب الحجاز وجيرانهم في موعد افتتاح السنة، وترتيب الشهور، وتحريم بعضِها... وإن من شأن ذلك كله أن يحملنا على القول بأن مواسم العرب الدينيَّة والتجاريَّة، والاجتماعيَّة، كانت في الجاهلية تقومُ في أوقاتٍ ثابتةٍ من الأزمنة الطبيعية.

* * *

الفصل الثالث

النسيء والنسأة

مقَدّمـة:

يكاد يكون من المحقَّق أن النَسيءَ، وهو حسابُ الشهور والسنين، كان شأناً دينيّاً من شؤون العرب في عصر الجاهلية، مركزُه مكّةٌ، العاصمةُ الدينيّةُ والقوميّةُ للعرب. ولمّا غَلَبت قبيلة خُزَاعَة على زعامة مكة، جعلت النسيء إلى مالك بن كنانة بن خُزَيْمة، وبَنِيهِ من بَعدِه يتَوارثُونَه بينهم. وكان صاحبُ النَسِيء منهم يُسمَّىَ الناسِيءَ، والقَلَمَّسَ، وكان يتولّى إفتاءَ العرب في شؤون دينهم[1]، ويَحسُبُ لهم حسابَ الفَلَك، لإلْحَاقِ السنة القمرية بالسنة الشمسية، وتثبيتِ مواسمهم في مواقعها من الفصول الطبيعية. فالنسيءُ بهذا المعنى رُتْبةُ شرفٍ، دينيّةٌ، وعِلْميةٌ، واجتماعيةٌ، وهي من الوظائف الرئيسَة الكبرى في مكة، كالحِجَابَة والقيادة والقضاءِ وغيرها[2]، وكان رجالُ الدين يومئذٍ يحتكرون العلمَ دون العامّة، وتَتَوارَثُه الأُسْرةُ الواحدةُ في بَنِيها وحَفَدتِها، ليظلَّ شَرفُه فيها، لا يخرجُ عنها إلى غيرها.

والنَّسِيءُ في الأصْلِ التأخِيرُ، ومثلُه النُّسْأَةُ، والنَّسَاءُ، والنَّسِيئَةُ، ويكونُ

(١) المحبَّر: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) تاريخ الطبري: ٢/٢٨٦.

في العُمر والدَّيْن، وفي أمورٍ أُخرى. والعربُ تقول: نَسَأَ اللَّهُ في أَجَلك، وأنْسَأَهُ، أي أَخَّرَهُ. وفي الحديث: من سَرَّهُ النَّسَاءُ في الأَجَلِ، والسعَةُ في الرزق، فَلْيصِلْ رَحِمَهُ. ويُقال: بعتُه بنَسَاءٍ ونَسِيئةٍ، أي بتأخير. وأَنْسَأْتُهُ الدَّيْن، أي جعلتُه مُؤخَّراً، واسْمُ ذلك الدَّيْن: النسيئة[1]... وإنما سُمِّيَ الفقيهُ، أو المُفْتي عند العرب ناسِئاً، لأنه كان يُؤَخِّرُ أولَ السنة شهراً، مرةً كلَّ سنتين أو ثلاثٍ، على حسب ما يستحقُّه تَقدُّمُ السنة القمرية على سنة الشمس، ويكبسُ بهذا الشهر السنةَ المُنْقَضِيَةَ، فتكون ثلاثةَ عَشَرَ شهراً، وذلك كيلا تدورَ الشهورُ في الأزمنة، وليكون حجُّهم ومواسمُهم في وقت واحد من السنة[2]. ويبدو من تَتبُّع أسماءِ النَسَأة، أن النسيءَ ظلَّ قائماً في العرب أكثرَ من أربع مئةٍ وخمسين عاماً قبل أن يُبْطِلَهُ الإسلامُ سنة (٦٣١ هـ)، ولو لم يكن النسيءُ موجوداً إذ ذاك، لم يكن هنالك نَسَأةٌ تُذْكر أسماؤهم... وعلى ذلك نرى الحديثَ عن النَّسَأَةِ أولاً، أكثرَ فائدةً لنا في فَهْم حقيقة النسيء.

* * *

المطلب الأول ـ النَّسَأَةُ أو القَلامِسَةُ:

النسَأَةُ عند ابن إسْحاق هم الذين كانوا يَنْسَؤُون الشهورَ على العرب في الجاهلية، فيُحِلُّون الشهرَ من الأشهُر الحُرُم، ويُحرِّمون مكانَه الشهر من أشْهُر الحِلّ، ويُؤَخِّرون ذلك الشهر[3]، أي الشهر الذي أَحَلُّوهُ، وهم عند ابن

---

(١) تاج العروس: ١/٤٥٥ ـ ٤٥٧، ولسان العرب: ١/١٦٦(نسأ)، وأبو علي القالي ـ الأمالي؛ ١/٤.

(٢) الأزمنة والأنواء: ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) السيرة لابن هشام: ١/٤٣.

حبيب: القَلامِسَةُ، واحِدُهم القَلَمَّسُ، وكانوا فقهاءَ العرب، والمُفْتِينَ لهم في دينهم، فكان القَلَمَّسُ من هؤلاء القَلامِسَةِ، يقومُ أيامَ التشريق[1]، في حِجْرِ الكعبة[2]، فيُفتيهم، ولا يُسْأَلُ أحدٌ عن شيءٍ غيرُه[3]. وإذا عرفنا معنى «القَلَمَّسِ» أدركنا ما كان للناسِيءِ، أو الفقيه من قدرٍ كبير عند العرب... فالقَلَمَّسُ هو السيِّدُ العظيمُ، والداهيةُ من الرجال، البعيدُ الغَوْرِ، الواسعُ الخُلُقِ والعلمِ والمعرفةِ، والرئيسُ المُعَظَّم[4]. وقد ذكر ابنُ حزم أن كلَّ من صارت إليه هذه المرتبةُ، من بني مالك بن كنانة، كان يُسمَّى القَلَمَّس[5]، ولكنَّ ما كان بينهم من تفاوُتٍ في العِلم والقَدْر والشُهرة، أَوْهَم بعضَ أهل الأخبار، بأن واحداً منهم دون غيره كان القَلَمَّس. وعلى ذلك عُدَّ النَسِيءُ مَكْرُمةً من المكارم، التي كانت قبائلُ مُضَرٍ تفخرُ بها على العرب، وقد اجتمع لها منها ثلاثُ خِلالٍ: إجازةُ الناس بالحجِّ من عَرَفَة، وكانت إلى الغَوْثِ بنِ مُرّ[6]، والإفَاضَةُ بالناس إلى مِنَىً، وكانت إلى عَدْوان[7]، والنسيءُ، وكان إلى القَلَمَّسِ من بني كنانة[8]، أي إلى العالم الفَقيهِ النَّابِهِ منهم، لأن مركزَ الفقهِ والفَتْوىٰ والعلمِ بحسابِ الفلك، كان يجعلُ منه مَلِكاً

---

(١) أيام التشريق: ثلاثةٌ بعد أيام النَحر، سُمِّيت بذلك لأن لحم الأضاحي يُشَرَّقُ فيها للشمس.

(٢) حِجْر الكعبة: ما تركتْه قريشٌ في بناء الكعبة من أساس إبراهيم، وحجرتْ عليه، لِيُعْلَم أنه من الكعبة.

(٣) المحبَّر: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٤) لسان العرب: ٦/ ١٨٢ (قلمس)، وتاج العروس: ١/ ٤٥٧ (نسأ).

(٥) جمهرة أنساب العرب: ١٨٩.

(٦) هو الغوثُ بن مُرّ بن أُدّ بنِ طابخة بن الياس بن مُضَر، وكان يُسمَّى صُوفَةَ.

(٧) هو عَدْوَانُ بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مُضَر.

(٨) تاريخ الطبري: ٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦، ومروج الذهب: ١/ ٣٠ ـ ٣١، وتاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٣٨.

في قومه، يحترمونَه، وتُجِلُّه جميعُ القبائل التي كانت تحجُّ إلى مكة[١].

ويبدو أنه كان لأولئك الفقهاء كلامٌ جيِّدٌ، مأثورٌ، حَفِظَتْه العربُ عنهم، كقول أحدهم: من سَرَّهُ النَّسَاءُ، ولا نَسَاء، فلْيُخفِّفِ الرداء، ولْيُباكِرِ الغَدَاء، ولْيُقِلَّ غِشْيانَ النِسَاء[٢]. . . أي مَن سَرَّهُ طُولُ العُمُرِ، والبَقَاءُ[٣]، فَلْيَفْعَلْ ذلك، مع أنه لا بقاءَ لأحَدٍ.

ويبدو أن «مالِكَ بنَ كنانة»[٤] أخذ علمَ النسيء عن بعض ملوك كندة، وهو ما يُفهم من قولٍ للأزرقي ذكر فيه أن «النُّسْأَةَ كانت قبل ذلك في كندة، لأنهم كانوا ملوكَ العربِ من ربيعةٍ ومُضَرٍ»[٥]، وعلَّل انتقالها إلى بني كنانة، بأن مالكَ بنَ كنانة كان قد تزوَّج بامرأةٍ من بني معاوية بن ثور الكنديّ، وهو يومئذٍ في كندة[٦]. ولم أجدْ سنداً لهذا القول سوى ما ذكره ابنُ منظور في روايةٍ عن ابن عباس قال فيها: «كانت النُسْأَةُ في كندة»، والنُسْأَةُ بالضمِّ وسكون السين: النسيءُ الذي ذكرهُ الله في كتابه من تأخير الشهور[٧]. . . وكيفما كان الأمرُ، فإني أعتقدُ أن رئيسَ خُزَاعَة، لمّا شرعَ في تنظيم شؤون العرب بمكة، عَهِدَ بالإفتاء والنسيءِ إلى مالك بن كنانة، فكان هذا أوَّلَ

---

(١) المفصَّل: ٨/ ٥٠١.

(٢) لسان العرب: ١/ ١٦٦ ـ ١٦٧ (نسأ).

(٣) تاج العروس: ١/ ٤٦٠ ـ ٤٦١ (نسأ).

(٤) مالك بن كنانة: ذكر ابن حزم في جمهرة الأنساب (ص: ١١) أن اسمه «مَلْكُ بنُ كنانة» بإسكان اللام، وأنه ليس في العرب مَلْكٌ غيرُه، ولكن مُصحِّح الكتاب جعله، «مالك بن كنانة» في الصفحات (١٨٨، ١٨٩، ٤٦٥، ٤٩٤)، وحذا حذوه سائرُ الموارد، فأثبتناه كما اشتُهِر.

(٥) أخبار مكة: ١/ ١٨٣.

(٦) المرجع نفسه: ١/ ١٨٢.

(٧) لسان العرب: ١/ ١٦٧.

جدولٌ بأسماءِ النَّسَأة من بني مالك بن كنانة بن خزيمة مُقارَنٌ، لتقدير أزمانهم، بأسماءِ ملوك بني كنده[1]، وأسماءِ بني النضر بن كنانة

القرن		بنو مالك (النسأة)	بنو النضر		ملوك كندة
١٠٠ القرن الثاني	١	كنانة بن خزيمة		١	معاوية بن ثور (كندة)
	٢	مالك (أول النسأة)	النضر (قريش)	٢	مُرَتِّع (قيل إنه أول ملوكهم).
	٣	الحارث	مالك	٣	ثور (كندة)
٢٠٠ القرن الثالث	٤	ثعلبة	فهر	٤	معاوية
	٥	سُرَيْر — عامر	غالب	٥	الحارث الأكبر
	٦	عدي	لُؤَيّ	٦	معاوية
٣٠٠ القرن الرابع	٧	فُقَيم	كعب	٧	الحارث الأصغر
	٨	عبد	مُرّة	٨	معاوية
	٩	حذيفة	كلاب	٩	عمرو
٤٠٠ القرن الخامس	١٠	قَلَع	قُصيّ (ت ٤٨٠)	١٠	حجر آكل المرار (ت ٤٤٥)
	١١	عبّاد	عبد مناف (ت ٤٩٠)	١١	عمرو (ت ٤٨٥)
	١٢	قَلَع	هاشم (ت ٤٩٥)	١٢	الحارث المقصور (ت ٥٢١)
٥٠٠ القرن السادس	١٣	أُميّة	عبد المطلب (ت ٥٧٨)	١٣	حجر بن الحارث (ت ٥٥٠)
	١٤	عوف (ت ٥٩٠)	عبد الله (ت ٥٧١)	١٤	امرؤ القيس (٤٩٧ ـ ٥٦٠)
٦٠٠	١٥	جُنادة (٥٥٠ - ٦٣٠) (آخر النسأة)		١٥	

---

(١) المراجع: المفصَّل: ٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠، والعرب قبل الإسلام: ٢٩١، وموسوعة الأعلام: ٢/ ١١، وجمهرة أنساب العرب، وغيرها...

القَلامِسَة أو النَّسَأة في ذلك العصر، ثم انتقل الأمرُ بعدَهُ في بَنِيه. وهو ما يُفهم من قول القلقشَنْدي: أوّلُ من نَسَأَ النَّسيءَ... عمرو بنُ لُحَيّ، أبو خزاعة[1].

ويختلفُ أهلُ الأخبار في عدد القَلامِسَة من بني مالك بن كنانة، وفيمن كان أوّلَهم، وهو اختلافٌ نشأ من طول العهد بين إبطال النسيء سنة (٦٣١ م)، والعودةِ إلى ذِكْرِ أخباره بعد قرنٍ ونصفٍ على الأقل. غير أن الأزرقي أكّد أن «أوّلَ من نَسَأَ الشهورَ من مُضَرٍ هو مالكُ بن كنانة... ثم نَسَأَ ثعلبةُ بنُ مالك، وبعدهُ الحارثُ بن مالك»، وسمّاهُ القَلَمَّسَ، ثم عَدَّد النَسَأةَ في اضطراب واضح، ليس هنا موضع تفصيله[2]. وذكر الزُبيريُّ أن سُرَيْر بن ثعلبة بن مالك هو أولُ من نسأ الشهور، لكنه لم يُعْقِبْ ولداً، فانتقل من بعده إلى ابن أخيه، وهو عَدِيُّ بن عامر بن ثعلبة، ثم صارت في ولده من بعده[3]. وهو ما ذهب إليه ابنُ حزم أيضاً[4]، ولكنه ذكر في موضع آخر من كتابه، أن أولَ النَسَأة هو القَلَمَّسُ حُذَيْفة بن عبد بن فُقَيْم[5]. أما اليعقوبي فقال: «وكان سُرَيرٌ أولَ من نسأ الشهور...»[6]، ولكنه ذكر في موضعٍ آخَر أن أولَ النسَأة: حذيفة بن عبد بن فُقَيْم بن عدي بن عامر، وهو الذي يُسمَّى القَلَمَّس[7]، ثم قرّر في موضعٍ لاحقٍ أن بني القَلَمَّس بن كنانة كانوا ينسؤون

---

(١) صبح الأعشى: ١/ ٤٩٦.
(٢) أخبار مكة: ١/ ١٨٢، ١٨٣.
(٣) المفصَّل: ٨/ ٤٩٩.
(٤) ابن حزم الأندلسي ـ جمهرة أنساب العرب: ١٨٩.
(٥) المرجع نفسه: ٤٩٤.
(٦) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٣٧.
(٧) المرجع نفسه: ١/ ٢٣٢.

الشهور، ويُحِلُّونَ، ويُحرِّمون[1]، مُعْترفاً بأن مالك بن كنانة كان القَلَمَّسَ الأول، وأن النسيءَ صار بعدهُ في بنيه. وفي إحدى الروايات التي نقلها الزَبيديُّ ذكر أن أوَّلَ النسَأة هو قَلَعُ بنُ حُذيفة بن عبد، وأن القَلَمَّسَ هو جُنَادَة بن أُميَّة، من بني فُقَيم[2]. ونقل في روايةٍ أخرى أن نَسَأَةَ الشهور يُقال لهم القَلامِسُ، واحدُهم قَلَمَّسٌ، وهو الرئيسُ المُعَظَّم، وكان أوَّلَهم حُذَيْفةُ بنُ عَبْد بن فُقَيم[3]... وعلى هذا المذهب عددٌ آخَرُ من المراجع المختلفة[4]. وقد أَطْبَقَ الجميعُ على أن آخر النَسَأَة هو القَلَمَّسُ أبو ثُمامة، جُنَادَةُ بنُ عوف بن أمية، وهو الذي أبطل الإسلامُ النسيءَ على زمنه، وقيل إنه نسأ أربعين سنةً (٥٩٢ ـ ٦٣١ م)، وعاش حتى أدرك زمنَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[5].

فإذا قابلنا هذه الأقوالَ والرواياتِ، بعضَها ببعضٍ، لِنَرىٰ وُجوه التماثُل والتخالف بينها، وجعلنا أحَدَها مُكَمِّلاً للآخَر، وصحَّحنا الأغلاطَ الواقعة على عددٍ من الأسماء، وقَوَّمْنا العِوَجَ الذي أصاب عمودَ النسَب في بعضها، استوى لدينا ثَبَتٌ بأسماءِ أربعةَ عشَرَ ناسِئاً، أو قَلَمَّساً، تعاقَبُوا على النسيء في مكة، وكان أوَّلَهم مالكُ بن كنانة، ثم خَلَفَهُ ولدُه الحارثُ بن مالك، ثم ثعلبة بن الحارث، ثم سرير بنُ ثعلبة، ثم عديُّ بن عامر بن ثعلبة، ثم فُقَيم بنُ عديّ، ثم عبدُ بنُ فُقَيم، ثم حُذَيْفَة بن عبد، ثم قَلَعُ بنُ حُذَيفة، ثم

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ١/٢٣٨.

(٢) تاج العروس: ١/٤٥٦.

(٣) المرجع نفسه: ١/٤٥٧.

(٤) المحبَّر: ١٥٧، وتاريخ الطبري: ٢/٢٨٦، والكامل: ٢/٤٣، والسيرة لابن هشام: ١/٤٤، وشرح القصائدالسبع: ٢٥٧، ومروج الذهب: ٢/٣٠...

(٥) تاج العروس: ١/٤٥٦، وأخبار مكة: ١/١٨٣.

عبَّادُ بنُ قَلَع، ثم قَلَعُ بنُ عبَّاد، ثم أميَّة بن قَلَع، ثم عوفُ بنُ أمية، ثم جُنَادة بن عوف، وهو آخِرُهم[1].

وإذا كان تقديرُ المؤرخين لزمن الشاعر امرىء القيس بن حجر الكندي نحو (٤٩٧ ـ ٥٦٠ م)، فإن زمن جَدِّه الأكبر معاوية بن كندة كان أواسطَ القرن الثاني، أي في الزمن الذي قدَّرناهُ لعصر كنانة بن خزيمة، وذلك يعني أن تقديرنا لزمن مالك بن كنانة نحو سنة (١٧٥ م) صحيحٌ، وأن زواجَهُ إلى معاوية بن كندة دليلٌ على صواب التقدير. ومن شأن هذا كله التأكيدُ على أن النسيءَ ظلَّ قائماً في العرب أكثر من أربع مئةٍ وخمسين عاماً، وأن شُهورَ العرب كانت تُثَبَّتُ في مَواضِعها من الفصول الطبيعية، تَثْبيتاً لمواسم الحجِّ، والتجارة، والزراعة في مواعيدها. وكان فقهاءُ العرب ومُفْتُوهم يَتَوفَّرون على هذا الأمر، شأنُهم شأنُ أمثالهم في الأُمم الأُخرى، حيث كان ضبطُ المواقيت يومئذٍ شأناً دينيّاً، يُعَدُّ من واجبات رجال الدين[2]، وكان الذي يَتَولَّى تقديمَ الشهور، وتأخيرَها، وتعيينَ مواعيد الصيام والأعياد عند اليهود هو الرئيس الدينيّ، وكان بمنزلة رئيس القبيلة[3]، وذلك على نحو ما عرفناهُ عند عرب

---

(1) انظُرْ جمهرة أنساب العرب: ١١، ١٨٨، ١٨٩، ٤٦٥، ٤٩٤، وأخبار مكة: ١/ ١٨٢ ـ ١٨٣، والمفصَّل: ٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠، و٨/ ٤٨٨ ـ ٥٠٢، والمحبَّر: ١٥٧، وتاج العروس: ١/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧، و ١٦/ ٣٩٧، والأمالي: ١/ ٤، وتاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٣٨، والسيرة لابن هشام: ١/ ٤٤، والعرب قبل الإسلام: ٢٩١، والأعلام: ٢/ ١١... ولاحظ ما وقع فيها على الأسماء مثلاً من التصحيف، كقولهم في فُقَيْم بن عَديّ: نُهم، ونُعيم بن ثعلبة، وقولهم في حذيفة: جذيمة، وغير ذلك، فضلاً عما أصاب سلسلةَ النسب من الاضطراب.

(2) المفصَّل: ٦/ ٢١٥، و ٨/ ٤٣٥.

(3) المرجع نفسه: ٨/ ٥٠٥.

الحجاز. وإذا كانت آثارُ اليمن لم تَتَكَشَّفْ بعدُ عن وجود مثل هذه الظاهرة عند عرب الجنوب، فذلك لا يعني عدمَ وجودها[1].

* * *

المطلب الثاني ـ النَّسِيءُ عند المُفَسِّرين وأهل الأخبار:

قِيلَتْ في النسيء أقوالٌ كثيرةٌ مختلفةٌ، جاءت كلُّها تفسيراً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ . . .﴾[2]، وقولِ النبيِّ عليه السلامُ في حجَّة الوداع: «. . . وإن الزمان قد اسْتَدارَ كهَيْأَتِهِ يومَ خَلَقَ اللّهُ السمواتِ والأرضَ، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله إثْنَا عَشَرَ شهراً، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثةٌ مُتَوالِيَةٌ، وواحدٌ فَرْدٌ: ذو القعدة وذو الحجَّة والمحرَّمُ، ورَجَبُ الذي بين جُمَادَى وشعبان»[3]. وتلك الأقوالُ أوْسَعُ من أن تُبْسَطَ في هذا المقام الضيِّق، ولكنْ يمكنُ رَدُّها جميعاً إلى ثلاثة مذاهب، أوَّلُها جَعَلَ النسيءَ تأخيراً لحُرْمَةِ شهر المحرَّم (صَفَر الأول)، والثاني عَدَّهُ تأخيراً لموسم الحجِّ عن وقته من شهر ذي الحجَّة طلباً لتثبيته، والثالثُ أكَّد أنه كَبْسٌ صحيحٌ بالسنة القمريَّة لإلحاقها بالسنة الشمسية.

(١) ـ المذهب الأول:

وهو مذهبُ القائلين بأن النسيءَ تأخيرُ حُرْمَةِ المحرَّم (صفر الأول) إلى

---

(١) المفصَّل: ٨/ ٤٣٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

(٣) السيرة لابن هشام: ٢/ ٦٠٤، وأبو الحسن الندوي ـ السيرة النبوية: ٣٩٢، وابن كثير ـ البداية والنهاية: ٥/ ١٧٩.

شهر صَفَرِ الآخِرِ في سنة، ثم إعادتها إلى المحرَّم في السنة التالية، وقد اتفقوا جميعاً على هذا، ولكنهم اختلفوا في العِلَّة، أو أَمْسكَ بعضُهم عن ذِكْرِها... ويبدو أن ابن إسحاق كان أَقْدَمَ من تحدَّث عن النسيءِ في الجاهلية، فقال:

١ ـ «وكانت العربُ إذا فَرَغَتْ من حجِّها، اجتمعت إلى الناسِيءِ، فحرَّمَ الأشهُرَ الأربعةَ: رجَباً وذا القعدة وذا الحجة والمحرَّمَ، فإذا أراد أن يُحِلَّ منها شيئاً، أَحَلَّ المحرَّمَ فأَحَلُّوهُ، وحَرَّم مكانَه صَفَراً فحرَّمُوهُ، لِيُواطِئُوا عِدَّةَ الأربعة الأشهُرِ الحُرُم.

٢ ـ «فإذا أرادوا الصَّدَرَ، أي الرجوعَ من مكة، قام فيهم الناسىءُ فقال: اللهم إني قد أَحْلَلْتُ لك أَحَدَ الصَّفَرَيْن، الصَّفَرَ الأوّلَ، ونَسَأْتُ الآخرَ للعام المُقْبل...»[1].

ويُلاحَظُ أن ابن إسحاق لم يذكر شيئاً عن عِلَّة قيامِهم بالنسيء، وأنه أوضح، في الجزء الأول من كلامه، أن التحليل إذا وقع إنما كان يقعُ على شهر المحرَّم (صفر الأول)، فيُحَرِّمُ صَفَرٌ الآخِرُ مكانَه، ولكنه في الجزء الثاني من كلامه رَوَىٰ للناسىء قولاً لعلَّه لم يُحْسِنْ نَقْلَهُ! فإذا كان قد أَحَلَّ حُرْمَةَ صفر الأول، فما معنى قوله: ونَسَأْتُ الآخر للعام المقبل، وهو بطبعه كائنٌ في العام المقبل؟ لا شك في أن النصَّ قد أصابه نقصٌ أو تحريفٌ، فأَفْقَدَهُ معناه. والغريبُ أنه جاء بالشكل عيْنِهِ عند المسعودي[2]، وبالعبارة نفسها[3]، وكذلك

---

(١) السيرة لابن هشام: ١/ ٤٤ ـ ٤٥.

(٢) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، من ذرية عبد الله بن مسعود، مؤرخ، رحَّالة، بحَّاثة من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها سنة (٣٤٦ هـ).

(٣) مروج الذهب: ٢/ ٣٠ ـ ٣١.

عند ابن الأنباري[1]، وإن كان هذا أكثرَ تفصيلاً وأمانة[2]. . . ذلك أن أبا علي القالي[3]، أراد الحديث عن النسيء فقال: «والمعنى فيه، على ما حدَّثني أبو بكر بنُ الأنباري، أنهم كانوا إذا صَدَرُوا عن مِنًى، قام رجلٌ من كنانة، فقال: أنا الذي لا أُعاب، ولا يُرَدُّ لي قضاء! فيقولون: أنسِئْنا شهراً، أي أخِّرْ عنا حُرْمةَ المحرَّم، واجعلْها في صَفَر، وذلك أنهم كانوا يكرهون أن تتوالى عليهم ثلاثةُ أشهُرٍ، لا تمكنهم الإغارةُ فيها، لأن مَعَاشَهم كان من الإغارة، فيُحِلُّ لهم المحرَّمَ، ويُحرِّمُ عليهم صفَراً، فإذا كان في السنة المقبلة، حرَّم عليهم المحرَّمَ، وأحَلَّ لهم صَفَراً. . .»[4]، وقد أثبتَ ابنُ منظور هذا النصَّ كما ذكره القالي، وقال: فذلك هو الإنساءُ[5]. . .

والواقع أن ابن الأنباريّ لم يقُلْ في عِلَّة النسيء شيئاً عن حُبِّ العرب للإغارة والغزو، وكراهيتِهم لتوالي الشهور المحرَّمة، وإنما تحدَّث عن النسَأة فقال: «. . . فكانوا يُحِلُّون من الحُرُم ما شاؤوا، ويُحرِّمون من الحلال ما شاؤوا، ثم إذا أراد الناسُ الصَّدَرَ، قام الذي يلي ذلك منهم، أي الناسِيء أو القَلَمَّس من بني كنانة، فقال: اللهم إني لا أُحَابُ[6]، ولا أُعَاب، ولا مَرَدَّ لما قَضَيْتُ، اللهم إني قد أَحْلَلْتُ دماءَ المُحِلِّين من طيِّيءٍ وخَثْعَم إحْلالَ دَمِ

---

(1) سَبقتْ ترجمتُه.

(2) شرح القصائد السبع: ٢٥٧.

(3) أبو علي القالي: إسماعيل بن القاسم البغدادي. ولد في ديار بكر (٢٨٨ هـ)، وهو من ذرية مولىً لعبد الملك بن مروان. رحل إلى العراق لطلب العلم والتحصيل، فنُسِب إلى بغداد لطول مُقامه بها. زار الأندلس، فأكرمه خلفاؤها، وأقبل عليه علماؤها للاستفادة من علمه. برع في اللغة وعلوم الأدب. توفي بقرطبة (٣٥٦ هـ).

(4) الأمالي: ٤/١.

(5) لسان العرب: ١٦٧/١ (نسأ).

(6) الحَوْبُ: الإثم، أراد أنه لا يأثم أو لا يتَّهم بالإثم.

ظبْيٍ، فاقتلوهم حيث ثَقِفْتُموهم. اللهم إني أحْلَلْتُ أحَدَ الصَّفَرَيْن، الصَّفَرَ الأول، ونَسَأْتُ الآخر للعام المقبل»[1]. ثم ذكر ابنُ الأنباري أن الناسىءَ إنما أحلَّ دماءَ المُحِلِّين من قبائل طيّىءٍ وخثعم، لأنهم كانوا لا يُحرِّمون الأشهُرَ الحُرُمَ، وأنه إنما قال أحد الصَّفَرَيْن لأنهم جعلوا المحرَّمَ الصَّفَرَ الأوَّلَ ليقولوا إنه حَلالٌ إذا أَحَلُّوه، فلما قال اللَّهُ عز وجلَّ في النسيء تلك الآيات، كانت الحُرُم عادتْ إلى أَصْلها[2]. ومن النظر في كلام ابن الأنباري يتبيَّنُ أن ما ذكرهُ القالي في عِلَّةِ النسيء غيرُ صحيح، فكيف يأمرُ الناسِىءُ الناسَ بقتل مَن يُحِلُّون حُرْمَةَ الشهور المحرَّمة، ثم يُحِلُّ لهم الشهرَ الحرامَ للإغارة والغزو؟

ثم وجدتُ بالبحث أن ابنَ حبيب ربما كان وراء هذه الفِكْرةِ المُزْرِيَة بالعرب، فقد أراد الحديثَ عن النسيء، فذكر أن «العرب كانوا يعيشون أحياناً من الغزو والغارة، فَيَشقُّ عليهم مُوَالاةُ الأشهر الحرُم الثلاثة، فإذا أرادوا الغارة في شهر المحرَّم، جاؤوا الناسىءَ عند باب الكعبة، فسألوه أن يُؤَخِّر المحرَّم، فيحسُبُ لهم، ثم يقول: هذا العام صفر الأول...وهو بالحساب الذي لا تدور عليه السنة.. وكانت العربُ لا تأخذُ بالأَهِلَّةِ، ولا تدري ما ذاك! ثم يُؤَخِّرُ لهم المحرَّمَ، ويُقدِّمُ صفَراً، فيُحِلّ بذلك المحرَّمَ عاماً، ويُحرِّمُه عاماً»[3] انتهى كلامُ ابن حبيب...

فما هو هذا الحساب الذي لا تدور عليه السنة؟ وإذا كانت العربُ لا تأخذُ بالأَهِلَّة، فذلك يعني أنها تأخذُ بمسير الشمس، وليست بحاجةٍ إلى النسيء، أمّا أن تكون لا تدري ما الأَهِلَّةُ فتلك هي المصيبة، لأن ابن حبيب نزل بها إلى الجهل المُطْبِق، والتخلُّفِ المُحْدِق، بعدما عجز عن فهم حقيقة النسيء!

---

(١) شرح القصائد السبع: ٢٥٧.
(٢) المرجع نفسه: ٢٥٧ ـ ٢٥٨.
(٣) المحبَّر: ١٥٧.

وعَرَض الزَّبِيديُّ لموضوع النسيء، ولم يذكر في أسبابه شيئاً عن رغبة العرب في الغارة والغزو، وكراهيتهم مُوالاةَ الأشهُرِ الحُرم، وإنما ذكر أن النسيءَ الذي نهى الله تعالى عنه، شهرٌ كانت العربُ تُؤَخِّرُه في الجاهلية، وأن هذا الشهر هو المحرَّم[1]، وأضاف في كلامه على الناسىء، أنه كان يقفُ عند جَمرةِ العَقَبة، أي في آخر مِنًى، ويقول: اللهم إني ناسِىءُ الشهور، وواضِعُها مَوَاضِعَها، لا أُعابُ ولا أُحاب، اللهم إني قد أحْلَلْتُ أحَدَ الصَّفَرَيْن، الصَّفَرَ الأوّلَ، وحَرَّمتُ الصَّفَرَ الآخِرَ[2]. وقريبٌ من هذا قولُ ابنِ كثير: «كانوا يُحِلُّونَ صَفَراً عاماً، ويُحرِّمُون المحرَّمَ عاماً، ويُحرِّمون صفَراً عاماً، ويُحِلُّون المحرَّمُ عاماً، فذلك النسيء»[3]. وذكر في تفسيره أنهم كانوا يُحلُّون المحرَّمَ ويؤخرونه إلى صَفَر، ليقضوا أوْطارَهم من قتال أعدائهم، إذ كانوا يَسْتَطيلون مُدَّةَ الأشهُرِ الثلاثة المتوالية في التحريم[4].

* * *

خلاصةُ القولِ أن تفسيرَ النَّسِيء بأنه تحليلُ شهرِ حرام، وتحريمُ شهرِ حلال، لإباحة الغزو والقتال، تفسيرٌ يبدو فيه التكلُّفُ ظاهراً[5]، لأنه إن جاز وقوعُه مرَّةً، فمن غير المعقول تكرارُهُ بانتظامِ مئاتِ السنين! ذلك أن شِرْعة التحريم كانت عامّةً في العرب، وعُموميَّتُها تقتضي نظاماً ثابتاً في التحريم، يلتزمُ به المقيمُ والظاعِنُ، والحاضِرُ والبادي، على السواء. فلو صحَّ أن

---

(١) تاج العروس: ١/٤٥٦ (نسأ).

(٢) المرجع نفسه: ١٦/٣٩٧ (قلمس).

(٣) البداية والنهاية: ٥/١٧٩.

(٤) تفسير ابن كثير؛ ٣/٣٩٨.

(٥) المفصَّل: ٨/٤٩٥.

الناسىءَ أَفْتَى بتأخير حُرْمَةِ المحرَّم، ليبيحَ فيه الغزوَ لبعض الناس، فمن أين لأولئك الذين لم يشهدوا فتوى الناسىء، أن يعلموا بها، لِيَحْتَرِسُوا، ويأمَنُوا المُباغَتَةَ والغدرَ، في شهرٍ يعلمون أنه زمنُ أمنٍ وسلام، فصار شهرَ قتالٍ وغَزْوٍ؟ بل من أين لمن شهدوا الموسمَ والفتوى، أن يمضوا بأمانٍ إلى بلادهم؟ ولا سيما أن الكعبة، كما ذكر الأزرقي، كانت تُكسَى في الجاهلية يومَ عاشوراء، وقد ذَهَبَ آخِرُ الحاجّ، فكانوا يُعلِّقُون عليها حينئذٍ الأُزُرَ من الأنسجة الفاخرة[1] . . . وهو يعني أن فريقاً من الحاجّ كانوا يَظَلُّون بمكة حتى مَطْلع المحرَّم، وهم مُطمئنُّون إلى سلامتهم في حِمَى الحرمات المقدَّسة، فإذا بهم بعد الفتوى باتُوا مُهدَّدِينَ في أنفسُهم وأموالهم، فهل كان من مصلحة قريشٍ وكنانة وثقيف وهَوَازِن، وسائرِ قبائل الحجاز ونجد وتهامة، وهم أكثرُ العربِ فائدةً من مواسم الأسواق والحجّ والعُمْرة، أن يَهِيجُوا الآمنين، ويُنَفِّرُوهم من شُهود مواسمهم، وهي سُبُلُ أرزاقهم، وعُمُدُ حياتهم؟ وفوق ذلك، كان هنالك موسمان ينعقدان في العاشر من شهر المحرَّم، الأوَّلُ موسمُ سوق اليمامة، وهو من المواسم الكبرى في نَجْدٍ، وكانوا يَعُدُّونَهُ كسوق عكاظ في تعدُّدِ أغراضه، والثاني موسمُ سوق نطاةٍ في خيبر، فهل كان من مصلحة التجار في الحجاز ونجد وتهامة والعَروض أن تُرْفَع الحُرْمَةُ عن شهر المحرَّم، عَبثاً ولَعِباً، وقد كان لهم فيها طمأنينةٌ وأمَانٌ؟

ويُعَدُّ قولُ الزَّبِيدِيّ بأن الناسِىءَ كان يُحِلُّ صفَرَ الأوَّلَ، ويُحرِّم مكانَهُ صفَرَ الآخِرَ، كقول من زَعَم بأن النسيءَ هو تأخيرُ صفَرَ الأول بحُرْمته إلى مكان صفر الآخِر، وتقديمُ هذا إلى موضعِ ذاك، وكأنه كان إجازةً للناس بالغزو والقتال، وهو غيرُ صحيح قطعاً، لأنَ شِرْعةَ التحريم نظامٌ دينيٌّ عامٌّ،

---

(١) أخبار مكة: ١/٢٥٢ ـ ٢٥٣.

تتعلَّقُ به مصالحُ جميع القبائل في بلاد العرب، ولا يملِكُ فردٌ، أو جماعةٌ من ذوي الأهْواءِ، أن يَعْبَثُوا به! وإنِ اتَّفق لأحَدٍ أن يَعْبَثَ به في سنةٍ، فمن غير المعقول أن يستمرَّ العَبَثُ حتى يصِيرَ قاعدةً، وإلا فإن مواسم الحجِّ والعبادة، وكذلك مواسم الأسواق الكبرى، تُمْسِي كلُّها بلا معنى، وتفقدُ عاملاً كبيراً، ربما كان له الأثَرُ الفعَّالُ في استمرارها مئات السنين، وإقْبَالِ الناس عليها من مختلف البِقَاع والأصْقَاعِ. . .

وإذا نظرنا في تعريف ابن كثير للنسيء، لم نجدْ فيه غَنَاءً! فما معنى أنهم يُحِلُّون صَفَراً عامَاً، وهو في الأصل حلالٌ، ويُحرِّمون المحرَّمَ عاماً، وهو في الأصل حرام؟ فكأنه قال إنهم لم يفعلوا شيئاً. . . وكذلك قولُه يُحرِّمون صَفَراً عاماً، ويُحِلُّون المحرَّمَ عاماً، لأنهم إذا حَرَّموا صَفَراً، أَحَلُّوا المحرَّمَ في العام نفسِهِ، وليس في عامَيْن! وذلك يعني أنه لم يُقَدِّمْ شيئاً في تعريف النَّسِيءِ، أو أن النصَّ أصابه تصحيفٌ، فالرجلُ عالمٌ مُحقِّق، ولا أظنُّه يقولُ مثل هذا القول! ولكنه في كتابه «تفسير القرآن» ذكر صراحةً أن إحْلال المحرَّم وتأخيرَه إلى صَفَر إنما كان لإباحة القتال، وأنهم لمَّا كانوا يُحِلُّون شهرَ المحرَّم عاماً، كانوا يُحرِّمون عِوَضَهُ صَفَراً[1].

* * *

*** تَعْقيــبٌ:**

الرأيُ عندي في هذا المذهب، أن القائلين به كانوا يملكون شيئاً من حقيقة النسيء، ولكنهم لمّا أرادوا نقلَهُ إلينا، هَمُّوا بشرحه، فاصْطَنَعُوا له مَعَانيَ وتَفاسِيرَ، حتى أَخرجُوهُ عن حقيقته، فأتْعَبُوا أنفُسَهم، وأتْعَبُونا معهم،

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٣٩٩ ـ ٤٠٠.

ولا شك أن في أقوال بعضِهم، بعضَ عناصر الحقيقة، كقولهم: إن النَّسِيءَ شهرٌ كانت العربُ تؤخِّرُهُ في الجاهلية، فنهى اللَّهُ عنه، وإطْباقِهم على أن هذا الشهر هو المحرَّمُ (صفَر الأوَّلُ). وإنما نَهىٰ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عنه، لأنهم كانوا إذا أخَّروهُ وَضَعُوا الحُرمةَ عنه، وقالوا: هو صَفَرٌ الأوَّلُ، فإذا كانت السنة التالية، عاد إلى مَوضعه من الحُرمة والزمن، وقالوا: هو شهرُ المحرَّم.

أمَّا قولُهم بأن الناسىءَ كان يُعلنُ في الناس أنه أحَلَّ صَفَراً الأوَّل، وأنْسَأَ الآخِرَ للعام المقبل، فلا يَصِحُّ منه، كما قلتُ سابقاً، غيرُ العِبَارة الأولى، وهي إحْلالُه شهرَ صفرِ الأول، وهو في الأصل مُحرَّمٌ، وأمَّا إنْسَاؤهُ صَفَراً الآخِرَ للعام المُقْبل فغيرُ صحيح، لأنه كائنٌ أصلاً في العام المقبل، والعبارةُ بذلك لا تعني شيئاً، وربما أصابها تحريفٌ نَقَصَ عنصراً من عناصر الحقيقة! فمضَيْتُ أبحثُ عنه لعلِّي أقعُ عليه، فوجدتُ الأزرقيَّ نقل عِبَارةً عن النَّسَأة، هي أقربُ إلى العقل والصواب، وإن كان تكلَّفَ في تفسيرها فوق ما في وُسْعِهِ، فأبْعَدَها عن غَرَضِها. فقد ذكر أن أهل الجاهلية كانوا يُسَمُّون المحرَّمَ صَفَراً الأوَّل، وصَفَراً صَفَراً الآخِر، وكان الناسِىءُ يفعلُ النسيءَ سنةً، ويتركُهُ سنةً، فإذا كانت السنة التي يريدُ الإنْسَاءَ فيها، قام في الناس، يومَ الصَّدَرِ بفنَاءِ الكعبة، فقال: «أيها الناسُ إني قد أنْسَأتُ العامَ صَفَراً الأوَّلَ» يعني المحرَّمَ. وفي السنة الثانية، يخطبُهم فيَحُضُّهم على تعظيم حُرُماتهم وشعائرهم، ويأمرُهم بقتال الذين يُحِلُّون الحرمات، ويُعلنُ عودةَ الحُرمَةِ إلى صفرِ الأوَّلِ في ذلك العام. ثم حاول الأزرقيُّ شرحَ هذا، وكانت الحقيقةُ بين يديه يراها ولكنه لا يفهمُها، فذهب إلى أن العرب كانوا، حينما يُعلنُ الناسىءُ تأخيرَ صَفَرِ الأول، يَطْرحونَهُ من الشهور، ولا يعتدُّون به، ويبتدئون العِدَّةَ من صَفَر الآخِر على أنه صَفَرٌ الأولُ، وربيع الأوَّل على أنه صَفَرٌ الآخِر، وهكذا[1]... ولو

---

(١) أخبار مكة: ١/١٨٣ ـ ١٨٤.

أنه تفكّر في الأمر لوَجَدَ المعنى الصحيح قريباً جدّاً، ليس فيه طَرْحٌ، ولا نقصٌ، ولا تغييرُ أسماءٍ، وكلٌّ ما هنالك أن الناسىءَ، بإعلانهِ تأخيرَ صفرِ الأول، أخّر ابتداءَ العام المُقبل، بكل شهوره على ترتيبها وأسمائها، شهراً، كَبَسَهُ بالسنة المنقَضِيَة، فكأنها ابتدأت من الشهر الثاني في السنة: صَفَر الآخِر.

وهكذا يكون واضحاً، أن الناسىءَ، كان حينما يريدُ الإنْسَاءَ، يُعلنُ في الناس تأخيرَ شهرِ صَفَرِ الأول المحرَّم، وإحْلالَهُ، وليس، كما نُقِل عن ابن إسحاق وغيرِهِ، إحْلالَهُ وتأخيرَ صَفَرِ الآخِر. . . فالنسيءُ، كما هو مُقْتَضَى الآية الكريمة، وكما ثبت لدينا، شهرٌ كانت العربُ تُؤَخِّرهُ في الجاهلية، وهو شهرُ صَفَرِ الأوَّلُ المحرَّمُ، فكانت إذا أخَّرَتْه سنةً أَحَلَّتْهُ، ثم عادت في السنة التالية فحرَّمَتْهُ. ولم يكن هذا يجري عَبَثاً ولهواً، بل من أجل تثبيت موسم الحجِّ، والمواسم الأُخرى في أوقاتها، بالموافقة بين السنتين القمرية والشمسية. ذلك أن تأخير صَفَر الأول، وهو رأسُ السنة عند العرب، لا يعني تأخيرَ حُرْمته إلى صفر الآخِر، أو جَعْلَه في مكانِهِ، بل يعني تأخيرَ ابتداءِ العام المُقْبِل كله شهراً، وهو جُملةُ الأيام التي تقدَّمَتْ بها السنةُ القمريةُ على السنة الشمسية، في السنتين أو الثلاث المُنْقَضِيَة. على أن الشهور في العام المقبل تظلُّ، كما هو مرسومٌ لها، من حيث الأسماءُ والترتيب والتوالي، لا يتغيَّرُ فيها شيءٌ، إلا اسمَ صفرِ الأول المحرَّم، فإنه إذ ذاك يصيرُ صفراً الأوَّلَ، من غير تحريم. ويُحرَّمُ مكانَه شهرُ التأخير، الذي تُكبَسُ به السنةُ المُنْقَضِيةُ، فيأتي وراء ذي الحجَّة وقبل صفَر الأول، وتصيرُ به تلك السنةُ ثلاثةَ عَشَرَ شهراً، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾[1]، أي لا يجوز أن تكون أكثر من ذلك،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

ولا أقلّ. ويبدو لي أنهم كانوا يُسَمُّون الشهرَ الثالثَ عَشَر في السنة الكبيسة إسمَ شهر المحرَّم، وهو ما جعل البعض يتوهَّمُ أنهم كانوا يُقَدِّمون المحرَّم تارةً، ويؤخِّرونه تارةً، أو يُبدِّلون مكانَ صفر الأول، ولذلك جعل الله تعالى النسيءَ زيادةً في الكفر، لأن النَسَأة كانوا يحلُّون ما حرَّم الله، وهو شهر صفر الأول المحرَّم، ويُحرِّمونَ مكانَه الشهرَ المكبوسَ وهو في الأصل حلال، ليُواطِئوا عِدَّةَ الشهور التي حرَّمها الله، ويجعلون السنةَ ثلاثةَ عَشَرَ شهراً وقتَ النسيء، وإنما هي إثنا عشر شهراً في كتاب الله. ولعلَّ فيما قدَّمتُه الجلاءَ الوافي بكل ذلك المذهب...

* * *

② ـ المذهب الثاني:

وهو مذهبُ من قالوا بأن النسيءَ تأخيرٌ لموسم الحج، والعِلَّةُ فيه، كما ذكرها الزبيدي في روايةٍ عن ابن كَنَاسَة، أن العرب كانوا يُحبُّون أن يكون يومُ صَدَرِهم عن الحج، أي رُجوعهم منه، في وقتٍ واحدٍ من السنة، أي سنة الشمس، فكانوا يطلبون من النسَأَةِ تأخيرَهُ، فيؤَخِّرونه في كل سنة أحَدَ عَشَرَ يوماً، وهو مقدارُ الفرق بين سنة القمر وسنة الشمس، ويفعلون كذلك في أيام السنة كلِّها، وكانوا يُحرِّمون الشهرين اللذَيْنِ يقعُ فيهما الحجُّ والشهرَ الذي بعدَهما، ليُواطِئوا في النسيء عِدَّةَ ما حرَّم الله، وكانوا يُحرِّمون رجَباً كيف وقع الأمرُ فيكون في السنة أربعةُ أشهُرٍ حُرُم[1].

ويُلاحَظُ في هذه الرواية أن الصوابَ فيها عبارةٌ واحدةٌ، هي رغبةُ الناس أن يكون موسمُ حجّهم ثابتاً، لا يدور في الأزمنة، أما الكلامُ الآخَرُ

(١) تاج العروس: ١/٤٥٦ ـ ٤٥٧.

فغيرُ صحيح، لأن التأخير الذي نهَىٰ اللَّهُ تعالى عنه شهرٌ واحدٌ مُحرَّمٌ، كانوا يُحِلُّونَه عاماً، ويُحَرِّمُونَه عاماً، ولا يفعلونه كلَّ عام، وفي كل الشهور.

ومثلُ هذا، ما ذكرهُ القلقشنديُّ من أن العرب كانوا يُؤَخِّرون الحجَّ في كلِّ عام أَحَدَ عَشَرَ يوماً، حتى يَدُورَ الدَّوْرُ إلى ثلاثٍ وثلاثين سنة، فيعود إلى وقته. فلما كانت سنةُ عَشْرٍ من الهجرة، عاد الحجُّ إلى وقته اتفاقاً في ذي الحجَّة، فأقام الرسولُ عليه السلامُ فيه الحجَّ، وكانت حجَّتُه تلك حجَّةَ الوداع، التي قال فيها: «إن الزمان قد استدار كَهيْأته يوم خلق اللَّهُ السموات والأرضَ»، بمعنى أن الحجَّ عاد في ذي الحجة[1]. لكنَّ ابن كثير ردَّ هذا التفسير، وقال: إن المعنى «أنَّ الأمر في عِدَّة الشهور، وتحريم ما هو مُحرَّمٌ منها، هو على ما سبق في كتاب الله من العَدَد والتوالي، لا على ما يقومُ به بعضُ جَهَلَةِ العرب، من فَصْلهم تحريمَ بعضِها بالنسيء عن بعض»[2]، وكان ابنُ كثير، كما ذكرت من قبلُ، من القائلين بأن النسيءَ تأخيرٌ لحُرمة المحرَّم (صفر الأول) إلى صَفَر الآخِر، قضاءً للأَوْطارِ من قتال الأعداء. وقد فَنَّدْتُ هذا المذهبَ في تعليل النسيء، وأظهرتُ تَهافُتَهُ في كلامي على أقوال أصحابه. ومع ذلك، فإن ابن كثير عَرَضَ للقائلين بأن حجَّة الوداع وقعت اتفاقاً في ذي الحجَّة، وأن العرب كانوا يحجُّون في أكثر السنين في غير ذي الحجَّة، وأن حجَّة الصِدِّيق سنة تسْعٍ كانت في ذي القعدة[3]، كما عَرَضَ أيضاً للقائلين بأن العرب كانوا يحجُّونَ في كل شهرٍ عامَيْن، وأن حجَّة أبي بكر وافقت الآخِرَ من العامَيْن في ذي القعدة[4]، فقال: «وكيف تصحُّ حجَّةُ

---

(١) صبح الأعشى: ٢/ ٤٢٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/ ٤٠٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٤) المرجع نفسه: ٣/ ٣٩٩.

أبي بكر وقد وقعتْ في ذي القعدة؟ وأنّىٰ هذا وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾[1]، وإنما نُودِيَ به في حجّة أبي بكر؟ فلو لم تكن في ذي الحجّة، لما قال تعالى: يومَ الحجّ الأكبر»، ثم أضاف أنه لا يَلْزمُ من فِعْلِهم النسيءَ ما ذكره أولئك من دَوَرانِ السنة عليهم، وحَجِّهم في كل شهرٍ عامَيْن، فإن النسيءَ حاصلٌ بدون هذا، لأنهم لمّا كانوا يُحِلُّون شهر المحرَّم عاماً يُحرِّمون عِوَضَه صفَراً، وتبقى الشهور بحالها، على نظامها، وعِدَّتِها، وأسمائها، لا يَتَغيَّرُ منها شيءٌ[2]. ويُفهم من جُملة ما قاله ابنُ كثير في هذا الأمر، أن النسيءَ الذي نَهىٰ اللّهُ عنه، هو التلاعُبُ بحُرْمَةِ شهر المحرَّم (صفر الأول)، تأخيراً، أو تقديماً لا غير.

وكان الأزرقيُّ كذلك من القائلين بأن العرب كانوا يحجُّون في كل شهرٍ عامَيْن، حتى يَسْتَديرَ الحجُّ في كل أربع وعشرين سنةً إلى الشهر الذي بدأ فيه الإنساءُ[3]... وقوله هذا نشأ عن غلطه في فهم النسيء، إذ حسبه نَقْصاً من السنة، لا تأخيراً لها! والعربُ كانوا يشتكون قِصَرَ السنة القمرية، فجعلهم يطرحون منها فوق ما بها من القِصَر شهراً، ويتقلّبُون في أسماء الشهور، وترتيبها، وتواليها، ظنّاً منه أن ذلك هو تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شهراً ﴾.

* * *

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣/٣٩٩ ـ ٤٠٠.

(٣) أخبار مكة: ١/١٨٤ ـ ١٨٥.

③ ـ المذهبُ الثالث:

وهو مذهبُ من قالوا بأن النسيءَ كان كَبْساً، غايتُه الموافقةُ بين السنتين القمريّة والشمسية، لتَثْبيت المواسم في مواعيدها من الأزمنة الطبيعية.

والواقع أن المسعوديَّ أشار إلى الكبْسِ، فقال: «وقد كانت العربُ في الجاهلية تكبسُ في كل ثلاثِ سنينٍ شهراً، وتُسَمِّيه النسيءَ، وهو التأخير. .»[1]، وقال أبو الفداء: إنهم «كانوا يكبسون في كل ثلاثة أعوام شهراً»[2]، وذكر القلقشنديُّ أن العرب أرادت أن يكون حجُّها في أخْصَبِ وقتٍ من السنة، وأَسْهَلِ زمانٍ للتردُّد بالتجارة، فتعلَّموا الكبْسَ من اليهود[3]. . . وكان «أبو الريحان البيروني»[4]، عَرَض لموضوع النسيء بالتفصيل، فذكر أن موسم الحجِّ كان يدور في الجاهلية، فأحبَّ العربُ وقتئذٍ أن يحجُّوا في وقت إدراك سِلَعِهم من الأدَم والجُلود والثمار وغير ذلك، وأن يَثْبُتَ ذلك على حالةٍ واحدةٍ، وفي أطيبِ الأزمنة، وأخْصَبِها، فتعلَّمُوا الكبْسَ من اليهود المجاورين لهم في يثرب، وذلك قبل تاريخ الهجرة بنحو مِئَتَيْ سنة، فأخذوا يعملون بها ما يُشَاكِلُ فِعْلَ اليهود، من إلْحاقِ فَضْلِ ما بين سَنَتِهم وسنةِ الشمس، شهراً بشهورها إذا تمَّ، ويُسَمُّون هذا من فِعْلهم: النسيءَ، لأنهم كانوا يَنْسَؤُون أوّلَ السنة في كل سنتين أو ثلاثِ شهراً، على حسب ما يستحِقُّهُ التقدُّم[5].

---

(١) مروج الذهب: ٢/١٨٨.

(٢) المختصر في تاريخ البشر: ١/٩٩.

(٣) صبح الأعشى: ٢/٤٢٥.

(٤) أبو الريحان البيروني: محمد بن أحمد (٣٦٢ ـ ٤٤٠ هـ = ٩٧٣ ـ ١٠٤٨ م)، عالم ومُصَنِّفٌ عربيٌّ من خوارزم. درس الرياضيات، والفلك، والطب، والتقاويم، وعلوم الهند واليونان وبرع فيها، من مُؤلَّفاته: الآثار الباقية عن القرون الخالية، نشَرهُ المستشرقُ الألماني: كارل إدْوَرْد سَخَاوْ (١٨٤٥ ـ ١٩٣٠ م).

(٥) الآثار الباقية: ١١، ١٢، ٦٢، ٣٢٥.

وكنا حقَّقْنا أن وجود النسَأة عند العرب يعودُ إلى أَواسط القرن الثاني للميلاد، وهو دليلٌ على عودة النسيء إلى أَبعدَ ممَّا قَدَّرَهُ البيرونيُّ. والمعروف أن يهودَ يثربَ، قَدِموا جزيرةَ العرب، بعد تَشْتِيتهم في القرن الأول أو الثاني للميلاد، فعاشوا ما عاشوا مع العرب، من غير أن يُؤْثَرَ عنهم أيُّ أثَرٍ مكتوبٍ، لا بلُغتهم العِبريَّة، ولا بالعربية التي تعلموها من العرب، وكانوا خُلَقَاءَ بذلك، لو صحَّ ما نَسَبهُ إليهم المستشرقون وبعضُ الباحثين، من العلم والمعرفة والارتقاء[1]. ثم إن العِبْريين لم يخترعوا الكَبْسَ أو النسيء، بل نقلوهُ عن البابليين، ويذكر المؤرخون أن البابليين اعتمدوا التقويم السُّوْمريَّ الذي يجعل السنة (١٢) شهراً قمرياً، ولمّا أدركوا أنها شهور متحركة، كانوا يكبسون بعد أيلول شهراً يسمُّونه أيلول الثاني، يفعلون ذلك كلما لزِمَ التأخيرُ، وقيل إن الذي شرَّع ذلك الملك حمُّورابي. ثم اكتشف الفلكيُّ الكلداني «نابو رمّانو» أن عدّة أيام السنة (٣٦٥) يوماً و (٦) ساعات و (١٥) دقيقة و (٤١) ثانية، وتبين بعدئذ أن هذا التقدير يزيد على عدة السنة الحقيقية (٢٦ د، و ٥٥ ث)[2]. ولم يكن العربُ في عزلةٍ، كما يحلو للبعض أن يتوهَّم، بل كانت قوافلُهم تتردَّدُ إلى العراق والشام، وكان عربُ العراق والشام يشهدون مواسمهم، ولعلهم نقلوا العلمَ بالكبس أو النسيء عن أهل الشام أو العراق. وقد رجَّح «فُريْحة» أن يكونوا أخذوه عن الآراميِّين[3].

وعَرَضَ «ابنُ الأجدابي»[4] أيضاً لموضوع الكبس عند العبرانيين

---

(١) مطلع النور: ٦٠ ـ ٦٢.

(٢) منير البعلبكي ورفاقه ـ حضارات العالم في العصور القديمة والوسطى: ٧٤، ٨٢، ١٠٢.

(٣) أسماء الأشهُر: ٥٣.

(٤) ابنُ الأجدابي: أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل، المتوفَّى نحو (٦٥٠ هـ). نُسِبَ إلى أَجْدابِيَة وهي ناحية قرب طرابلس الغرب. فقيه، لغويٌّ، مُصنِّفٌ ومُحقِّق جيِّد. اشتُهر بالعلم والأدب. وله مصنَّفات عِدَّةٌ، امتازت بالاختصار والدِقَّة في الجمع والتحقيق. من كتبه: الأزمنة والأنواء، حقَّقه د. عزة حسن.

واليونانيين، فقال: «وقد كانت العربُ في الجاهلية تفعلُ مثلَ هذا، وتزيدُ في كل ثالثةٍ من سِنِيها شهراً، على نحو ما ذكرناه عن العبرانيين واليونانيين، وكانوا يُسَمُّون ذلك النسيءَ. وكانت سنةُ النسيء ثلاثةَ عَشَر شهراً قمريَّةً. وكانت شهورُهم حينئذٍ غيرَ دائرةٍ في الأزمنة، كان لكلِّ شهرٍ منها زمنٌ معلومٌ لا يَعْدُوهُ. فهذا كان فِعْلَ الجاهلية حين أَحْدَثُوا النسيءَ، وعملوا به...»، فلما حَرُمَ العملُ به صارت شهورُ العربِ دائرةً في الأزمنة الأربعة[1].

ومن الواضح أن النسيءَ الذي ذكرهُ البيرونيُّ وابنُ الأجدابي، وأشار إليه الآخَرون، هو كَبْسٌ صحيح، أَخَذَ به العربُ ليسْتَوِيَ لهم حسابُ القمر مع حساب الشمس، وليس مجرَّدَ تأخير حُرمةٍ أو شهرٍ على نحو ما رأينا[2]. وكانوا يفعلونه كلَّ سنتين، أو ثلاثٍ، على حسب ما يستحِقُّهُ التقدُّم، فيكبِسُون شهراً بآخر السنة سبعَ مراتٍ، في دَوْرٍ مُدَّتُه تسعةَ عَشَر عاماً، وذلك في السنة الثالثة منه، ثم السادسة، ثم الثامنة، ثم الحادية عشرة، ثم الرابعة عشرة، ثم السابعة عشرة، ثم التاسعة عشرة وهي آخِرُ الدَّوْر، ثم يتبدئون دَوْراً جديداً[3]...

ويقال إن مُكْتشفَ هذا النظام في النسيء، هو العالم الفلكيُّ اليونانيُّ «METON» الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد. وقد وجد أن كلَّ (٢٣٥) شهراً قمريّاً تُساوي عِدَّةُ أيامها عِدَّةَ أيام (١٩) سنة شمسية[4]... وأن

---

(١) الأزمنة والأنواء: ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) المفصَّل: ٨/ ٤٩١.

(٣) الأزمنة والأنواء: ٣١.

(٤) موريس بوكاي ـ التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: ١٤٦، (منشورات دار الكندي ـ بيروت ١٩٧٨ م).

القمر يظهرُ مُجدَّداً، عند ابتداءِ دَوْرٍ جديدٍ من (١٩) سنةٍ أخرى، في الوقت نفسه الذي ظهر فيه عند ابتداءِ الدَّوْرَة المُنْقَضِيَة[١]، أي أن أوَّلَ يومٍ في السنة الأولى من الدَّوْر الجديد، هو أوَّلُ يومٍ في شهرٍ قمريّ جديد، يُرَىٰ فيه الهلالُ حيث رُئِيَ عند ابتداءِ السنةِ الأولى من الدَّوْرِ السابق[٢]... وهذا هو في اعتقادي معنى قَوْل رسول الله: «إن الزمان قد اسْتَدار كهَيْأَتِهِ يوم خلق الله السماواتِ والأرضَ...»، فكأنه أراد إلغاءَ حسابِ القمر، وما يُلازِمُه من النسيء، وزيادةٍ في عِدَّةِ شُهورِ السنة، وتلاعُبٍ بالحُرمات، والاسْتِعَاضةَ عنه بالدَّوْرةِ الزمنيَّةِ الثابتة في الكَوْن، المقسَّمةِ إلى إثْنَيْ عَشَرَ شهراً، لا تزيدُ ولا تنقص، لأنها قائمةٌ في أصل الخِلْقَة على قانونٍ ثابتٍ في كتاب الله! فالاستدارةُ هنا الاسْتِواءُ، اسْتِواءُ حسابَيْ الشمس والقمر تلك السنة، في مُطابقةٍ تامَّةٍ، وليست دَوَرانَ القمرِ في كل الفصول، حتى عاد في اعتقاد البعض إلى موضعه، بعد ثلاثٍ وثلاثين سنةً قمريَّةً، زعموا أنها تُساوي اثنتين وثلاثين سنةً شمسيّةً، وإنما هي في الحقيقة تزيدُ عليها بضعةَ أيام[٣]، ولا تُحقِّق بالتالي معنى المطابقة التامَّة بين إهلالِ الشهر القمري وابتداء السنة الشمسية في اليوم نفسه، كما تفعلُ دورةُ النسيء التي تقعُ في تسعةَ عشَر عاماً

---

(١) موسوعة كومبتونز: ٩/ ٦٢٧ (M).

(٢) العصور القديمة: ٣٦٦، (وذكر پرسْتِد أن كَبْسَ اليونان، قبل ميتون، كان يعتمد دوراً من ثماني سنين، يكبسون فيها شهراً ثلاث مرات، في السنة الثالثة، ثم الخامسة، ثم الثامنة...)، ذلك أن عِدَّة ثماني سنين شمسية تساوي (٢٩٢٢) يوماً، وعِدَّةَ أيام ثماني سنين قمرية (٢٨٣٤,٩٥) يوماً، يضاف إليها عددُ أيام شهور الكبس الثلاثة وهي (٨٧) يوماً، فيكون المجموع (٢٩٢٢) يوماً، وهكذا يعود إلى الموافقة الأولُ من سنتيْ الشمس والقمر في أول السنة التاسعة، على التقريب.

(٣) إن (٣٣) سنة قمرية تُساوي (١١٦٩٤) يوماً، و (٣٢) سنة شمسية تساوي (١١٦٨٧,٧٥) يوماً، أي بفارق ستة أيام بين الحسابين.

شمسياً[1]. وإذا لاحظنا أن المرَّة السابعةَ في هذه الدَّوْرة هي الأخيرةُ، وأن النسيءَ يكون فيها بانْصِرام سنتين على المرَّة السادسة، وليس ثلاثاً كما في أكثر المرَّات، وجدنا أن ذلك يتَّفِقُ مع ما ذَكَرتْهُ آيةُ النسيء في القرآن الكريم، من أنهم كانوا يُحِلُّونَه عامَاً ويُحرِّمونه عامَاً، كما يتَّفق مع ما قاله الرسولُ عليه السلام عن استدارة الزمان كهَيْأته الأُولى، يوم خلق اللَّهُ السماوات والأرض، وذلك يوم خطبَ الناسَ في حجَّة الوداع سنة عَشْرٍ للهجرة. وهو ما يميلُ بنا إلى الاعتقاد بأن حجَّةَ الوداع كانت في السنة الأُولى من دَوْرٍ جديدٍ آخَر من أدْوار النسيء، وقد أهَلَّ فيها قمرُ المحرَّم (صفر الأول) في الأول من تشرين الأول، وكانت سنةُ تِسْع السنةَ الأخيرة في دَوْرِ النسيء السابق، وفي تلك السنة أُبْلِغَ إلى الناس نزولُ القرآنِ بتحريم النسيء وإبْطالِ العملِ به، وكانت آخِرَ سنةٍ حجَّ فيها المشركون إلى الكعبة[2].

ومن شأن ذلك كله أن يحمِلَنا على القول بأن النسيءَ كان في جوهره كَبْساً صحيحاً، الغَرضُ منه إعادةُ تثبيت الشهور القمريَّة، والمواسم العامَّة، في الأزمنة الطبيعيَّة، لئلا تنتقلَ عن أوقاتها التي حُدِّدَتْ فيها من الفُصول الأربعة ولم تكن غايتُه قطعاً إباحةُ الغَزْوِ وأعمالِ الثأر، فهذا التفسير تكلَّفَهُ

(١) إن عِدَّة أيام (٢٣٥) شهراً قمرياً + (٧) أيام تُكبس أثناءها بذي الحجة تُسَاوي (٦٩٣٩) يوماً وكَسْرَ يوم. وإن عِدَّة أيام (١٩) سنة شمسية تُساوي أيضاً (٦٩٣٩) يوماً وكَسْر يوم. ويجب أن نلاحظ أن عِدَّة أيام السنة العربية القمرية هي (٣٥٤ يوماً و ١١/٣٠ من اليوم)، وعدَّة أيام السنة الشمسية هي (٣٦٥,٢٤٢٢) يوماً... وإن عِدَّة (١٩) سنة قمرية تُساوي (٦٧٣٣) يوماً، يُكبَسُ بها سبعة شهورٍ عَدَدُ أيامها (٢٠٦) فيصيرُ المجموعُ (٦٩٣٩) يوماً مُساوياً لعِدَّة (١٩) سنة شمسية.

(٢) يُلاحظ أن القول بمُسَاواة ثلاثِ مئةِ سنة شمسيَّةٍ لثلاثِ مئةٍ وتسع سنينَ قمريّةٍ غيرُ دقيق، فعِدَّة (٣٠٠) سنة شمسية هي: (١٠٩٥٧٢ يوماً و ١٣ ساعة و ٤٠ دقيقة)، وعدَّةُ (٣٠٩) سنوات قمريّة هي: (١٠٩٤٩٩ يوماً و ٧ ساعات و ١٢ دقيقة).

المتأوِّلون من المؤرِّخين. وما حَسِبهُ بعضُهم فَضْلاً، بالنسيء، لتوالي الشهور المحرَّمة الثلاثة، إنما كان في الحقيقة إضافةَ شهرٍ على السنة المُنْقَضِيَة، يأتي بعد ذي الحجَّة وقبل المحرَّم (صفر الأول)، وهذا يقتضي تأخيرَ ابتداءِ السنةِ المُقْبلةِ شهراً. ولمَّا كان صَفَرٌ الأوَّلُ المحرَّمُ أوّلَ شهور السنة، فتأخير افتتاح السنة كان من شأنه أن يفصل بينه وبين شهريْ ذي الحجة، وذي القعدة المحرَّمين، فكانوا يُحِلُّونَه، ويُحرِّمون مكانه الشهرَ الذي كَبَسُوا به السنةَ المُنْقَضِيَةَ، فكأنهم جعلوا من صَفَرِ الأول المحرَّم إسْماً لِشَهْريْن: شَهْرِ المحرَّم، وهو الشهرُ الثالثُ عَشَرَ في السنة الكبيسة، وشهرِ صَفَرِ الأوَّل، وهو الشهرُ الأوَّلُ في السنة المُقْبِلةِ، الذي كان الناسِيءُ يقولُ للناسِ فيه إذ يَنْزِعُ الحُرْمةَ عنه: هذا العامُ صَفَرٌ الأوَّلُ! فإذا انقضت السنةُ المُقْبلَةُ هذه، وهي إثنا عَشَرَ شهراً، أُعيدت إلى صَفَرِ الأوَّل حُرْمتُه في السنة التي تليها...

وبذلك تظلُّ الشهورُ المحرَّمَةُ ثلاثةً مُتَوالِيَةً في كلا الحالين، لا يفصِلُ النسيءُ بينها، وإنما هو يحافظ على تواليها، وعلى عَدَدِها فقط، دون النظرِ إلى أعْيانِها حين الكبسِ وتأخيرِ افتتاحِ السنة الجديدة شهراً عند الاقتضاء.

ثم نزلت آيةُ النسيء في سورة التوبة، سنةَ تسعٍ، وهي من أواخر ما نزل على النبيّ عليه السلام، وجاء فيها:

● ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ... ﴾[1].

● ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ... ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

ثم فَسَّر نبيُّ الله، عليه الصلاة والسلامُ، هذه الآيَةَ، سنةَ عَشْرٍ، في حجَّةِ الوداع، فقال:

● «ألا إن الزمان قد استدار كهيأته يومَ خَلَق اللَّهُ السماوات والأرضَ، وإن عدَّةَ الشهور عند الله إثنا عَشَر شهراً، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثةٌ مُتَواليات: ذو القعدة وذو الحجَّة والمحرَّم، ورَجَبٌ الذي بين جُمادَىٰ وشعبان».

ومن الواضح أن الآيَةَ المذكورةَ ذَمَّتْ فِعْلَ النَّسَأَةِ لأنهم كانوا يُحلُّون شهراً حَرَّمَهُ اللَّهُ بعَيْنِهِ، ويُحرِّمون شهراً هو في الأصل حَلالٌ يُضِيفُونَه إلى السنة المُنْقَضِيَة، وذلك ليُوَافِقُوا عِدَّةَ الأشهُرِ التي حَرَّمها اللَّهُ، فجعلوا كلَّ العِبْرَةِ في التحريم وُقُوعَهُ على عَددٍ مُعيَّنٍ من الشهور، وليس على أشهُرٍ مُعيَّنَةٍ بأسمائها، وأزمنتها. أي أنهم كانوا يُراعون في التحريم عددَ الأشهُر التي حرَّمها الله، دون أن يلتزموا بخُصوصيَّتِها، وزادوا على عِدَّةِ شهور السنة الكبيسة شهراً، فصارت ثلاثةَ عشَرَ، وهي في كتاب الله إثنا عشر شهراً، فهذا هو النسيءُ الذي نَهىٰ الله تعالى عنه، فحَرُمَ العملُ به وقتئذٍ، ثم تُوفي الرسولُ، عليه الصلاة والسلامُ، في السنة التالية، ولم يُعتَمَدْ بعدُ تقويمٌ بديلٌ، فصارت شهورُ العرب بعد ذلك دائرةً في الأزمنة الأربعة.

ويُعلِّق سيِّدُ قطب على هذه الآية بقوله: «... إن هذا النصَّ القرآنيَّ يردُّ مِعْيارَ الزمن، وتحديدَ دَوَرانِهِ إلى طبيعة الكون التي فَطَرهُ اللَّهُ عليها، وإلى أصل الخِلْقَة، خِلْقةِ السماوات والأرض، ويُشير إلى أن هناك دورةً زمنيّةً ثابتةً، مُقْسَّمةً إلى اثنيْ عَشَرَ شهراً، يُسْتَدلُّ على ثباتِها بِثَباتِ عَدَدِ الأشهُر فلا تزيدُ في دورةٍ، وتَنقصُ في دَوْرةٍ، وأن ذلك في كتاب الله، أي في نامُوسِه الذي أقام عليه نظامَ هذا الكون، فهي ثابتةٌ على نظامها، لا

تتخلَّفُ ولا تتعرَّضُ للنقص والزيادة، لأنها تَتمُّ وفق قانونٍ ثابت»[1].

ومع أن الرجُلَ أشار بوضوح إلى أن هذه الآية تعني وُجوبَ الأخْذِ بدورة الشمس، لأنها «الدورةُ الزمنيَّةُ الثابتةُ المُقَسَّمة إلى اثنَيْ عَشَرَ شهراً لا تزيدُ ولا تنقص»، لكنه لم يُوَفَّق في فهمه طبيعةَ النسيء! فقد ذكر في كلامه على أسبابِ نُزول الآية، أن الاسْتنفارَ لِغَزْوةِ تَبُوكٍ، سنةَ تِسْعٍ، كان في رَجَبٍ، وهو من الأشهُر الحرُم، ولم يكن في تلك السنة في موعده الحقيقيّ، بل كان في موقع جُمادَى الآخرة بسبب النسيء، وكان ذو الحجة أيضاً في موقع ذي القعدة[2]!

والواقع أن تقدُّمَ رجَبٍ إلى موقع جُمادَى الآخِرة، وتقدُّمَ ذي الحجَّة إلى موقع ذي القعدة، ليس من عَمَلِ النسيء كما وَهِم الأستاذ، بل من دَوَرانِ شهور القمر في الأزمنة وعدم ثباتها، فيأتي النسيءُ بعدئذٍ لِيُؤخِّرها ويُعيدَها إلى مواقعها، تثبيتاً لها في الأزمنة الطبيعيَّة التي حُدِّثَ بها أصلاً، وإلْحاقاً لحساب القمر بحساب الشمس... وها هو اليومَ رجَبٌ وغيرُه من شهور القمر، ما يزال، منذ أُبطِلَ النسيءُ وحَرُم العملُ به، يدورُ في كل فصول السنة، ويتقدَّم عن موقعه الحقيقي كلَّ سنةٍ أحَدَ عَشَر يوماً، وذلك لأن علَّة دورانه ليست في النسيء، بل بإبطال النسيء... فالنسيء في أصل معناهُ: التأخيرُ، ولكنه في المعنى الإصْطلاحيِّ: تأخيرُ افتتاح سنةِ القمر شهراً، كلَّ سنتينِ أو ثلاثٍ، حَسْبما يقتضيه تقدُّمَ الشهورِ القمريّة على شُهور الشمس. والعِلَّةُ في إبطال النسيء وذَمِّ فِعْلِه إنما هي أمْرانِ:

---

(١) في ظلال القرآن: ١٦٥١ ـ ١٦٥٢.

(٢) في ظلال القرآن: ١٦٥٠ ـ ١٦٥١.

الأول: أن عِدَّة شهور السنة، كما هي في كتاب الله، إثنا عَشَرَ شهراً، والنسيءُ يجعلها كلَّ سنتين أو ثلاثٍ ثلاثةَ عَشَرَ شهراً لمساواة سنة القمر بسنة الشمس. . . وهذه إشارةٌ واضحةٌ إلى وُجوب الأخْذِ بدورة الشمس أو بدورة منازل القمر، فكِلْتاهُما ثابتةٌ لا تزيد ولا تنقص.

الثاني: أن الشهورَ المحرَّمةَ يجبُ أن تظلَّ مُحرَّمةً ثابتةً على عِدَّتِها وتواليها ومَواقِعِها وأعيانها، كما شَرَعها اللَّهُ، ولا يحقُّ لأحَدٍ أن يضَعَ عن أحَدِها حُرْمَتَهُ، ويُحرِّمَ شهراً آخَرَ غيرَهُ لمُوَاطَأَةِ عِدَّةِ ما حرَّم اللَّهُ، فيُحلُّ بذلك ما حرَّم اللَّهُ، ويُحرِّمُ ما هو في الأصل حلالٌ. . . وهذه إشارةٌ أُخرى إلى وُجوبِ تَثْبيتِ الشهورِ المحرَّمةِ في الأزمنة التي حُدِّدَتْ بها يومَ جرى أمرُ الله بتحريمها، ولا يمكن هذا إلا بالأخذ بدورة الشمس أو بدورة منازل القمر. . . ذلك أن العرب ومَن كان يذهبُ مذهبَهم كانوا يعتدُّون بمنازل القمر في معرفة الفصول وحساب السنين، بينما كانت الأُمَمُ الأخرى تعتدُّ ببُروج الشمس، وهما سواءٌ في بيانِ مواعيد الفصول الطبيعية، وعِدَّةِ أيام السنة.

* * *

وهكذا يتبيَّنُ لنا أن مَذْهبَ من قال بأن النَسِيءَ كان كَبْساً صحيحاً، غايتُه إلْحَاقُ حساب السنة القمرية بالسنة الشمسية، لتثبيت المواسم في مواعيدها من الفصول الطبيعية، إنما هو أقربُ المذاهب إلى الحق والواقع والصواب. . .

وما دام النسيءُ ثابتاً إبْطَالُه وتحريمُهُ سنة (٩ هـ = ٦٣١ م)، فدليلُنا على أن هذه السنةَ كانت الأخيرةَ في آخِر دَوْرٍ للنسيء، وعلى أن العرب

كانت تأخذُ في النسيء بدوْرٍ مُدَّتُه تسعةَ عشَر عاماً، يَظْهرُ إذا رجعنا بالأمر إلى حيث كانت ولايةُ قبيلة خُزَاعة شؤونَ مكة نحو سنة (١٧٥ م)، وجَعْلِهَا شأنَ النسيء وقتئذٍ إلى مالك بن كنانة... فإذا فرضنا أن الإنْسَاءَ بدأ سنة (١٧٦ م)، أي في السنة التالية لولاية خزاعة، وجدنا بين ابتدائه وانتهاءِ العمل به مُدَّة (٤٥٦) سنةً، وهي تَعْدِل أربعةً وعشرين دوراً من أدوار النسيء، مدَّةُ كلٍّ منها (١٩) سنة... وهذا دليلٌ على صِحَّة ابتداءِ ولاية خُزَاعَة أمورَ مكة سنة (١٧٥ م)، وعلى وقوع إبطال العمل بالنسيء في السنة الأخيرة من آخِر دَوْرٍ له عند العرب سنة (٦٣١ م).

وإذا أخذنا بقولِ مَن زَعَم من المؤرخين أن النسيء إنما ابتدأ في ولاية قُصيّ بن كلاب، المقَدَّرة نحو سنة (٤٤١ م)، فإن ذلك يعني ابتداءَهُ سنة (٤٤٢ م)، وربما كانت هذه هي السنةَ التي ابتدأت بها ولايةُ قُصيّ، وإن ذلك يعني أيضاً انقضاءَ (١٩٠) سنةً على العمل بالنسيء حين أبطله الإسلامُ سنة (٦٣١ م)، وهي مُدَّةٌ تُساوي عشرةً من أدوار النسيء.

ومن شأن ذلك كله أن يؤكّدَ صوابَ ما رَجَّحناهُ من أخذ العرب بالنسيء لتثبيت المواسم والشهور في الأزمنة والفصول، وكذلك ما قَدَّرْناهُ من عُمُر النسيء، وابتدائه نحو سنة (١٧٦ م)، ثم انتهائه سنة تسع للهجرة (٦٣١ م).

* * *

خُلاصةٌ وملاحظاتٌ وتعقيب:

نَخلُصُ ممَّا قدَّمناهُ إلى أن النسيء كان قائماً في عصر الجاهلية، لتثبيت شهور العرب ومواسمهم الدينية والزراعية والتجارية، في مواقيتها من الأزمنة الطبيعية التي حُدَّتْ فيها أصلاً. وقد استمرَّ العملُ به حتى أبطله الإسلام،

سنةَ تِسْع للهجرة، فتَوقَّفَ العملُ به ابتداءً من السنة العاشرة، وهي التي حجَّ فيها الرسولُ عليه الصلاةُ والسلامُ حجَّة الوداع. ومعنى ذلك أن موسم الحجِّ سنةَ تسع للهجرة، أُقيم في التاسع من ذي الحجة، الموافق للأول من شهر آب سنة (٦٣١ م)، مُتقدّماً موقعه من تقويم الشمس نحو شهرٍ، فكُبِسَ بتلك السنةِ شهرٌ وراءَ ذي الحجة، فصارت به ثلاثةَ عَشَرَ شهراً، وكانت السنةَ التاسعةَ عشرةَ والأخيرةَ في آخِرِ دَوْرٍ للنسيء عند العرب، ابتدأ بعدَها حسابُ القمر يسْتَوي مع حساب الشمس، ولمّا كانت سنةُ عَشْرٍ للهجرة، كان الأوَّلُ من المحرَّم (صفر الأول) قد عاد إلى مَوْقعِه في الأوَّلِ من تشرينِ الأول وهو ما كانت تُفْتَتَحُ به سنةُ الشمس عند أهل الشام والعراق وغيرهم[١]. وأُقيم موسمُ الحجّ وقتئذٍ في التاسع من ذي الحجة، الموافق للثلاثين من شهر آب سنة (٦٣٢ م). ثم تُوفي الرسولُ عليه الصلاةُ والسلام سنة إحدى عشرة للهجرة، يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، الموافق للثلاثين من شهر تشرين الثاني سنة (٦٣٣ م)، وقد تقدَّمْت سنةُ القمر على سنة الشمس أَحَدَ عشر يوماً.

أمّا موسمُ سوق عكاظ، وكان يُقام عادةً في الأول من ذي القعدة، فأعتقد أنه أُقيم سنة عَشْر للهجرة في موعده الطبيعي من سنة الشمس، نحو الثالث والعشرين من شهر تموز (يوليو). وكان تنقُّلُه، باعتماده على الهلال، ربما قَدَّم مَوْقعَهُ من سنة الشمس حتى الثالث والعشرين من شهر حزيران، لكنَّ النسيء ما يلبث حتى يُعيدَهُ إلى موقعه الأصلي. فلما بَطُل النسيء، صار موعدُه دائراً في كل الأزمنة الطبيعية، فلا يعود إلى قريبٍ ممّا كان عليه في الأصل إلا بعد نحو ثلاثٍ وثلاثِين سنةً... ولعلّ هذا كان سبباً رئيساً في انحطاط السوق وخُمولِ ذِكْرِه...

---

(١) انظر جدول مواقع شهور العرب من شهور السريانيين والروم.

وأمّا الأوّلُ من شهر رمضانَ سنة عَشْرٍ، فقد وقع في الخامس والعشرين من شهر أيّار (مايو)، أي بعد طُلوعِ كوكب الثريّا أواسطَ هذا الشهر، وإيذانِهِ بابتداءِ زَمَنِ الرَّمَضِ واشتدادِ الحرِّ في بلاد العرب. . . وإذا تبيَّن صوابُ هذا القولِ، فذلك يعني أن الزمنَ الذي فُرِض على المسلمين صِيامُه، يقع موسمُه قطعاً في فصل الصيف، ويجب عليهم إذن الْتماسُ هلالِ رمضان كلَّ سنةٍ ما بين أوّل شهر أيار (مايو)، وأول شهر حزيران (يونيو)، فالهلالُ الذي يُرَىٰ في أثناء ذلك هو هلالُ رمضان، فموسمُ الصوم في اعتقادي أيّامٌ مَعْدوداتٌ في زَمَنٍ طبيعيّ ثابتٍ، واعتمادُه على حساب الأهِلَّة لا يسمحُ بأكثرَ من انتقالٍ يسيرٍ يُلازِمُ تقدُّمَ شُهورِ القمر، ضمن هذا الزمن، لا في كل الأزمنة الطبيعيَّة! . . . والقولُ نفسُه أقوله في موعد موسم الحجِّ، فإذا صحَّ أنه كان سنةَ عَشْرٍ في الثلاثين من شهر آب (أغسطس)، فيجب الْتِمَاسُ هلالِ ذي الحجّة ابتداءً من مطلع شهر آب، وإن كنتُ أعترفُ بأن تحريم النسيء لم يَضُرَّ الحجَّ شيئاً بدوَرَانِ موسمه في الفصول الأربعة، لأنه صار فريضةً على المسلمين، ورُكناً من أركان الإسلام.

* * *

وأخيراً أُحبُّ أن أُعَقِّبَ على ما سَبق بقَوْلٍ، لعلَّهُ يؤيِّدُ ما ذهبتُ إليه فيما رأيتُه في تحريم النسيء، وإلْزَامِ الناس بسَنَةٍ تامَّةٍ، مقدارُها إثنا عشر شهراً ثابتةٌ في مواقعها من الأزمنة الطبيعية، لا تنتقلُ عنها، ولا تزيدُ، ولا تنقص. . . وهذا ما لا يمكن تحقيقُه إلا إذا أخذنا بإحدى الدورتَيْن الطبيعيَّتَيْن: دورة الشمس، أو دورةِ منازل القمر، مع الاستمرار في اعتماد الأهِلَّة مواقيتَ للحجِّ والصومِ والفِطْرِ وعِدَدِ النساء وغيرها، على أن يجري تعيينُ مواقع الحجِّ والصوم من الأزمنة التي حُدَّتْ بها في الأصل، قبل أن يُبدِّلَ الدورانُ مواقعَها.

وقد نظرتُ فوجدتُ أنه ليس في القرآن نصٌّ يُلزِمُ الناسَ باتِّبَاعِ دَوْرةِ القمر في حساب السنين، وإنما باتِّباع دورة منازل القمر، وهي، كما قلنا، دورةٌ صحيحةٌ تامَّةٌ ثابتةٌ، وذلك في قوله تعالى:

* ﴿ هُوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالحِسَابَ ﴾[1].

أي أنه، جلَّ شأنُه، قَدَّرَ للقمر مَنَازِلَ، ليعلَمَ الناسُ بدورة هذه المنازل عَدَدَ السنين، وحسابَ الشهور... فالمنازلُ للقمر كالبروج للشمس، كلاهما يقطعُ الفَلَكَ في دورةٍ ثابتةٍ، مقدارُها ثلاثُ مئةٍ وخمسةٌ وستون يوماً ورُبْعُ اليوم. ومن مأثورات العرب أنهم كانوا يحسُبُون السنين بدورة كوكب الثريَّا، وهو من منازل القمر، ويُسَمُّون دوْرتَه سَنَةَ الثريَّا، وحَوْلَ الثريَّا. ذلك أن القَمَرَ يُقَارِنُ الثريَّا في كلِّ سنةٍ مَرَّةً، ينزل بها في الخامس من آذار (مارس)، أو نحو ذلك، ويُقَارِنُها ثلاثَ ليالٍ، فإذا كانت الليلةُ الثالثةُ من قِرَانِهما، كان ذلك علامةً على انقضاء الشتاء وأوَّلِ الربيع... وعليه قولُ الشاعر[2]:

إذا ما قارَنَ القمرُ الثريَّا لثالثةٍ فقد ذهب الشتاءُ

ومن أقوالهم: ما أَلْقَىٰ فلاناً إلا عِدَّةَ الثريَّا من القمر!... أي، إلا مرَّةً في السنة[3].

ومعنى ذلك أن الثامن من آذار (مارس) كان أوَّلَ فصلِ الربيع عند العرب، وهو يُوافق في تقديرنا يومَ الثاني عشر من جُمادَىٰ الآخرةَ. والثامنُ

---

(١) سورة يونس، الآية: ٩.
(٢) أُسيِّد بن الحُلاحِل.
(٣) تاج العروس: ٨/٣٦٦ (عدد).

من آذار هو موعدُ طلوع منزل «الفَرْغ الأول» من أُفُق المشرق، ومرَّ بنا أن طلوعَهُ إرْهاصٌ لموسم الربيع[١].

وكانوا ينظرون أيضاً إلى طلوع الثريَّا من أُفُق المشرق، في نحو الثاني عشر من أيَّار (مايو)، فيعلمون أن سنةً تامَّةً قد انقضت، وينظرون من بعدُ إلى سقوط الثريَّا في أُفُق المغرب، في الحادي عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر)، فيعلمون أن نصف السنة قد انقضى... وكانوا يعتمدون حركةَ منازل القمر، إضافةً إلى معرفة الفصول والمواسم الطبيعية، في تعيين آجَالِ دُيُونهم، ومواعيد تجاراتهم، لأن تَتَبُّعَ المنازلِ أكثرُ سهولةً من مُتابعة حركة الشمس في بُروجها، إلى أن معظم هذه البروج يقع في تلك المنازل، ويُعَدُّ جُزْءاً منها...

وهنالك آياتٌ كثيرةٌ في القرآن تأمُرُ باعتمادِ مواقيتِ الشمس، ولا سيما في أوقات الصلاة:

* ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ ... ﴾[٢].
* ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ... ﴾[٣].
* ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ... ﴾[٤].
* ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾[٥]، أي عند جُنُوحِها ..

---

(١) انظر جدول منازل القمر.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٥) سورة الطور، الآية: ٤٩.

للغيبوبة[1]. كما تُعْتَمدُ مواقيتُ الشمس أيضاً في مناسِكِ الحجِّ، والإمْسَاكِ عن الطعامِ في الصيام والإفْطار... وإلى ذلك قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ﴾[2]، أي أَحْسِبَةً[3]، تدلُّ على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات[4]... ومن الواضح أنه قَرَنَ ما بين الشمس والقمر في حساب الأزمنة، فالشمسُ لحساب السنين وعددِ أيَّامها، والقمرُ لحساب الشهور ومعرفةِ أَهِلَّتها.

ويُلاحَظ أنَّ في القرآن ذِكْراً للشمس، مَقْروناً بها القمرُ، عشرين مرّةً، قُدِّم فيها ذِكْرُ الشمس على القمر تَسْعَ عشرة مرَّةً، وقُدِّم فيها ذِكْرُ القمرِ مرَّةً واحدةً فقط، في سُورة نوح[5]... وقديماً جعل المسلمون تقديمَ ذِكْرِ الليل على النهارِ، والشتاءِ على الصيف، في القرآن الكريم، دليلاً على صِحَّة الابتداءِ بهما في حساب الأزمنة[6]، فلمَ لا نجعلُ ذلك دليلاً على صِحَّةِ الحسابِ بدورة الشمس، وتثبيتِ شُهور العربِ في مواقعها الطبيعيَّة من الأزمنة الأربعة؟ على أن تظلَّ مواسمُ الحجِّ والصوم والفِطْرِ مَنُوطةً بالأَهِلَّةِ، ضمن الظروف الزمنيَّة التي نُرجِّح أنها حُدِّثَتْ بها في الأصل.

* * *

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٤٠.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٦.

(٣) الأَحْسِبَةُ: جمعُ الحِسَابِ.

(٤) لسان العرب: ١/ ٣١٤ (حسب).

(٥) سورة نوح، الآية: ١٦.

(٦) الأزمنة والأمكنة: ١/ ١٦٣ ـ ١٦٥.

التاريخ الميلادي	التقويم الهجري	دور الكبس	
٥٧١	...	١٥	أول عام من حادثة الفيل، وفيه كان مولد محمد رسول الله[1].
	...		
٦١٠	...	١٦	البعثةُ النبويّة، وكانت على رأس الأربعين من عمره، أي عند ابتدائها[2].
	...		
	...	١٧	
٦١١	...	١٨	
٦١٢	...	١٩	
٦١٣	...	١	ابتداء آخر دوْر للكبس عند العرب
٦١٤	...	٢	
٦١٥	...	٣	سنة كبيسة
٦١٦	...	٤	
٦١٧	...	٥	
٦١٨	...	٦	سنة كبيسة
٦١٩	...	٧	
٦٢٠	...	٨	سنة كبيسة
٦٢١	...	٩	
٦٢٢	...	١٠	انقضاء ثلاث عشرة سنة على المبعث
٦٢٣	١	١١	سنة كبيسة، الهجرة إلى المدينة المنوّرة
٦٢٤	٢	١٢	
٦٢٥	٣	١٣	
٦٢٦	٤	١٤	سنة كبيسة
٦٢٧	٥	١٥	

التاريخ الميلادي	التقويم الهجري	دور الكبس	
٦٢٨	٦	١٦	
٦٢٩	٧	١٧	سنة كبيسة
٦٣٠	٨	١٨	
٦٣١	٩	١٩	آخر سنة كبيسة من دور الكبس الأخير في تاريخ العرب. وقد أُعلن تحريمه في موسم حج تلك السنة بنزول سورة التوبة.
٦٣٢	١٠		حجة الوداع، وانقضاء عشر سنين على الهجرة، وإعلان رسول الله استدارة الزمان في ذلك العام كهيأته يوم خلق الله السماوات والأرض. وفيه ابتدأت السنةُ الشمسيّةُ وأَهَلَّ شهرُ المحرّم في وقت واحد.
٦٣٣	١١		وفاته عليه السلام وهو في الثالثة والستين من عمره

---

(١) حقّق العالم الفلكي محمود باشا المصري أن مولده عليه السلام كان يوم الاثنين التاسع من شهر ربيع الأول، لأوّل عامٍ من حادثة الفيل الواقع في (٥٧١ م) ـ (السيرة النبويّة للندوي: ٩٩، وتاريخ الأمم الإسلامية للخضري: (١/ ٦٢).

(٢) هنالك في سِنّه عليه السلام حين بُعِث قَوْلان، الأول: أنه بُعث على رأس الأربعين، والثاني: أنه بُعث وهو إبنُ أربعين. وليس بين القولين كبيرُ فَرق، سوى عدّة شهور خَلَتْ من سنة الأربعين (في القول الثاني) حين بُعث، ويُقال: نزل عليه الوحيُ وعُمُرُه أربعون سنةً قمريّةً وستّةُ أشْهُرٍ وثمانيةُ أيام، وهي تُساوي تسعاً وثلاثين سنةً شمسيّةً وثلاثةَ أشْهُرٍ وثمانية أيام تقريباً، ويُلاحظ أن سِنِي العرب كانت وقتئذٍ تصير شمسيّةً بالكبْس أو النسيء وإن كانت شهورهم قمريّةً (الطبقات الكبرى: ١/ ١٩٠ ـ ١٩٤، وتاريخ الطبري: ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢).

ثبت المراجع

١ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية:
أبو الريحان، محمد بن أحمد البيروني ـ طبعة ليبزيغ (١٨٧٨ م)، ألمانيا.

٢ ـ أثر العرب في الحضارة الأوروبية:
عباس محمود العقاد ـ دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية (١٩٦٢ م).

٣ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار:
أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقي ـ طبعة دار الأندلس ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م)، بيروت، عن نسخة حقَّقها ونشرها بمكة رشدي الصالح ملحس، سنة (١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م).

٤ ـ أدوار التاريخ الحضرمي:
محمد بن أحمد الشاطري ـ منشورات عالم المعرفة بجدة (١٩٨٣ م).

٥ ـ الأزمنة والأمكنة:
الشيخ أبو علي، أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني ـ مطبعة دائرة المعارف بحيدر أباد الدكن (١٣٣٢ هـ) الهند.

٦ ـ الأزمنة والأنواء:
ابن الأجدابي، أبو إسحاق، إبراهيم بن إسماعيل ـ تحقيق د. عزة حسن، طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق (١٩٦٤ م).

٧ ـ أسماء الأشهر في العربية ومعانيها:
د. أنيس فريحة ـ دار العلم للملايين، بيروت (١٩٥٢ م).

٨ ـ الأعلام:
خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت (١٩٧٩ م).

٩ ـ الأغاني:
أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني ـ دار الثقافة ـ بيروت (١٩٥٧ م).

١٠ ـ إقتضاء الصراط المستقيم:
تقي الدين أحمد بن تيميَّة ـ تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة ـ بيروت.

١١ ـ الأم:
الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ـ دار الشعب (١٩٦٨ م) القاهرة.

١٢ ـ الأمالي:
أبو علي، إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ـ المكتب التجاري، بيروت، عن نسخة دار الكتب المصريَّة.

١٣ ـ أنساب الأشراف:
أحمد بن يحيى البلاذري ـ الجزء الأول، تحقيق د. محمد حميد الله. دار المعارف ومعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، القاهرة (١٩٥٩ م).

١٤ ـ الأنواء:
ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم ـ طبعة حيدر أباد ـ الهند (١٩٥٦ م).

١٥ ـ إيلا، مُنعطف التاريخ:

د. عمر الدقاق ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق (١٩٧٩ م).

١٦ ـ **البداية والنهاية**:

ابن كثير، أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ـ دار الكتب العلمية، طبعة (١٩٨٩ م) بيروت.

١٧ ـ **البدو والبادية**:

د. جبرائيل جبور ـ الطبعة الأولى (١٩٨٨ م) دار العلم للملايين، بيروت.

١٨ ـ **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (كتاب الصيام)**:

الشيخ منصور علي ناصف ـ الطبعة الثالثة (١٩٦١ م)، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت عن طبعة دار إحياء الكتب العربية (١٣٥١ هـ).

١٩ ـ **تاريخ التمدن الإسلامي**:

جرجي زيدان ـ منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت.

٢٠ ـ **تاريخ الجنس العربي**:

محمد عزة دروزة ـ المكتبة العصرية (صيدا ـ بيروت)، طبعة ـ ١٩٥٩ م .

٢١ ـ **تاريخ الشعوب الإسلامية**:

كارل بروكلمان ـ ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ـ دار العلم للملايين (١٩٧٩ م) بيروت.

٢٢ ـ **تاريخ الطبري**:

أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف (١٩٦٠ م) القاهرة.

٢٣ ـ **تاريخ اليعقوبي**:

ابن واضح، أبو يعقوب، أحمد بن إسحاق ـ دار بيروت (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م).

٢٤ ـ **تفسير القرآن العظيم**:

الإمام عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير الدمشقي ـ دار الأندلس ـ بيروت.

٢٥ ـ **التوراة والإنجيل والقرآن**:

موريس بوكاي ـ منشورات دار الكندي ـ بيروت (١٩٧٨ م).

٢٦ ـ **جمهرة أنساب العرب**:

ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد ـ تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ـ دار المعارف بمصر (١٩٦٢ م).

٢٧ ـ **حضارات العالم في العصور القديمة**:

منير البعلبكي ورفاقه ـ دار العلم للملايين (١٩٨٤) بيروت.

٢٨ ـ **الحوليات الأثريَّة السورية**:

المجلد (٣٢) لسنة (١٩٨٢) ـ مديرية الآثار بدمشق.

٢٩ ـ **دائرة معارف القرن العشرين**:

محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت (١٩٧١ م) ـ الطبعة الثالثة.

٣٠ ـ **دراسات في فقه اللغة**:

د. صبحي الصالح ـ دار العلم للملايين، الطبعة التاسعة (١٩٨١ م) بيروت.

٣١ ـ **ديوان بشر بن أبي خازم**:

تحقيق د. عزة حسن ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق (١٩٦٠ م).

٣٢ ـ **ديوان الطرِمَّاح**:

تحقيق د. عزة حسن ـ وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق (١٩٦٨ م).

٣٣ ـ **السيرة النبويّة:**
ابنُ هشام، محمد بن عبد الملك المعافري ـ تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي ـ دار الكنوز الأدبية.
٣٤ ـ **السيرة النبويّة:**
أبو الحسن، علي الندوي ـ دار الشروق، الطبعة السابعة (١٩٨٧ م) جُدَّة ـ بيروت.
٣٥ ـ **شجر الدرّ:**
أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ـ دار المعارف بمصر.
٣٦ ـ **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات:**
أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ـ تحقيق عبد السلام محمد هارون ـ دار المعارف بمصر (١٩٦٣ م).
٣٧ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:**
القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي ـ دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٧ م).
٣٨ ـ **صحيح البخاري (باب المناقب):**
أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل البخاري ـ دار ومطابع الشعب بالقاهرة.
٣٩ ـ **الطبقات الكبرى:**
محمد بن سعد بن منيع الزهري ـ دار صادر، بيروت (١٩٦٨ م).
٤٠ ـ **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات:**
زكريا القزويني ـ دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، بيروت (١٩٧٣ م).
٤١ ـ **العرب قبل الإسلام:**
جرجي زيدان ـ دار مكتبة الحياة، بيروت (١٩٧٩ م).
٤٢ ـ **العصور القديمة:**
جيمس هنري برستد ـ ترجمة داود قربان، مؤسسة عز الدين ـ بيروت (١٩٨٣ م).
٤٣ ـ **فقه السنَّة:**
سيد سابق ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٤٤ ـ **فقه اللغة:**
الإمام أبو منصور إسماعيل الثعالبي ـ دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥ ـ **في ظلال القرآن:**
سيد قطب ـ دار الشروق ـ الطبعة السابعة ـ بيروت (١٩٧٨ م).
٤٦ ـ **الكامل في التاريخ:**
ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد ـ دار صادر ـ بيروت (١٩٧٩ م).
٤٧ ـ **لسان العرب:**
ابن منظور الأفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ـ دار صادر ـ بيروت.
٤٨ ـ **مجلة عالم الفكر** ـ وزارة الإعلام في الكويت ـ المجلد الثاني ـ العددان الثالث (١٩٧١ م) والرابع (١٩٧٢ م) ـ (لغات الشرق الأدنى القديم) ـ د. عبد الحميد زايد: (٧٨٥ ـ ١١٦٦).
٤٩ ـ **مجلة العربي** ـ الكويت (تموز ١٩٨٠) ـ قصة الألعاب الألمبية القديمة: عادل شرف.
٥٠ ـ **المحبَّر:**
أبو جعفر، محمد بن حبيب البغدادي ـ دار الآفاق الجديدة، بيروت، عن نسخة مطبعة حيدر أباد الدكن (١٣٦١ هـ ـ ١٩٤٢ م) تحقيق د. إيلزة ليختن شتيتر، ومراجعة د. محمد حميد الله.

٥١ ـ **المختصر في أخبار البشر:**
أبو الفداء، الملك المؤيّد عماد الدين إسماعيل ـ المطبعة الحسينية المصرية ـ الطبعة الأولى (١٣٢٥ هـ).

٥٢ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر:**
المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ـ دار الأندلس، بيروت (١٩٧٨ م).

٥٣ ـ **مطلع النور:**
عباس محمود العقاد ـ دار الهلال بمصر.

٥٤ ـ **المعجم:**
عبد الله العلايلي ـ المجلد الأول ـ دار المعجم العربي ـ بيروت.

٥٥ ـ **معجم البلدان:**
أبو عبد الله، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ـ دار صادر ـ بيروت (١٩٧٧ م).

٥٦ ـ **معجم تاج العروس من جواهر القاموس:**
محمد مرتضى الزبيدي ـ طبعة مصر بالمطبعة الخيرية (١٣٠٦ هـ)، وطبعة الكويت.

٥٧ ـ **معجم محيط المحيط:**
المعلم بطرس البستاني ـ مكتبة لبنان، بيروت (١٩٧٧ م).

٥٨ ـ **المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام:**
د. جواد علي ـ دار العلم للملايين في بيروت ومكتبة النهضة ببغداد (١٩٧٨ م).

٥٩ ـ **موسوعة تاريخ العالم:**
وليم لانجر ـ الترجمة العربية ـ مكتبة النهضة بمصر.

* * *

فهرس المطالب الفلكيّة وأقسام الزمن

(أ)

- أبيب (شهر نيسان ـ عبريّ) : ٩٤.
- إجتماع الشمس والقمر: ١٧.
- آذار الثاني (شهر الكبس عند اليهود): ٩٥.
- الأربعينيّة (في القيظ): ٨٤.
- الأزمنة والأنواء: ١٥.
- الأزمنة الطبيعيّة (الفصول): ٨، ٩.
- الاعتدال الخريفيّ: ٢٤، ٩٢، ٩٥، ٩٦.
- الاعتدال الربيعيّ: ٢٤، ٩٦.
- اقتران الشمس ببرج الثور: ٦١.
- أكتوبر (الشهر الثامن عند الرومان): ٩٦.
- الإكليل (نجم من منازل القمر): ٢٣.
- الإنقلاب الشتويّ: ٢٤.
- الإنقلاب الصيفيّ: ٢٤.
- أنواء الخريف: ٨٠.
- أورانوس (كوكب): ١٣.
- الأوْزُ، الأرْزُ: ٣٢.
- أيام العجوز: ٩٧، ٩٨.
- أيام التشريق: ١٠٩.
- أيام النسيء: ٧٧.

(ب)

- برج السرطان: ١٧.
- برج الميزان: ٤٦.
- بروج الشمس: ١٤، ٢٠، ١٣٥.
- بطن الحوت، الرشاء (من منازل القمر): ٢٢.
- البُطيْن (من منازل القمر): ٢٢.
- البلدة (من منازل القمر): ٢٣.
- بلوتون (كوكب): ١٣.

(ت)

- تساوي الليل والنهار: ٢٤.
- التقويم الشمسي: ١٣، ١٩، ٣٣، ١٣٧.
- التقويم الشمسي القمري: ١٧، ١٠٥، ١٠٦.
- التقويم الغريغوري: ٩٦.
- التقومي القمري: ١٣، ٣٣، ١٠٥.

(ث)

- الثريّا (نجم من منازل القمر): ١٨، ٢١، ٢٢، ٦٦، ٨٧، ٨٩، ١٣٨ ـ ١٤٠.

(ج)

- الجبهة (من منازل القمر): ٢٠، ٢٢، ٥٦.
- الجوزاء (كوكب): ٦٦.

(ح)

- حساب الشمس: ٨٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٧.
- حساب شهور العرب: ٣٧.
- حساب القمر: ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٧.
- حساب منازل القمر: ١٩.
- حساب المفارقة: ٢٨.

ـ الحميم (فصل القيظ): ٧٩ ـ ٨١.

(خ)

ـ خَرِفْنْ (فصل الخريف، سبئيّ): ٨٣.
ـ الخريف (زمن، فصل): ٤٤، ٧٩.
ـ الخسوف والكسوف: ١١.

(د)

ـ الدَّبَران (نجم من منازل القمر): ٢٢.
ـ دَوَران الشهور القمرية في الفصول: ٨، ٤٧، ٥٣، ١٣٠، ١٣٤.
ـ دَوْرُ النسيء: ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٦.
ـ دورة الشمس: ١٣، ١٥، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٠، ١٤١.
ـ دورة القمر: ١٣، ١٥، ١٠٦، ١٣٩.
ـ دورة منازل القمر: ٣٠، ٨٤، ١٠٦، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠.
ـ ديسمبر (الشهر العاشر في التقويم الروماني): ٩٦.

(ذ)

ـ الذراع (من منازل القمر): ٢٢، ٦٨.
ـ ذو حجتن (شهر الحجّ، سَبئي): ٣٦.
ـ ذو خَرِفُن (شهر الخريف): ٣٦.
ـ ذو عَثْتَر (شهر عشتار، عشتروت، أيلول): ٣٦.
ـ ذو فَرْعَم (نجم الفَرْغ): ٨٤.
ـ ذو قَيْظُن (شهر الحرّ والقيظ): ٣٦.

(ر)

ـ رأس السنة الدنيوي (تشرين الأول): ٩٣.
ـ رأس السنة الديني (نيسان): ٩٣.
ـ رجب الفرد (شهر الله): ٥٨، ٥٩.
ـ الرَّجَبيّة: ٦٠.
ـ الربيع (فصل، الدَّفئي، الدَّثئي): ٧٩.
ـ ربيع الأزمنة (مَوْسما أو فصلا الربيع الأول والربيع الثاني): ٤٨، ٤٩، ٨١.
ـ ربيع الشهور (شهرا ربيع الأول وربيع الآخر): ٤٨، ٤٩.
ـ رمضَان (زمن الرَّمَض والتحنُّث): ٣٦، ٣٧، ١٣٨.

(ز)

ـ الزُّبَانَي (من منازل القمر): ٢٣.
ـ الزُّبْرَة أو الخُرْتان (من منازل القمر): ٢٢.
ـ زُحَل (كوكب): ١٢.
ـ زَمَنُ الوسميّ: ٨٩.
ـ الزُّهرة (كوكب): ١٢.

(س)

ـ سبتمبر (الشهر السابع في التقويم الروماني): ٩٦.
ـ السِّرَار: ٢٨.
ـ سعد الأَخْبِيَة (من منازل القمر): ٢٣.
ـ سعد بَلَع (من منازل القمر): ٢٣.
ـ سعد الذابح (من منازل القمر): ٢١، ٢٣.
ـ سعد السعود (من منازل القمر): ٢٣، ٩٩.
ـ السِّمَاك (من منازل القمر): ٢٣.
ـ سنة الإزدِلاف: ٩.
ـ سنة الثريّا (حَوْلُ الثريّا): ١٣٩.
ـ سنة الشِّعْرىٰ: ٣٣.
ـ سنة الشمس: ٨، ١٥، ١٦، ٧٢، ٧٧،

١٠٤، ١٠٧، ١١٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٧.
- سنة القمر: ٨، ١٠٤، ١٠٧، ١١٥، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٥، ١٣٧.
- السنة الكبيسة (سنة النسيء): ٢٨، ٣٢، ٣٧، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٣.
- السُّها (نجم): ١٥.
- سهيل (نجم): ١٥، ٨٦.

(ش)

- الشَّرطان (من منازل القمر): ٢٢، ٦٤.
- الشروق: ٢٤.
- الشِّعْرىٰ العبُور: ١٥، ٣٣، ٦٩.
- الشِّعْرىٰ الغُمَيْصَاء: ١٥.
- الشَّفَق: ٢٤.
- الشمس: ١٣، ١٥ - ١٧، ١٩، ٢٠.
- الشهر الأصفر (أكتوبر): ٤٥.
- شهرا ربيع الأول والآخِر: ٣٦، ٣٨.
- شهرا كانون، الكَنُّ والكِنُّ والارتباع: ٥١.
- شهر ذو دَنَّا (الربيع، سبئي): ٨٠.
- شهر الريح (نوفمبر، تشرين الثاني): ٤٥.
- شهر الله (رجب، المحرَّم): ٩٣.
- شهر المزار المقدَّس (نيسان، بابلي): ٩٤.
- شهر المُلَيْساء: ٩٠.
- الشهور القمريّة: ١٥، ١٦.
- الشَّوْلَة (من منازل القمر): ٢٣، ٤٩، ٨٤، ٨٩.

(ص)

- الصَّرْفة (من منازل القمر): ٢٢، ٣١، ٤٣، ٨١، ٨٢، ٩٠، ٩١.
- الصَّفَريّة والصَّفَرِيُّ (زمن أو فصل طبيعي): ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٦، ٨٧، ٨٨، ٩٠.
- الصِّنَّبْر: ٩٧، ٩٨.
- صوم الكبور (يهودي): ٩٦.
- الصَّيْف (فصل طبيعي): ٧٩، ٨٠.

(ض)

- ضَرْبُنْ (فصل الشتاء، سبئي): ٨٣.

(ط)

- الطَّرْف، الطرْفة (من منازل القمر): ٢٢.

(ع)

- عِدَّة أيام سنة الشمس: ٨، ٣١.
- عِدَّة أيام سنة القمر: ٨، ٣١.
- عِدَّة الشهور عند الله: ١١٥.
- العِرَافة: ١٢.
- عشتار أو عشتروت (كوكب الزهرة): ٣٦.
- عُطارد (كوكب): ١٢.
- العوّاء (من منازل القمر): ٢٣، ٨٩.
- عيد التجلّي (عند النصارى): ٧٢.
- عيد شهادة يوحنا المعمدان: ٧٢.
- عيد العذراء (عند النصارى): ٧٢.
- عيد الفِصْح، يوم الفصح: ٩٨، ٩٩، ١٠٥.
- عيد المظلّة (يهودي): ٩٦.

(غ)

- الغَفْر (من منازل القمر): ٢٣، ٤٦، ٨٤.

(ف)

- الفَرْغُ المقدَّم (من منازل القمر): ٢٣، ٩١، ١٤٠.

ـ الفَــرْغ المــؤخّــر: ٢٢، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٨٩ ـ ٩١.
ـ الفَرْقَدان (نجم): ١٥.
ـ الفَلَك، فلك البروج (مدار النجوم): ١٥.

(ق)

ـ قِرانُ القمرِ الثريّا: ١٣٩.
ـ القلب (نجم من منازل القمر): ٢٣، ٨٩.
ـ القمر: ١٣، ١٥، ١٦، ١٩، ٢٠.
ـ قَيْظُن (فصل القيظ، سبئي): ٨٣.

(ك)

ـ الكَبْس، النسـيء: ٨، ٩، ١٣، ٣٣، ٣٨، ٥٩، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ١٠٢، ١٠٤ ـ ١٠٩، ١١٤ ـ ١١٧، ١١٩، ١٢١ ـ ١٣٨.
ـ الكهانة: ١٢.
ـ كواكب البروج: ١٩.

(م)

ـ المُثمَّنات: ٨٤.
ـ مربعانيّة الشتاء: ٥٠.
ـ المرّيخ: ١٢.
ـ المشتري: ١٢.
ـ مَطالع النجوم ومَساقِطُها: ١١، ٧٨.
ـ معاني أسماء الأيّام: ٢٥.
ـ المعتدلات (الليالي الأربعون): ٨٦، ٨٧.
ـ منازل القمر: ١٤، ١٨، ٢٠، ٢١، ٣٠ ـ ٣٢، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٩٢، ١٣٥، ١٣٩.
ـ مواعيد أنواء منازل القمر: ٨٤.
ـ موسم الربيع الأول (التبدّي، التربّع): ٨٦.

(ن)

ـ نبتون (كوكب): ١٣.
ـ النَّثْرة (نجم من منازل القمر): ٢٢.
ـ نجوم البروج: ١٥.
ـ النجوم الثابتة: ١٥.
ـ نجوم المنازل: ١٥.
ـ النـاسـيء، القَلَمَّـس (النَّسـأة، القَـلامِسَـة): ١٠٧ ـ ١٠٩، ١١١ ـ ١١٣، ١١٦ ـ ١٢٠، ١٢٢ ـ ١٢٤، ١٢٨، ١٣٣.
ـ النَّسيء: ٩، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ١٣٤.
ـ النعائم (من منازل القمر): ٢٣، ٨٤.
ـ نوفمبر (الشهر التاسع في التقويم الروماني): ٩٦.

(هـ)

ـ الهَقْعَة (من منازل القمر): ٢٢، ٤٣، ٦٤.
ـ الهَنْعَة (من منازل القمر): ٢٢.

(و)

ـ وَرْخَ ربُّوتي (شهر الربّ كبير الآلهة، بابلي): ٩٤.
ـ وَرْخُـن ذو الألـت (شهـر الإلـه، سبئـي): ٣٥ ـ ٣٦.
ـ وَرْخُن ذو دثّاً (شهر الربيع، سبئي): ٣٦.
ـ الوسميُّ (زمن الخريف): ٧٩، ٨٠، ٨٧، ٩١.

(ي)

ـ يوم عاشوراء: ١٠٠، ١٠٢، ١٢٠.
ـ يوم العَروبَة (الجمعة، سرياني): ٢٦.
ـ يوم عَشُور، العاشور (يهودي): ١٠١.

فهرس الأعلام

(أ)

- إبراهيم (النبيُّ عليه السلام): ٢٧، ٧٤، ١٠٩.
- أبرهة الحبشيّ: ٧٢.
- ابن الأجْدابي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل: ١٦، ٨٣، ٨٤، ١٢٨، ١٢٩.
- أُحَيْحة بن الجُلاح، أبو عمرو: ٥٥.
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد: ١٦، ١٠٠، ١٠٤، ١١٠، ١١٢، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٦.
- إبن إسحاق، محمد: ١٠٣، ١٠٨، ١١٦، ١٢٣.
- أُسَيِّد بن الحُلاحِل: ١٣٩.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين القرشيّ الأمويّ: ٥٨.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي: ٨٠.
- امرؤ القيس بن حجر الكنديّ: ١١٤.
- أُميّة بن قَلَع بن عبّاد (الناسىء): ١١٤.
- إبن الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم: ٥٢، ٩٥، ١١٧، ١١٨.
- أنيس فريحة: ١٦، ٥٦، ١٢٨.

(ب)

- پرسْتِد، جيمس هنري: ١٢، ١٣.
- پروكوپيوس (المؤرّخ): ٧٣.
- بشّار بن برد، أبو معاذ: ٧.
- بشر بن أبي خازم الأسديّ: ٦٠، ٩١.
- بطرس البستاني (المعلّم): ٢٦.
- أبو بكر الصدّيق (رضي الله عنه): ٩٨، ١٠٣، ١٢٥، ١٢٦.
- البلاذريّ، أحمد بن يحيى: ٦٥.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد: ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩.

(ت)

- ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم الحرّاني الدمشقي: ١٧، ١٩، ١٠٠.

(ث)

- ثعلبة بن مالك بن كنانة (الناسىء): ١١٢، ١١٣.

(ج)

- جبرائيل جبُّور: ٥٥.
- جرجي زيدان: ١٢.
- جُنَادة بن عوف، أبوثمامة (القلمّس الكناني): ١١٣، ١١٤.
- جواد علي: ١١، ٥٧، ٦٠، ٧١، ٨٤، ١٠٥.

(ح)

ـ الحارث بن مالك (الناسىء): ١١٢، ١١٣.
ـ الحباب بن المنذر الأنصاري: ٦١.
ـ حذيفة بن عبد بن فُقيم (القلمَّس): ١١٢، ١١٣.
ـ ابن حزم، علي بن أحمد الظاهري الأندلسي: ١٠٩، ١١٠، ١١٢.
ـ حمورابي (الملك البابلي): ١٢٨.

(خ)

ـ خير الدين الزركلي: ٢٦.

(ز)

ـ الزبيدي، محمد المرتضى الحسيني: ٢٩، ٤٢، ٦٥، ٨٠، ١١٣، ١١٩، ١٢٠، ١٢٤.

(س)

ـ السَّخَاويّ، أبو الحسن علي بن محمد: ٣٨، ٣٩.
ـ سُرير بن ثعلبة بن مالك (الناسىء): ١١٢، ١١٣.
ـ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد: ١٠٤.
ـ سلمى بنت عمرو الخزرجيّة: ٥٥.
ـ سيّد قطب: ١٣٣.

(ش)

ـ شارل التاسع (ملك فرنسة): ٩٤.

(ص)

ـ صبحي الصالح: ٦١.

(ط)

ـ الطبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير: ٤١، ١٠٣.
ـ ابن الطحّان، أبو الأصْبغ الإشبيلي: ٤٣.
ـ الطِرِمّاح، حَكَم بن حكيم الطائي: ٩٧، ٩٨.
ـ أبو الطيّب عبد الواحد بن علي: ٢٥.

(ع)

ـ عبّاد بن قَلَع بن حذيفة (الناسىء): ١١٤.
ـ عبّاس محمود العقاد: ١٣، ٩٥.
ـ عبد الحميد زايد: ١٣.
ـ عبد بن فُقيم بن عديّ (الناسىء): ١١٣.
ـ عبد الله بن عباس: ١١٠.
ـ عبد الله العلايلي: ٥٧.
ـ عَدْوان بن عمرو: ١٠٩.
ـ عَدِيّ بن عامر بن ثعلبة (الناسىء): ١١٢، ١١٣.
ـ عزّة حسن: ٦٠، ٩٨.
ـ عمرو بن لُحيّ (أبو خزاعة): ١١٢.
ـ عوف بن أميّة بن قَلع (الناسىء): ١١٤.

(غ)

ـ الغَوْثُ بن مُرّ بن أدّ: ١٠٩.

(ف)

ـ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل: ١٧، ١٢٧.
ـ فُقيم بن عَديّ بن عامر (الناسىء): ١١٣.

(ق)

ـ القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم: ١٠٨، ١١٧، ١١٨.

ـ ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: ٤٣.
ـ القزويني، زكريا بن محمد الأنصاري: ١٨، ١٠٠.
ـ قصيّ بن كلاب: ١٣٦.
ـ قَلَع بن حذيفة بن عبد (الناسىء): ١١٣.
ـ قَلَع بن عبّاد بن قَلَع (الناسىء): ١١٤.
ـ القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي: ٩، ٣٩، ٤٧، ١٠٢، ١١٢، ١٢٥، ١٢٧.

(ك)

كارلو ألْفُونْسونلّينو: ٣٢.
ـ ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن كثير: ٣٨، ٥٨، ٦٥، ١٠٣، ١١٥، ١١٩، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦.
ـ كعب بن لؤيّ: ٢٦.
ـ ابن كُنَاسَة، محمد بن عبد الله: ٧٨، ٨٠، ١٢٤.
ـ كنانة بن خزيمة: ١١٤.

(ل)

ـ لبيد بن ربيعة، أبو عقيل العامريّ: ٥٢، ٩٥.

(م)

ـ مالك بن كنانة بن خزيمة (القلمَّس): ١٠٧، ١٠٩ ـ ١١٤، ١٣٦.
ـ محمد بن أحمد الشاطري: ٨٣.
ـ محمد بن حبيب: ٩٩، ١٠٨، ١٠٩، ١١٨.
ـ محمد زكي العشماوي: ٤٤.
ـ محمد عزّة دَرْوَزة: ١٣.
ـ محمد فريد وجدي: ٦٢.
ـ المرزوقي، أبو علي أحمد بن علي الأصفهاني: ١٥، ١٨، ٢١، ٤٢، ٦٣، ٨١.
ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين: ٢٥، ٣٨، ٦٥، ١١٦، ١٢٧.
ـ المسيح (عليه السلام): ١٧.
ـ معاوية بن كندة: ١١٠، ١١٤.
ـ ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم: ١٥، ١٦، ٢١، ٤١، ٥٩، ٦٤، ١١٠، ١١٧.
ـ موسى (عليه السلام): ١٧، ١٠١.
ـ ميتون: ١٢٩.

(ن)

ـ نابو رمَّانو الكلداني: ١٢٨.
ـ النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية: ٤٤.
ـ الندوي، أبو الحسن: ١١٥.
ـ النعمان بن الحارث الغسّاني: ٤٤.

(هـ)

ـ هاشم بن عبد مناف: ٥٥.
ـ ابن هشام، محمد بن عبد الملك: ٢٩.
ـ هَوْذة بن علي الحنفي: ٩٨، ٩٩.

(و)

ـ وليم لانجر: ١٢.

(ي)

ـ ياقوت الحمويّ، أبو عبد الله: ٤٢، ٤٥.
ـ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق: ٩٦، ١١٢.

مَسْرَد الأمثال الفلكيّة الطبيعيّة

ـ ما امتَلأ وادٍ من نَوْءِ «الجبهة» ماءً، إلا امتلأ عُشْباً: ٥٦.

ـ إذا طلع «الخُرْتان» جُنِي البُسْر بكلّ مكان، وطاب الزمان: ٢٢.

ـ إذا طلع «الدَّلْوُ» فالربيعُ والبَدْوُ، والصيفُ بعد الشَّتْو: ٩١.

ـ إذا طلع «الذراع» حَسَرتِ الشمسُ القِناع، وأشْعلتْ في الأفق الشعاع، وتَرقْرق السَّرابُ بكل قاع: ٦٨.

ـ إذا طلعت «الزُّبانَى» فاجمعْ للشتاء ولا تَتَوانَ: ٢٣.

ـ إذا طلع «سُهَيل» بَرَدَ الليلُ وخِيف السَّيْل: ٨٦.

ـ إذا طلع «الشَّرَطانِ» استوى الزمان، وحُضِرت الأوطان، وتَهادَتِ الجيران: ٦٤.

ـ إذا طلعت «الشَّوْلَةُ» أَعْجلتِ الشيخَ البَوْلةُ، واشتدَّت على العيالِ العَوْلَة: ٨٩.

ـ إذا طلعت «الصَّرْفة» احتال كلُّ ذي حِرْفة، وامْتِيز عن الماء زلفة: ٨٢، ٩٢.

ـ إذا طلع «العوّاءُ» طاب الهواء، وكُره العَراءُ، وضُرِب الخِبَاءُ: ٢٣، ٨٩.

ـ إذا طلع «الغَفْرُ» ذهبت النضارةُ عن الأرض والشجر: ٢٣.

ـ إذا طلع «القلب» جاء الشتاء كالكلب، وصار أهلُ البوادي في كرب: ٨٩.

ـ إذا طلعت «الهَقْعَةُ» تقوَّض الناسُ للقُلْعَة، ورجعوا عن النُجعة: ٢٢، ٦٦.